دكتور عامر النجار

# في مذاهب الإسلاميين

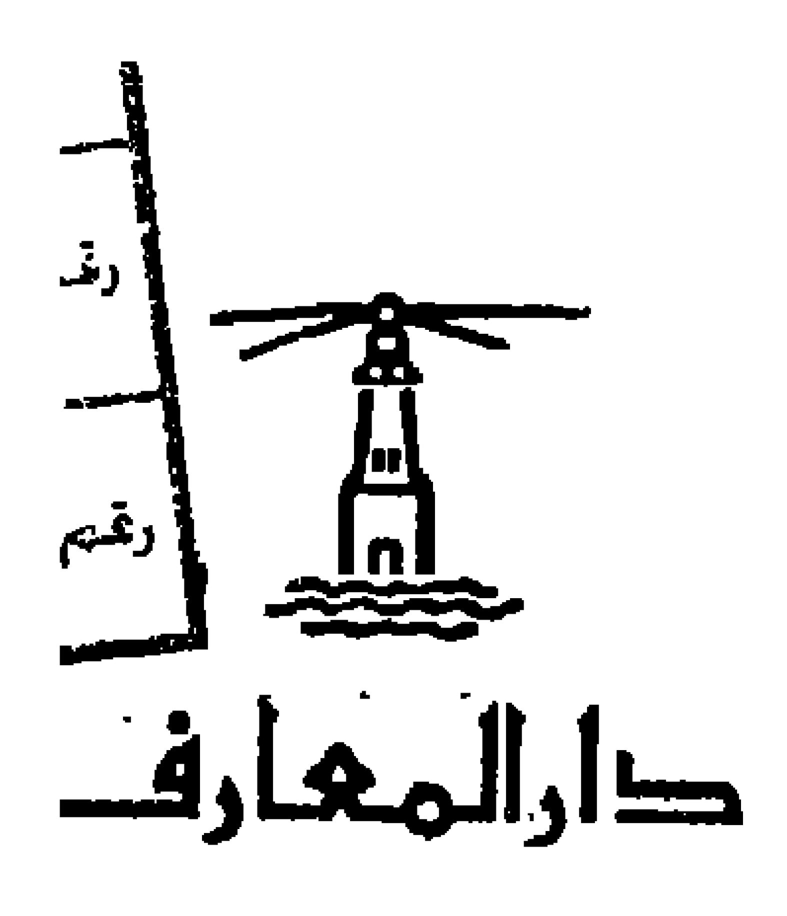
## الخوارج - الإباضية - الشيعة



# فى
# مذاهب الإسلاميين
## الخوارج - الإباضية - الشيعة

تأليف
دكتور عامر النجار
أستاذ الفلسفة الإسلامية ورئيس قسم الفلسفة
بكلية آداب سوهاج جامعة جنوب الوادى

١٩٩٥



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيـل - القـاهـرة ج . م . ع .

# الإهـداء

إلى روح شيخ الإسلام العظيم الإمام الجليل العز بن عبد السـلام أهدى هذا الكتاب ، راجيـا من المولى عـز وجـل أن يجعلـه من العلم الذى يُنتفع به إنه سميع مجيب ..

# الجزء الأول

# الخوارج

# مقدّمة

في الجزء الأول من هذا الكتاب حول مذاهب الإسلاميين أتناول بالدراسة الخوارج .

والحقيقة أن موضوع الخوارج من الموضوعات التي شغلت بال كثير من مفكري الإسلام وعلمائه ، وذلك لما لاحظوه من تطرّف وغلو في بعض أفكار ومبادئ الخوارج ، مثل تكفيرهم مرتكبي الكبائر ، وحكمهم على مَنْ خالفهم بالكفر ، وجواز قتله ، وإنكارهم تحكيم الرِّجال ، وتبرِّيهم من عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وَرَدِّهم السُّنة إذا لم يرد ما يؤيدها من القرآن صراحة ، فَهُم – كما يقول الإمام الجليل ابن تيمية رحمه الله – « لا يتمسكون من السُّنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم ، فلا يرجمون الزاني ، ولا يروْن للسرقة نِصابًا » .

وبعد ففي هذا الجزء أتناول الخوارج وأهم مبادئهم ، وفرقهم ، مع مناقشتنا لأهم أفكارهم ومبادئهم في ضوء الفكر الإسلامي الصحيح .

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

# المبحث الأول
# مدخل وتمهيد
## ١ – اختـــلاف المسلمين وأسبابه
## ٢ – كيف افترقت الأمة الإسلامية

أولاً : اختلاف المسلمين وأسبابه :

بداية نستطيع أن نقول إن المسلمين وقد اختلفوا فى اعتقاداتهم وسياساتهم وأمورهم الفقهية إلا أن هذه الاختلافات لم تكن فى أمر من أمور الدين معلومًا بالضرورة كتحريم الخمر ولحم الخنزير وأكل الميتة ، ولم يمس هذا الاختلاف من قريب أو بعيد جوهر الدين الحنيف ، فجميع المسلمين لا يختلفون فى أن الله واحد أحد فرد صمد فلا يشكون فى وحدانية الله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ولا يشكون فى أن القرآن هو معجزة الرسول ﷺ وأنه وحيى الله المنزل إلى نبيه المصطفى ﷺ ولا يختلفون فى أصول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج والصوم ، وإنما الاختلاف فى أمور لا تمس أركان الدين وأصوله العامة .

وكأن رسول الله ﷺ كان يتنبأ بما سيقع للمسلمين من اختلاف وذلك لون من ألوان الإعجاز الحديثى الشريف . فقد روى « البخارى » عن « زينب بنت جحش » زوج الرسول ﷺ أنها قالت :

استيقظ النبى ﷺ محمرًا وجهه يقول : « لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب » وفى هذا إشارة نبوية شريفة إلى ما جـرى بين المسلمين من اختلاف بعده[1] .

---

(١) ينبغى أن نلاحظ أنه إذا كان الاختلاف فى الأمور العقدية شرا إلا أن الاختلاف الفقهى والاجتهاد فى غير ما جاء به نص من الكتاب والسنّة لم يكن شرا ولم يكن افتراقًا بل كان خلافا فى النظر ، يقول عمر بن عبد العزيز « ما أحب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يختلفون ، لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس فى ضيق وأنهم أئمةٌ يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة » الاعتصام للشاطبى جـ٣ ص١١ .

ويروى أن النبى ﷺ قال :

« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

ولقد تكلم العلماء فى صحة هذا الحديث الذى روى بعدة طرق وروايات متعددة وقال المقبلى فى كتابه العلم الشامخ « وحديث افتراق الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة رواياته كثيرة ، يشد بعضها بعضًا بحيث لا تبقى ريبة فى حاصل معناه .. ولفظ حديث عبد الله بن عمرو أن رسول ﷺ قال : « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل . تفرّق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة ، كُلُّهُنَّ فى النار إلا ملّة واحدة » . قالوا يارسول الله ، من الملة الواحدة ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابى »[1] وفى تفسير الفخر الرازى[2] روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة » قالوا يارسول الله من تلك الفرقة الناجية ؟ قال : « الجماعة الجماعة الجماعة .. » فتبين بهذا الخبر أن المراد بقوله تعالى : ﴿وأن هذه أمتكم﴾ الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى فى هذه السورة من التوحيد والنبوات ، وأن فى قول الرسول ﷺ فى الناجية إنها الجماعة إشارة إلى أن هذه أشار بها إلى أمة الإيمان وإلا كان قوله فى تعريف الفرقة الناجية إنها الجماعة لغوًا إذ لا فرقة تمسكت بباطل أو بحق إلاّ وهى جماعة من حيث العدد . وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر ، فقال إن أراد بالثنتين والسبعين فرقة أصول الأديان فلم يبلغ هذا القدر ، وإن أراد الفروع فإنها تتجاوز هذا القدر إلى أضعاف ذلك ، وقيل أيضًا قد روى ضد ذلك ، وهو أنها كلها ناجية إلا فرقة واحدة . والجواب — كما يرى

---

(١) نلاحظ أن كتّاب الفرق الإسلامية مثل البغدادى والشهرستانى كافحوا بطريقة غريبة عجيبة حتى يجعلوا عدد فرق الإسلام مثل العدد المنصوص عليه فى الحديث .

(٢) اشتبه فى صحة هذا الحديث الإمام فخر الدين الرازى المتوفى عام ١٢٠٩م فى تفسيره « مفاتيح الغيب » جـ٢٢ : ٢١٨ فى تفسير سورة الأنبياء الآيتين ٩٢ : ٩٣ ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾ .

الرازى — المراد ستفترق أمتى فى حال ما وليس فيه دلالة على افتراقها فى سائر الأحوال لا يجوز أن يزيد وينقص[١] .

وإننا نرى أيضًا أن فرق المسلمين الاثنين والسبعين ليسوا كفارًا فالرسول ﷺ يقول : « وتفترق أمتى » وهذا يعنى أن هذه الفرقة من أمة محمد ﷺ لم يخرجوا عن أمته وإن فسقوا. وانحرفوا وضلوا عن الصراط ولذلك فهم ليسوا مخلدين فى النار كالكافرين والمشركين .. أما من كفر من هذه الأمة كفرًا صريحا بواحا وخالف قواعد الدين وأركانه فهو كافر بما أنزل على محمد وخرج من الفرقة الاثنين والسبعين وخرج من أمة محمد . ومن أمثال هؤلاء الخارجين النصيرية [العلوية] والقرامطة والإسماعيلية. والدروز والقاديانية والبهائية والبابية ومن الفرقة الباطنية الكافرة المعاصرة فى أمريكا وتنتسب إلى الإسلام بهتانا وزورًا فرق تسمى الأليجية والفرهخاتية » و« جمعية أنصار الله » . ومن الخوارج اليزيدية والميمونية .

## أهم أسباب الاختلاف بين المسلمين بعد النبى ﷺ :

هناك أسباب عديدة لاختلاف المسلمين بعد النبى ﷺ منها كما يرى مولانا الشيخ محمد أبو زهرة[٢] منها « العصبية العربية » مع أن الإسلام حارب العصبية فيقول تعالى : ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ والرسول ﷺ

---

(١) المرجع السابق ص٢١٩ جـ٢٢ تفسير الرازى طبعة أحياء التراث العربى. يقول فيليب حتى «وللعلماء العصريين نظريات فى أصل هذا الحديث وكيفية نشوئه. فمنهم «بالجريف» Palgrave الذى أرجع فرق النصارى الاثنتين والسبعين إلى تلامذة المسيح الاثنتين– والسبعين المنصوص عليهم فى العهد الجديد وشتنشنيدر Steinschneider فى مجلة المستشرقين الألمانية ZDMG مجلد ٤ ص ١٤٧ الذى رد القول بفرق اليهود الإحدى والسبعين إلى رواية العهد القديم بشأن انتخاب موسى سبعين رجلاً من بنى إسرائيل ، وجولد زهيرGoldzilrer

Le Dog me et la loi de l'islam : page 157. Revue de lzhistoire de Religions : part 26. page 129.

أن الحديث فى وضعه الأصح إنما هو الحديث الوارد للمرة الأولى فى صحيح البخارى ١ : ٨ « الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان » « وأنه بتوالى الأعوام أسيىء فهم المقصود من « شعبة » فصيلة وحرّف الحديث بحيث أصبح ما هو عليه » .

فيليب حتى هامش [مختصر كتاب الفرق بين الفرق « للرّسْعَنى » ]. ص ١٥

والحقيقة أن هذه وجهة نظر مستشرقين غير موضوعيين فحديث « افتراق الأمة على ثلاث وسبعين له أسانيد كثيرة وطرق متعددة ، وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبى هريرة وأبى الدرداء ، وجابر ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وغيرهم . وكلهم متفقون على رواية الحديث .

(٢) فى كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية جـ١ فى السياسة والعقائد ص ١١ وما بعدها باختصار .

يقول « ليس منا من دعا إلى عصبية » . ويقول « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » .

وقد اختفت العصبية فى عصر النبى ﷺ بهذه البينات الواضحات واستمر اختفاؤها إلى عصر الخليفة الشهيد « عثمان بن عفان » ، ثم انبعثت فى آخر عهده قوية عنيفة ، وكان انبعاثها له أثر فى الاختلاف بين « الأمويين » و« الهاشميين » أولاً ، ثم الاختلاف بين « الخوارج » وغيرهم ، فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب « الخوارج » من القبائل « الربّعية » ، لا من القبائل « المُضرية » ، والنزاع بين الربّعيين والمُضَريّين معروف فى العصر الجاهلى ، فلما جاء الإسلام أخفاه ، حتى ظهر فى نحلة الخوارج .

ومنها التنازع على الخلافة :

وقد انبعث ذلك النوع من الخلاف عقب وفاة النبى ﷺ مباشرة ، فقد قال الأنصار نحن آوينا ونصرنا فنحن أحق بالخلافة . وقال المهاجرون . نحن أسبق إلى الإسلام ، فنحن أحق . ولكن قوة إيمان « الأنصار » حسمت الخلاف ، ولم يظهر له أى أثر ، وقد اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة . من يكون أحق بها ؟ أيكون من « قريش » جمعاء ، أم يكون من أولاد على خاصة ، أم يكون من المسلمين أجمعين : لا فرق بين قبيل وقبيل ، وبيت وبيت ؟ فالجميع أمام الله تعالى سواء ، والله يقول : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ والنبى ﷺ يقول « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » .

وهكذا انقسم المسلمون إلى « خوارج » و« شيعة » وجماعات أُخر .

وأيضًا من أسباب اختلاف المسلمين ، مجاورتهم لكثيرين من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم فى الإسلام .

فقد دخل فى الإسلام يهود ونصارى ومجوس ، وكان بعضهم يفكر فى الحقائق الإسلامية على ضوء اعتقاداتهم القديمة فأثار بين المسلمين ماكان يثار فى ديانتهم من الكلام فى الجبر والاختيار، وصفات الله تعالى. أهى شيء غير الذات أم هى والذات شيء واحد .

وهناك أيضًا من دخل الإسلام ظاهرًا وأبطن الكفر وما كان دخوله الإسلام إلا ليفسد على المسلمين أمور دينهم الحنيف ، ويبث فيه الأفكار المنحرفة ويقول فى هذا المقام ابن حزم فى كتابه الفصل[1] .

---

(١) ابن حزم ، الفصل ، جـ ٢ ص ٩١ .

« والأصل فى خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانوا من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة النظر فى أنفسهم حتى كأنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون جميع الناس عبيدًا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا ، تعاظمت الأمور ، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات كثيرة ، ففى كل ذلك كان يظهر الله الحق .. فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل البيت ، واستشناع ظلم على رضى الله عنه حتى أخرجوهم عن الإسلام .

وهذا الكلام وإن كان قد اقتصر فى المثال على التشيع كما يقول المرحوم الشيخ أبو زهرة ، كالذى كان يفعله السبئية[1] ، فإنه أيضًا ينطبق على كثير من الطوائف الأخرى ، ففى كل فرقة كان من هؤلاء ، كابن الراوندى فى المعتزلة ، و« المشبهة » و« المجسمة » فى غيرهم .

وأيضًا من أسباب الاختلاف ورود المتشابه فى القرآن .

يقول تعالى : ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات ، هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وما يعلم تاويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [آل عمران : ٧]

بهذه الآية ثبت ورود المتشابه فى القرآن الكريم ، ليختبر الله سبحانه وتعالى قوة الإيمان فى المؤمنين ، وقد كان وروده سببًا فى اختلاف العلماء فى مواضع المتشابهات من القرآن الكريم ، وحاول كثيرون من ذوى الأفهام تأويله ، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه ، فاختلفوا فى التأويل اختلافًا مبينًا ، ومن العلماء من أرادوا أن يجعلوا بينها وبينهم حجابًا مستورًا ، فيما كانوا يؤولون ، بل كانوا يتوقفون ويقولون : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ [آل عمران : ٨] .

ومن أسباب الاختلاف التعرض لبحث كثير من المسائل المختلف فيها . وذلك نتيجة شيوع التفكير الكلامى والفلسفى بين علماء المسلمين فى إثبات العقائد والحجاج والدفاع

---

(١) لا تعد السبئية من الفرق الإسلامية لأنها من الطوائف الذين عملوا على هدم قواعد الإسلام كما سنبين بإذن الله .

عن العقيدة ، وقد جرهم ذلك إلى دراسة مسائل ليس فى استطاعة العقل البشرى أن يصل إلى نتائج مقررة ثابتة فيها ، كمسألة إثبات صفات الله تعالى ونفيها ، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب ، وغير ذلك من المسائل التى تختلف فيها الأنظار وتتباين المسالك ، ويتجه كُلٌّ اتجاهًا يخالف الآخر . وقد أشرنا من قبل إلى ذلك .

## ثانيا : كيف افترقت الأمة الإسلامية :

مات رسول الله ﷺ وقد ترك أمته الإسلامية على المحجة البيضاء تاركًا فيهم كتاب الله وسنته المطهرة ، ولو أن أمة القرآن فهمت ووعت ما فى القرآن من دعوة إلى الاعتصام بحبل الله جميعا وعدم التفرق والحذر من أعدائهم وأعداء دينهم الحنيف ، ولو أنهم ابتعدوا عن الأهواء والعصبية والمطامع والمآرب ما تفرقوا أبدًا إلى شيع وفرق .

ولعل أول خلاف وقع بينهم هو خلافهم فى موت رسول الله ﷺ فأنكر بعضهم موته ، وقالوا : إنه لم يمت وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام . وقد حسم هذا الخلاف حين تلا الصديق رضى الله عنه قول الله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [ الزمر : ٣٠]

وقال لهم قولته المشهورة : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات . ومن كان يعبد ربَّ محمد فإن رب محمد حى لا يموت » .

وكان اختلاف المسلمين الثانى يدور بينهم حول موضع دفنه الشريف ﷺ فهناك من أشار بدفنه بمكة المكرمة حيث مولده ونشأته وصباه ومبعث رسالته الشريفة ، وحيث قبلة المسلمين وبيت الله الحرام ، وقبر جده إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وأشار أهل المدينة بدفنه بالمدينة المنورة التى أعزت الإسلام ونصرت الرسول ﷺ وأشارت طائفة أخرى بنقله ودفنه بالأرض المقدسة عند قبر جده إبراهيم عليه السلام ، ومرّة ثانية يحسم الصديق هذا الخلاف بما رواه عن الرسول ﷺ « إن الأنبياء يدفنون حيث يُقبضون » . فدفنوا رسول الإنسانية جمعاء فى حجرته الشريفة .

ثم كان هناك أضخم وأخطر مشكل واجه الإسلام بل ظل يواجهه فى سائر عصوره وهو مشكل الإمامة . فبعد وفاته ﷺ قال القرشيون إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش . وقال الأنصار نحن الذين ناصرنا الرسول وأيدناه ودعوا إلى مبايعة سعد بن عبادة الأنصارى ، فلما سمع الأنصار قول الرسول ﷺ من حديثه الشريف « الأئمة من قريش » سلموا الأمر للمهاجرين وبايعوا الصديق التيمى القرشى ، والصديق هو الذى قال فيه الرسول « لو كنت

متخذًا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلاً » وهو صاحبه فى الهجرة وهو الذى نصر الرسول والإسلام فى مواقف كثيرة ، وهو الذى أنابه عنه فى الصلاة فى مرضه الأخيرة .

ولم يكن « على » حاضرًا هذا الاجتماع الذى تم فيه اختيار الصديق أميرًا للمؤمنين وذلك لانشغاله وأهل بيته فى الإعداد لدفن رسول الله ﷺ فلما بلغه خبر البيعة تأثر بعض الوقت لأنه كان يرى بالذات أنه أولى بالإمارة لأنه أول من أسلم وهو صبى ، وأقرب الناس رحمًا لرسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ولجهاده المعروف فى سبيل الإسلام . وقد قيل إن عليا سأل عما حدث فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا له : احتجت قريش بأنها شجرة الرسول ﷺ فقال علىّ « احتجوا بالشجرة ، وأضاعوا الثمرة » .

ولم يبايع الإمام علىّ أبا بكر الصديق إلاّ بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء . وقيل فى رواية أخرى إنه بايع بعد أربعين يومًا[1] ومن المحتمل أن يكون السبب فى ذلك موضوع

---

(١) ومن الروايات الشهيرة فى تخلف علىّ وبنى هاشم عن المبايعة لأبى بكر ما أورده ابن قتيبة فى كتابه « الإمامة والسياسة » وذكره الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه عن أبى بكر الصديق جـ١ ص ٦٢ و٦٤ : باختصار تقول الرواية أن عمر بن الخطاب ذهب فى عصابة إلى بنى هاشم بعد أن تمت البيعة لأبى بكر ، وطلب إليهم أن يخرجوا فيبايعوا كما بايع الناس ، وكان بنو هاشم فى بيت على . وقد أبوا وأبى من كان معهم أن يجيبوا دعوة عمر ، بل خرج الزبير بن العوام إلى عمر وأصحابه بالسيف . قال عمر لأصحابه : عليكم بالرجل فخذوه ، فأخذوا السيف من يده ، فانطلق فبايع . وقيل لعلى بن أبى طالب : بايع أبا بكر ، فقال : « لا أبايعكم وأنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لى . أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليه عليه بالقرابة من النبى ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غصبًا ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم ، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة . فإذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار . ونحن أولى برسول الله حيا وميتا . فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلاّ فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون » .

قال عمر : « إنك لست متروكًا حتى تبايعَ »

وأجاب على فى حرارة وقوة : « احلُبْ حلبًا لك شطره ، وشدَّ له اليوم يردده عليك غدًا ، والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه » . وخشى أبو بكر أن يبلغ الحوار بينهما العنف ، فتدخل بين الرجلين وقال : « فإن لم تبايع فلا أكرهك » . وتوجه أبو عبيدة بن الجراح إلى علىّ متلطفًا فقال : « يا بن عم ، إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واستطلاعًا ، فسلّم لأبى بكر هذا الأمر ، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك »

هنا ثار علىّ وقال : « والله الله يا معشر المهاجرين ! لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره ومقر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، وتدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن أحق لناس به لأننا أهل البيت . ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه فى دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية . والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدًا » هذا وينكر بعض المؤرخين تخلف بنى هاشم أو غيرهم من المهاجرين إنكارًا صريحًا . ويذكرون أن أبا بكر بويع بعد السقيفة بإجماع لم يتوقعه أحد . روى=

« فَدَك » ذلك أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها والعباس عم رسول الله ﷺ أتيا أبا بكر بعد استخلافه يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ فى أرض فَدَك وفى سهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر : « أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة . إنما يأكل أهل محمد فى هذا المال . وإنى والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته » فغضبت فاطمة لذلك وهجرت أبا بكر . وقد مكثت فاطمة ستة أشهر بعد وفاة أبيها . وكان علىّ يغاضب أبا بكر غضبًا لفاطمة زوجه . فلما ماتت مال إلى مصالحته وصالحه .

أما الذين ينفون التخلف عن بيعة أبى بكر فيرون أن روايات هذا التخلف مختلقة وموضوعة ، وضعت فى عهد العباسيين لأهداف سياسية ، أما معظمهم فيرجحون أنها وضعت قبل عهد العباسيين ، ومنذ اختلف بنو هاشم وبنو أمية على الأمر إبان حروب الإمام على ومعاوية بن أبى سفيان . وهؤلاء يقولون « إن امتداد الفتح إلى العراق وفارس أدى بجماعة من الفرس لابتداع هذه الأقاويل ، وقد استَجَمَّتْ هذه الجماعة من الفرس بعد انتصار الأمويين وأقامت فى استجمامها تتحين الفرص حتى تهيأت لأبى مسلم الخراسانى ، فكان من أمره وأمر العباسيين ما كان »[1] .

وإذا كان المسلمون قد افترقوا عند موت النبى وعند دفنه وفى مسألة الإمامة وفى مسألة ميراث الأنبياء و« فدك » ، فإنهم اختلفوا بعد ذلك فى قتال مانعى الزكاة فى عهد أبى بكر ثم أجمعوا أمرهم مع أبى بكر الصديق على ضرورة قتالهم حين قال قولته

---

=الطبرى حديثا بإسناده أن سعيد بن زيد سئل : أشهدْت وفاة رسول الله قال نعم ، قيل : فمتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة . قيل : أخالف عليه أحد ؟ قال : لا ، إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله عز وجل تنقذهم من الأنصار . قيل : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم .

وفى رواية أن علىّ بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنبأه أن أبابكر قد جلس للبيعة فخرج فى قميص له ما عليه إزار ولارداء عجلاً كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه .

وتجرى بعض الروايات فى أمر على وبيعته مجرى وسطًا . من ذلك ما قيل من أن ابا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا به فجاء فقال : له ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه ، أردت أن تشق عصا المسلمين . فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه . ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًا . فدعا به فجاء فقال له : ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه » .

(١) هيكل ، محمد حسين ، الصديق أبو بكر ص ٦٧.

المشهورة : « والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه » ؛ وحين قال عمر بن الخطاب : « كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله ، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله » . فرد عليه الصديق قائلا : « والله لأقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال » وقد قال : « إلا بحقها » . ويقال إن عمر قال : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

واختلف المسلمون بعد ذلك فى شأن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وحدث فى عهده فتن لها أسباب كثيرة يوضحها الإمام الشيخ محمد أبو زهرة منها[1] .

١ – سماحه لكبار المهاجرين والمجاهدين الأولين بالذهاب إلى الأمصار فإن أولئك انسابوا فى الأقاليم الإسلامية بعد أن كان « عمر » رضى الله عنه قد منعهم من الخروج من المدينة إلا لولاية يتولونها أو لقيادة جيش يقودونه ، وكان منعه لهم سببه أنه يريد أن ينتفع بهم ، وخشية أن يفتن الناس بهم ، وأن ينقدوا الحكام بما لهم من سابقة ، فأبقاهم عنده لينتفع هو بنقدهم .

فلما أذن لهم عثمان رضى الله عنه كان منهم نقد للخليفة ، ونقد للحكام وانظر إلى ما كان يقوله « أبو ذر الغفارى » ، فإنه يروى أنه كان يقول بالشام : « والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها .. والله ما هى من كتاب الله ، ولا سُنّة نبيه ... والله إنى لأرى حقا يطفأ ، وباطلاً يحيا وصادقًا مكذبًا ، وأثرة بغير تقى ومالاً مستأثرًا به » .

ولذا قال « حبيب الفهرى » لمعاوية : إن أبا ذرّ لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة ، فشكا معاوية » « أبا ذر » إلى عثمان فأحضره إلى المدينة ، ثم نفاه إلى « الربذة » .

وإذا كان « أبو ذر » قد تدورك فى الشام ، فلا شك أن غيره أثر أثره فى غير الشام ، وإن فى السامعين أقوامًا حديثى عهد بكفر ، وفيهم من يدعون إلى الفتنة ، وفى غيرهم سماعون لهم .

٢ – ومن أسباب الفتنة فى عهد عثمان اشتهار سيدنا عثمان رضى الله عنه بحبه لقرابته – وليس فى ذلك إثم ولا لوم – ولكنه ولاّهم وقربهم وكان يستشيرهم فى كثير من شئون الدولة ، وفيهم من ليس أهلاً للثقة ، وكان بعض أقاربه يحرضون سيدنا عثمان

---

(١) أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٢٧ ، ٣٠ باختصار .

على عدم الالتفات إلى لوم اللائمين ، ونقد الناقدين . يروى فى ذلك أن عثمان لما أحاط به الذين تألبوا عليه ، وجاءوا إليه من « مصر » و « الكوفة » استعان بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى صرف المصريين ، فصرفهم ، وأشار عليه على بأن يكلم الناس بكلام يسمعونه ، يشهد الله على ما فى قلبه من النزوع والإنابة ، فتكلم بكلام ، فَرَقّ له الناس ، وبكى كثيرون منهم . وارتدت القلوب الشاردة ، ولكن « مروان بن الحكم » جاء إليه ، وقال له : بأبى أنت وأمى ، والله لو ددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها ، وأعانك عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين[1] ، وخلف السيل الزبى[2] ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها ، أجمل من توبة تخوف عليها ، وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ، ولم تقر بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس ، فقال عثمان فاخرجْ إليهم ، فكلمهم فإنى لأستحى أن أكلمهم ، فخرج مروان بن الحكم إلى الباب ، والناس يركب بعضهم بعضًا ، فقال : ما شأنكم فقد اجتمعتم كأنكم اجتمعتم لنهب ، شاهت الوجوه ، كل إنسان أخذ بأذن صاحبه ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا . أخرجوا عنا . والله لئن رميتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ، ولا تحمدوا غب رأيكم ... ارجعوا إلى منازلكم ، فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما فى أيدينا »[3] .

ولقد كان من نتائج هذا توليته ولاة من أقاربه ، وبعض هؤلاء لم يكونوا من ذوى السبق فى الإسلام وبعضهم كان النبى ﷺ قد أباح دمه ، إذ ارتد بعد إيمان كعبد الله بن سعد بن أبى السرح » وقد ولاّه بعد « عمرو بن العاص » وقد أخذ هذا يؤلب الناس على عثمان بسبب ذلك حتى كان يقول : « والله إن كنت لألقى الراعى فأحرضه عليه » . وانتشرت بتولية « عبد الله » قالة السوء عنه إذ أخذ الناس يتحدثون عنه ، وهو الرجل الذى آمن ثم كفر ، ثم كذب على رسول الله ﷺ .

ولم يكن عبد الله بن أبى السرح كيسًا رحيمًا ، بل كان غليظًا قاسيًا وجريئًا فى مخالفة عثمان . ولا شك أن فعل مثل هذا الوالى من شأنه أن يثير النقمة على أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه وقد كان ، فإن المصريين كانوا أول الناس انتقاضًا وذهابًا إلى المدينة ، لمحاصرة سيدنا عثمان رضى الله عنه . فإن فعل ابن أبى السرح هذا يجعل الناس

---

(١) الطُبى : بضم الطاء وكسرها حلمة الثدى ، وبلغ الحزام الطبيين مثل يضرب للشدة .
(٢) الزبى : المرتفعات من الأرض .
(٣) المرجع السابق ص ٢٩ نقلاً عن الطبرى جـ ٥ ص ١١٢ .

ييئسون من إقامة العدل . وفى اليأس من العدل فتح باب الشر والفتن ، والقتل والقتال ، إذ الشعور بالعدل هو الحاجز الحصين دون الفتن .

ومن أسباب الخلاف أيضًا تساهل ولين سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فتساهله مع عماله – ولم يكن بعضهم عدلاً – جعل الناس ييئسون من عدلِه ، فلم يكن كعمر حازمًا مع ولاته ، وخصوصًا فى معاملتهم للرعية ، وكان شعار عمر : خير لى أن أعزل كل يوم واليًا ، من أن أبقى واليًا ظالمًا ساعة من زمان .

ولم يكن عثمان رضى الله عنه حازمًا مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره ، وحصبوه وهو على المنبر ، ولو أنه أخذ أولئك العصاة بالشدة عندما تحركت رؤوس بالانتفاض والفتنة ، حتى يعلموا أن الفتنة ليست وسيلة للعلاج ، ثم بعد ذلك يرد الحق إلى نصابه . ويعزل الولاة الظالمين – لأدّى ذلك إلى نجاته ، وإلى استتباب أمن المسلمين وحسم الخلاف ، ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته ، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم ، وقد منعهم سيدنا عثمان رضى الله عنه إيثارًا للعافية . ومنعًا للقتل والقتال بين المسلمين . فكان هو رضى الله عنه أول فداء . وكان قتله ابتداء بلاء للمسلمين ، وفتح باب فتنة أخذت تموج كموج البحر .

ومن أسباب الخلاف بين المسلمين وجود طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله ، وقد دخلوا الإسلام ظاهرًا وأضمروا الكفر باطنًا ، فأخذوا يشيعون السوء عن ذى النورين عثمان ، ويذكرون على بن أبى طالب رضى الله عنه بالخير . وينشرون روح النقمة فى البلاد ويتخذون مما يفعله بعض الولاة ذريعة لدعايتهم ، وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء « عبد الله بن سبأ » ، وقد قال فيه ابن جرير الطبرى : كان « عبد الله بن سبأ » يهوديا من أهل صنعاء ، أمه أمة سوداء فأسلم زمان « عثمان » ثم تنقل فى بلدان المسلمين ، يحاول ضلالهم ، فبدأ ببلاد « الحجاز » ثم « البصرة » ثم « الشام » فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى « مصر » فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أن « عيسى » يرجع ، ويكذب بأن محمدًا يرجع . وقد قال الله تعالى : ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ . ثم محمد أحق بالرجعة من عيسى .

ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي ، وكان على وصي محمد . ثم قال : خاتم النبيين محمد وعليّ خاتم الأوصياء .

ثم قال بعد ذلك : « إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وأيدوه بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لتستميلوا الناس ... فبث دعاته ، وكان ما كان ممن استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبًا يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ... وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون » .

ومن ذلك يتضح لنا خطر عبد الله بن وهب بن سبأ على الإسلام فهو أول من أحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب بالإمامة بالنص ، وهو أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ﷺ أيضًا .

وهو أول من أحدث القول بأن عليًا رضي الله عنه لم يقتل ، وأنه لا يزال حيا ، وأنه يسكن السحاب وأن الرعد صوته ، وأن البرق سوطُه وأن فيه جزءًا إلهيًا وأنه لابد أن ينزل إلى الأرض فيملؤها عدلا كما ملئت جَوْرًا ، وأثر اليهودية واضح في هذه المسائل ، وهكذا استطاع عبد الله بن سبأ اليهودي أن يبث سمومه وأفكاره الخطيرة في الفكر الإسلامي[١] ، فأما الرافضة فإن السبئية منهم من قال للإمام علي أنت الإله فأحرق منهم من أحرق ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن .

وقد افترقت الروافض بعد علي رضي الله عنه إلى أربعة فرق :

---

(١) كان لتعاليم ابن سبأ أثر كبير في أفكار الغلاة من الرافضة والشيعة . فالإسماعيلية مثلاً يقولون بأن الإمامة محصورة في ولد إسماعيل بن جعفر الصادق .

وبعض الإمامية يذهبون إلى القول بغيبة الإمام ورجعته إلى الدنيا بعد الموت ، وهو ما يشير إليه قوله كثير عزة :

وسبط لا يذوق الموت حتى    يقود الخيلَ يقدُمها اللواء
تغيب لا يُرى فيهم زمانًا    برضوى عنده عسل وماء

زيدية[١] ،وكيسانية[٢] ، وغلاة[٣] والغلاة خارجون عن الإسلام ، وأما الزيدية أو الإمامية[٤] فمعدودون فى فرق الأمة .

---

(١) الزيدية من الرافضة معظمها ثلاث فرق وهى : الجارودية والسليمانية – وقد يقال لها الجريرية ، والأبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى أيام خروجه فى زمان هشام بن عبد الملك . وقد ظهرت الزيدية فى مبدأ القرن الثانى الهجرى . وكان الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك يخشى زيدًا على سلطانه بُعد أن اتهمه أمير العراق بأنه يهدف إلى الخلافة .
ومذهب الزيدية أقرب مذاهب الشيعة إلى الجماعة الإسلامية لأنهم لم يغلوا فى عقائدهم ولم يكفر الأكثرون منهم أحدًا من الصحابة ولم ترفع الأئمة إلى درجة النبوة أو الألوهية ومن أهم مبادئ الزيدية : الإمامة فى أولاد فاطمة دون غيرهم ويشترط أن يكون فاطميًا وربما تقيًا سخيًا شجاعًا يخرج داعيًا الناس لنفسه . وتجب طاعته . ولا يقول بالتقية . والإمام عندهم منصوص عليه بالوصف لا بالاسم ، والإمامة عند الزيدية من المصالح العامة التى تفوض إلى المسلمين لاختيار من يرونه صالحًا لها ، كما يجوز خروج إمامين فى قطرين مختلفين دون قطر واحد . كما يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، فلو اختار أهل الحل والعقد إمامًا لم يستوف الشروط وبايعوه صحت بيعته . وبنى على صحة هذا بيعة أبى بكر وعمر وعثمان وإن كان على أحق وأولى منهم ، ولهذا لا يمنع أن يكون المفضول إمامًا والأفضل « قائم » يرجع إليه فى الأحكام ويفتى فى القضايا ، لكن لما سمعت شيعة الكوفة منه ذلك رفضوا معاونته لما أعلن الخروج على بنى أمية فَسُمُّوا بالرافضة . ولم يجد زيد حوله عند الالتحام غير قلة قليلة فمات ثم صلب سنة ١٢١ هـ وكان يقول بتخليد مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب فى النار وذلك أثر تلقاه عن واصل بن عطاء وهذا من أسباب خروج الشيعة عليه أيضًا .

(٢) الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبى طالب وهم فرق كثيرة ترجع عند التحصيل إلى فرقتين : إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حى لم يمت ، وهم على انتظاره ، ويزعمون أنه المهدى المنتظر ، والفرقة الثانية مُقرون بإمامته وبموتهِ وينقلون الإمامة بعده إلى غيره .

(٣) فمن الغلاة من زعموا أن روح الله دارت فى الأنبياء حتى صارت فى (بيان بن إسماعيل التميمى) وأصحاب هذا الرأى يسمون (البيانية) ويزعمون أن الإمامة صارت إلى (بيان) بعد (ابن الحنفية) بوصية منه فيقولون بتناسخ روح الله تعالى دون أرواح العباد ، وقد صلب خالد بن عبد الله القسرى ، والى العراق (بيانًا) هذا .
ومنهم (الجناحية) أتباع (عبد الله بن معاوية ذى الجناحين) كانوا يعتقدون أن روح الله دارت فى الأنبياء كما كانت فى على وأولاده وزعموا أن كل ما فى القرآن الكريم من تحريم الميتة والخمر ولحم الخنزير كناية عن قوم من أعداء على . ومنهم أيضًا (المفوضة) ينسب إليهم القول بأن الله خلق محمدًا عليه السلام وفوض إليه خلق العالم وتدبيره ، وقال بعضهم بل كان التفويض إلى « علىّ » كرم الله وجهه .
وغلاة الشيعة هم الذين قالوا بإلهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة كالبيانية ، والجناحية ، والمفوضة وفرق أخرى عديدة منها المغيرية ، والمنصورية ، والخطابية والحلولية – فما هم من فرق الإسلام .

(٤) الإمامية : هم القائلون بأن إمامة على ثابتة بالنص عليه بالذات من النبى صلى الله عليه وسلم نصًا ظاهرًا من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة بالعين . وسموا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة . وهم يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم نص على تعيين علىّ لأنه ليس فى الدين أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقة النبى للدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، لأنه بعث لتقرير الوفاق ورفع الخلاف فلا يجوز أن يفارق ويتركهم هملاً ولهذا يستدلون على تعيين علىّ بن أبى طالب بقوله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه » ومثل « أفضلكم على » وغير ذلك مما يدعون صدقه ودلالته ويشك فيه بعض علماء الحديث الشريف كما سنبين فى القسم الثالث إن شاء الله .
=

وهكذا أخذت أفكار ابن سبأ المسمومة تنهش فى جسم الأمة الإسلامية وتعمل على تفرقتها وبذر الفرقة بينها . ونجحت فى صنع الخلاف وبذر معركة أصحاب الجمل ، وصنعت فى صفين معركة ، وكانت بذور سمومها واضحة فى مسألة الحكمين . وهذا هو الخلاف الخطير الحقيقى فى جسم الإسلام الذى أدى إلى انقسام المسلمين إلى « شيعة » على وهم الذين قالوا بخلافته نصا وتعينًا و « خوارج » وهم الذين خرجوا على علىّ لرضائه بالتحكيم . فأول فرق الإسلام هم الشيعة والخوارج ثم اختلفت الخوارج فصارت نحوًا من عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها .

وبين الشيعة والخوارج ظهرت فرقة جديدة هى المرجئة(١) وسبب نشأة هذه الطائفة أنه لما انقسم أتباع سيدنا على بن أبى طالب ، بسبب رضائه عن التحكيم ، إلى خوارج وشيعة وكانت الخوارج يكفرون عليا وعثمان والقائلين بالتحكيم والشيعة منهم من يكفر الصديق وعمر وعثمان ، وكلاهما يكفر الأمويين . وكان ذلك سببًا فى أن جماعة من

---

= فالإمامة عندهم ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها باختيار المسلمين ، ولكنها ركن الدين وقاعدة الإسلام فلا يجوز للرسول إغفالها وإنما يجب عليه أن يعين إمامًا للمسلمين يكون معصومًا من الصغائر والكبائر .

والاعتراف بالإمام جزء من حقيقة الإيمان وبدونه يكون الشخص كافرًا .

ولم يقتصر الإمامية على القول باستحقاق على الخلافة دون سائر الصحابة بل حكموا على من تولى الخلافة غيره ومن بايعوه بمخالفة النصوص ووصفوهم بالكفر وحكموا ببطلان خلافتهم لأنهم مغتصبون ظالمون .

وقد جعل « الإمامية » سلسلة الخلافة بعد على فى أولاد فاطمة وذرية الحسين .

ومن مبادئ الإمامية القول باختفاء الأئمة ورجعتهم . ومن مبادئهم أيضًا التقية : ومعناها المداراة والمصانعة ، والمقصود منها عند الشيعة النظام السرى الذى يكتمونه عن الناس ويسيرون على تعاليمه فى الدعوة إلى إمامهم المنتظر وإظهار الطاعة لمن بيده الأمر حتى يأنسوا بقوتهم فيحملوا السلاح فى وجه الدولة القائمة .

وقد اتفق الإمامية على أن الإمام الأول عندهم على بن أبى طالب ثم ابنه الحسن ثم أخوه الحسين ثم ابنه على زين العابدين وليس للحسين عقب إلا منه والخامس محمد الباقر بن على زين العابدين ثم ابنه الإمام جعفر الصادق وبعد جعفر هذا بدأ انقسام الإمامية لاختلافهم فى تسلسل الأئمة إلى فرق متعددة .

فالإمامية خمس عشرة فرقة : المحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشُّميطية ، والعمارية ، والإسماعيلية ، والمباركية ، والموسوية ، والقطعية ، والإثنى عشرية ، والهشامية من أتباع هشام بن الحكم أو هشام بن سالم الجواليقى ، والزرارية من أتباع زرارة بن أعين ، واليونسية . من أتباع يونس القُمّى ، والشيطانية – من أتباع شيطان الطاق . والكاملية – من أتباع أبى كامل وهو أفحشهم قولاً فى علىّ وفى سائر الصحابة رضوان الله عليهم .

(١) كلمة المرجئة مأخوذة من أرجأ بمعنى أمهل وأخر ، سُموا المرجئة لأنهم يرجئون أمر المختلفين الذين سفكوا الدماء إلى يوم القيامة فلا يقضون بحكم لا على هؤلاء ولا على هؤلاء ، وبعضهم يشتق اسمهم من أرجاء بمعنى بعث الرجاء لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . والمرجئة خمس فرق : يونسية ، وغسانية ، وثوبانية ، وتؤمنية ، ومريسية. واتفق فى هذا التقسيم البغدادى والمقريزى (جـ ٢ : ٣٤٩ : ٣٥٠) .

الصحابة كرهوا هذا النزاع وسلكوا طريقًا وسطًا حتى تنجلى الفتنة ولهذا امتنعوا عن الخوض فى شأن المتنازعين وأرجئوا الحكم فى شأنهم إلى الله سبحانه وتعالى . فلهذا سموا بالمرجئة .

ويقال إن أصحاب هذه الفكرة هم :

سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة وعمران بن الحصين وحسان بن ثابت ، وأبو بكرة ، أما ابن عساكر فيقول عن المرجئة « إنهم هم الشكاك الذين شكوا وكانوا فى المغازى ، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس بينهم اختلاف فقالوا تركناكم وأمركم واحد ، ليس بينكم اختلاف وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون ، فبعضكم يقول قتل عثمان مظلومًا ، وكان أولى بالعدل وأصحابه ، وبعضكم يقول كان علىّ أولى بالحق وأصحابه كلهم ثقة ، وعندنا مصدق . فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ، ولا نشهد عليهما ، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذى يحكم بينهما ، وهناك رأى آخر يقول إن أول من قال بالارجاء (هو الحسن بن محمد بن الحنفية) ولكنه لم يؤخر العمل عن الإيمان ، بل قال إن أداء الطاعات وترك المعاصى ليسا من الإيمان فلا يزول بزوالها[١] .

وقيل : أول من وضع الإرجاء بالبصرة (حسان بن بلال المزنى) وقيل : (أبو سلت السمان المتوفى ١٥٢ هـ)[٢] .

ونلاحظ أن المرجئة يبالغون فى إثبات الوعد[٣] ويرجون المغفرة لأهل المعاصى . وهم يحكمون على مرتكب الكبيرة بأن أمره مفوض لربه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، ويقولون بأن الإيمان تصديق ومعرفة ، ولهذا فإنهم لا يعيرون للعمل أدنى اهتمام ، وقد تغالى بعضهم فزعم أن الإيمان اعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الأصنام أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن ، ولذا قال زيد بن على بن الحسن : (أبرأ من المرجئة الذى أطمعوا الفساق فى عفو الله) .

---

(١) وظاهر من ذلك أن الحسن بن محمد بن الحنفية لا يذهب مذهب المرجئة من كل وجه .

(٢) ومن المرجئة طائفة الثوبانية أتباع (ثوبان) المرجيء الخارجى الذى يقول إن الإيمان هو المعرفة والإقرار ثم يقول إن الإيمان فعل ما يجب فى العقل فعله وهو هنا يقول بمذهب المعتزلة .

ومن المرجئة طائفة الضرارية أتباع (ضرار بن عمرو) الذى مع قوله بالارجاء يقول إن الله تعالى يُرى فى الآخرة بحاسة سادسة .

(٣) عكس المعتزلة المبالغين فى إثبات الوعيد .

وهكذا نلاحظ أن المرجئة كانت فى أول مبدئها رأيًا سياسيا له موقفه فى الخلاف الذى نشأ حول الخلافة ، ثم تطورت المرجئة إلى فرقة كلامية تبحث فى مسائل الإيمان والكفر ، ورأت أن الأعمال الظاهرة ليست جزءًا من الإيمان(١) .

وقالت المرجئة بأن لله وعدًا ووعيدًا وأن وعده لا يتخلف لأن الثواب الذى وعد الله به فضل منه ، ولابد من أن يفى الله بوعده ، على حين أن وعيد الله قد يتخلف ، لأنه العقاب الذى توعد الله به عدل ، ولله أن يتصرف فى عدله كما يشاء(٢) .

وهكذا تفرق المسلمون طوائف واستطاع بعض الحاقدين على الإسلام وأعدائه أن ينجحوا فى تفريق المسلمين وبخاصة ذلك اليهودى الخبيث عبد الله بن سبأ .

وإذا كان عبد الله بن سبأ اليهودى له دوره الخطير فى اختلاف المسلمين فإن رجلاً آخر نصرانيا من أهل العراق يقال له سوسن كان له هو الآخر دور فى اختلاف المسلمين فقد أظهر سوسن الإسلام وصحب معبد بن عبد الله الجهنى البصرى ، وعلمه القول بالقدر(٣) ، فكان معبد هذا أول رجل قال بالقدر فى الملة المحمدية(٤) ، وقدم مدينة الرسول ﷺ فأفسد عقول بعض الناس ، فاشتعل أهل زمانه بتحذير الناس منه ، وقد روى أن مسلم بن يسار كان يجلس إلى سارية فى المسجد يقول : إن معبدًا يقول بقول النصارى ، ومازال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان فى سنة ثمانين فقتله وصلبه بدمشق(٥) .

وقد أخذ عن معبد الجهنى غَيْلان بن مروان (أو ابن مسلم) الدمشقى فقال بالقدر

---

(١) وهذا مخالف لما قالت به الخوارج من أن الإيمان هو معرفة الله ورسله وأداء الفرائض والامتناع عن الكبائر .

(٢) وهذا مخالف لما قالت به المعتزلة الذين يبالغون فى إثبات الوعيد كما قلنا .

(٣) افترقت القدرية إلى عشرين فرقة : واصلية ، وعمرية ، والهذيلية ، والنظامية ، والأسوارية ، والمعمرية ، والإسكافية ، والجعفرية ، والبشرية ، والمُرادية ، والهشامية ، والتمامية ، والجاحظية ، وأصحاب صالح ، والمونسية ، والكعبية ، والجبائية ، والشحّامية ، والبهشمية أو الهشيمية (المنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى) والخياطية ، والحائطية ، والحمارية . فهذه ثنتان وعشرون فرقة ، ثنتان منهما ليستا من فرق الإسلام وهما الحائطية والحمارية .

(٤) يروى أن معبد بن خالد الجهنى سمع من يتعلل فى المعصية بالقدر ، فقال فى الرد عليه : « لا قدر والأمر أنف » أى أن الأمور يستأنف العلم بها ، وتستأنف بالتالى إرادتها ، وكأنه بذلك نفى الإرادة الأزلية ، ونفى العلم الأزلى القديم ، وذلك ليخرج فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخالق سبحانه وتعالى . فالقدرية قالوا بحرية الإرادة وقدرة الإنسان على أعماله . وقد رددوا هذا بالشام والعراق . والقدرية ضد الجبرية وقد مهدوا للمعتزلة وتلاشوا فيهم ، بل إن المعتزلة يسموا أحيانًا بالقدرية .

(٥) الكامل لابن الأثير جـ ٤ ص ١٨٩ .

خيره وشره : إنه من العبد ، وقال فى الإمامة : « إنها تصلح فى غير قريش ، وإن كلّ من كان قائمًا بالكتاب والسنة كان مستحقا لها ، وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة » .

وغيلان الدمشقى ظل داعيًا للقدرية بالشام ، وقد ناقشه عمر بن عبد العزيز ، وكتب هو إليه كتبًا يدعوه فيها إلى التمسك بالعدل ، ومن هذه الكتب كتاب أرسله إلى عمر جاء فيه :

« أبصرت يا عمر وما كدت ، ونظرت وما كدت ، اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقًا باليًا ، ورسمًا عافيًا ، فيا ميت بين الأموات ، لا ترى أثرًا فتتبع . ولا تسمع صوتًا فتنتفع ، طُغى على السنّة ، وظهرت البدعة ، أخيف العالم فلا يتكلم ، ولا يعطى الجاهل فيسأل وربما نجت الأمة بالإمام ، وربما هلكت بالإمام ، فانظر أى الإمامين أنت فإنه تعالى يقول : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ فهذا إمام هدى هو ومن اتبعه شريكان . وأما الآخر ، فقال تعالى : ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون﴾ ولن تجد داعيًا يقول : « تعالوا إلى النار ، إذن لا يتبعه أحد ، ولكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى معاصى الله سبحانه وتعالى فهل وجدت يا عمر حكيمًا يعيب ما يصنع ، أو يصنع ما يعيب ، أو يعذب على ما قضى ، أو يقضى على ما يعذب عليه . أم هل وجدت رحيمًا يكلف العباد فوق الطاقة ، أو يعذبهم على الطاعة ، أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم ، وهل وجدت صادقًا يحمل الناس على الكذب والتكاذب ، كفى ببيان هذا بيانًا ، وبالعمى عنه عمى »[1] . وروى أن عمر بن عبد العزيز دعاه وناقشه فى نحلته ، وقطع حجته . فقال غيلان له : يا أمير المؤمنين . لقد جئتك ضالا فهديتنى ، وأعمى فأبصرتنى . وجاهلاً فعلمتنى ، والله لا أتكلم فى شىء من هذا الأمر ، ولكن يظهر أنه عاد إلى دعوته بعد موت أمير المؤمنين ، ويقال إن عمر بن عبد العزيز قال لغيلان أعنّى على ما أنا فيه ، فقال له غيلان ولّنى بيع الخزائن ورد المظالم فولّاه ، فكان يبيعها وينادى عليها قائلاً : « تعالوْا إلى متاع الخونة ، تعالوا إلى متاع الظلمة ، تعالوْا إلى متاع من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بغير سنته وسيرته »[2] .

وبعد موت عمر بن عبد العزيز عاد غيلان إلى دعوته حتى جاء عهد هشام بن عبد الملك

---

(١) المرتضى ، المهدى لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى ، المنية والأمل ، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور ، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

وأحسن هشام بخطر هذه الأفكار فوجدنا واليه بخراسان يقتل الجعد بن درهم لقوله إن القرآن مخلوق ، وتتبع هشام أفكار غيلان ، ولكنه يريد أن يقتله بحجة وبرهان ولهذا دعاه إلى مناقشة فقيه الشام الإمام الأوزاعى ، فناقشه حتى قطعه كما جاء فى العقد الفريد وهذه هى المناقشة كما ذكرهاصاحب « محاسن المساعى فى مناقب أبى عمر الأوزاعى » :

« كان على عهد هشام بن عبد الملك رجل قدرى [يقصد غيلان] ، فبعث هشام إليه فقال له : قد كثر كلام الناس فيك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ادع من شئت فيجادلنى ، فإن أدركت على بذلك فقد أمكنتك من علاوتى [أى رقبتى ونفسى] ، فقال هشام قد أنصفت .

فبعث إلى الأوزاعى ، فلما حضر قال له هشام : يا أبا عمر ناظر لنا هذا القدرى .
فقال الأوزاعى مخاطبًا غيلان اختر : إن شئت ثلاث كلمات وإن شئت أربع كلمات ، وإن شئت واحدة .

فقال القدرى (غيلان) : بل ثلاث كلمات .

فقال الأوزاعى : أخبرنى عن الله عز وجل هل قضى على ما نهى ؟

فقال القدرى غيلان : ليس عندى فى هذا شيء .

فقال الأوزاعى : هذه واحدة ، ثم قال : أخبرنى عن الله عز وجل أحال دون ما أمر .

فقال القدرى : هذه أشد من الأولى ، ما عندى فى هذا شيء .

فقال الأوزاعى : هذه اثنتان يا أمير المؤمنين ، ثم قال أخبرنى عن الله عز وجل : هل أعان على ما حرم ؟

فقال القدرى غيلان : هذه أشد من الأولى والثانية ، ما عندى فى هذا شيء .
فقال الأوزاعى : يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات . فأمر هشام فضربت عنقه .

ثم قال هشام للأوزاعى : فسر لنا هذه الكلمات الثلاث ما هى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قضى على ما نهى ، نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بأكلها ، فأكلها يا أمير المؤمنين .

أما تعلم أن الله تعالى حال دون ما أمر ؟ أمَر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود .

أما تعلم ياأمير المؤمنين أن الله تعالى أعان على ما حرم حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير ، ثم أعان عليها بالاضطرار ...

فقال هشام أخبرنى عن الواحدة ما كنت تقول له ؟ قال كنت أقول له : أخبرنى عن الله عز وجل حيث خلقك ، خلقك كما شاء ، أو كما شئت ؟ فإنه يقول : كما شاء . فأقول له : أخبرنى عن الله عز وجل ، أيتوفاك ، إذا شئت ، أو إذا شاء ، فإنه يقول إذا شاء ، فأقول له أخبرنى عن الله عز وجل ، إذا توفاك أين تصير ، أحيث شئت أم حيث شاء ، فإنه كان يقول حيث شاء يا أمير المؤمنين ، من لم يمكنه أن يحسن خلقه ولا يزيد فى رزقه ، ولا يؤخر أجله ، ولا يصير نفسه حيث شاء . فأى شيء فى يده من المشيئة يا أمير المؤمنين ، إن القدرية ما رضوا بقول الله تعالى ، ولا بقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ، ولا بقول الملائكة ، ولا بقول أخيهم إبليس . فأما قول الله تعالى : ﴿فاجتباه ربه ، فجعله من الصالحين﴾ .

وأما قول الملائكة فهو ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾

وأما قول الأنبياء فقال شعيب عليه السلام ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ .

وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿لئن لم يهدنى ربّى لأكونن من القوم الضالين﴾ .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم﴾ . وأما قول أهل الجنة ، فإنهم قالوا : ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ .

وأما قول أهل النار فهو ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ .

وأما قول إبليس فهو ﴿رب بما أغويتنى﴾ .

وإننى أتفق مع مولانا الشيخ أبو زهرة فى قوله « وإن رواية هذه المناظرة إذا صحت ليست مناظرة تساوى الطرفان فيها ، بل كان أحدهما حرا طليقًا فى إلقاء الأسئلة » والآخر ليس عليه إلا أن يجيب من غير استفسار ، فإما الإجابة وإما السيف ، ويظهر من سياق القول أن الحكم بالإعدام ، سبقها ، فكانت تبريرًا للإعدام أمام الناس ، ولم تكن سببه

وباعثه . ومثله كمثل من يحكم ثم يسمع الشهادة لأجل تنفيذ الحكم . لا لأجل إصدار الحكم . ثم إن الأسئلة كلها تتجه نحو غاية واحدة تبلغ من الإبهام حدّ الإلغاز ، حتى إن هشامًا لم يفهم السؤال فى الأصل ، ولو كان يريد الحق لاستفسر عن المعنى قبل أن يقتل ، فكانت أشبه بالأحاجى منها بالأسئلة ، ولم تكن إذن مناقشة . بل كانت تعلة تتخذ ذريعة للقتل الذى تقرر قبلها .

ومهما يكن الأمر فى هذه المناقشة ، فإنها بلا ريب تدل على علم الأوزاعى الدقيق بالقرآن الكريم ، وعلى أنه كان على استعداد لهذه المناقشة قبل وقوعها ، وأنه أخذ الأهبة ، وقد ساق فيها آيات قرآنية كريمة تدل بظاهرها على ما ينافى القدرية »[١] .

ويذكر صاحب المنية والأمل سببا آخر لموت غيلان وهو أنه لمّا كان غيلان على بيت خزائن عمر بن عبد العزيز وكان يبيع أمتعتهم ويشتد عليهم فى القول ، ويعيب على بنى أمية إسرافهم مر به هشام بن عبد الملك ، قال : « أرى هذا بعينى ويعيب آبائى واللهِ إن ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه ، فلما ولى هشام خرج غيلان وصاحبه صالح إلى أرمينية ، فأرسل هشام فى طلبهما فجىء بهما فحبسهما أياما ، ثم أخرجهما ، وقطع أيديهما وأرجلهما وقال لغيلان : كيف ترى ما صنع بك ربّك ؟ فالتفت غيلان فقال : لعن الله من فعل هذا واستسقى صاحبه فقال بعض من حضر : لا نسقيكم حتى تشربوا من الزقوم ، فقال غيلان لصالح : يزعم هؤلاء أنهم لا يسقوننا حتى نشرب من الزقوم ، ولعمرى لئن كانوا صدقوا إن الذى نحن فيه ليسير فى جنب ما نصير إليه بعد ساعة من عذاب الله ، ولئن كانوا كذبوا فإن الذى نحن فيه ليسير فى جنب ما نصير إليه بعد ساعة من روح الله ، فاصبر يا صالح ، ثم مات صالح وصلى عليه غيلان ، ثم أقبل على الناس ، وقال : قاتلهم الله ، كم من حقٍّ أماتوه ، وكم مِن باطِل قد أحيوه ، وكم من ذليل فى دين الله أعزوه ، وكم من عزيز فى دين الله أذلوه فقيل لهشام : قطعت يدى غيلان ورجليه وأطلقت لسانه . إنه قد أبكى الناس ونبههم علىٰ ما كانوا عنه غافلين ، فأرسل إليه من قطع لسانه فمات رحمه الله تعالى »[٢] .

وعلى العكس من القدرية نجد طائفة الجبرية وكان جهم بن صفوان « ت ٧٤٥ م » أول دعاة الجبرية ، فذهب إلى أن أعمال الإنسان يخلقها الله . وكان يقول : إن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة ، وإن الله قدّر عليه أعمالاً لابد أن تصدر منه ، فالله يخلق

---

(١) أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ١٢٩ .
(٢) ابن المرتضى ، المنية والأمل ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

فيه الأفعال كما يخلق فى الجماد ، وتنسب هذه الأفعال إلى الإنسان مجازًا كما تنسب إلى الجمادات . والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال جبر ، والله قدّر لفلان فعل كذا وقدر له أن يثاب ، وقدر على إنسان آخر فعل المعصية وقدر أن يعاقب فالمجبرة أتباع جهم بن صفوان[١] يغالون فى نفى الاستطاعة عن الإنسان ويجعلونه كالريشة فى مهب الريح أو كأغصان الشجرة بينما المعتزلة يغالون فى إثبات الكسب للإنسان ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين .

وقال جهم بن صفوان بنفى صفات الله ذلك أنه وردت فى القرآن آيات كثيرة تدل على أن لله صفات من سمع وبصر وكلام . فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته ، وقال إن ما ورد فى القرآن مثل سميع وبصير ليس على ظاهره ، بل هو مؤول لأن ظاهره يدل على التشبيه بالمخلوق وهو مستحيل على الله ، فيجب تأويل ذلك ، وقال لا يصح وصف الله بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى التشبيه ، وقال إن القرآن مخلوق خلقه الله ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لنفيه الصفات فإذا كان الله لا يتكلم فليس القرآن كلام الله القديم إلا على التأويل ، وإنما خلقه الله ، وأنكر أن الله يُرَى يوم القيامة وقال « إن الجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما فيها ، وبعد تلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها ، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخرًا كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً »[٢] . ومعنى ذلك كله أن جهم بن صفوان كان ينفى الصفات الإلاهية كلها وينفى رؤية الله ويزعم أن الجنة والنار تفنيان وتنقطع حركات أهلهما محتجًا بأن عدم فنائهما يتعارض مع معنى قوله تعالى ﴿وأحصى كل شيء عددًا﴾ .

وذلك مردودعليه .

فالفخر الرازى قال : « إن الله يعلم الشيء على ما هو عليه وكما هو فى نفسه فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهى أجزاء متناهية امتنع أن يعلم الله كونها متناهية ، يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية هو العلم اللائق بالله تعالى ووافقه ابن حزم فى ذلك وزاد عليه أن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ فى اعتقاده ظان للباطل ، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق .

(١) جهم بن صفوان الترمذى من أهل خراسان من الموالى وأقام بالكوفة وكان خطيبًا مفوهًا فصيحًا . وقد قتل فى سنة ١٣١ فى آخر الدولة الأموية .
(٢) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام جـ ١ ص ٣٤٣ .

وقد قال جهم بن صفوان إن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد لا يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود[1] ، أى أنه يتفق مع المرجئة بأن الإيمان محله القلب . ومن قبل وجدناه نفى مع المعتزلة عن الله كل وصف يجوز إطلاقه على غيره ، كالوجود والحياة والعلم ، وجوز وصفه فقط بما يختص به من صفات الأفعال كالخلق ، وذهب إلى أن كلام الله حادث .

ولقد ذابت القدرية والجهمية وانصهرتا فى غيرهما من المذاهب الكلامية الإسلامية ولم يصبح لهما وجودًا خاصًا مستقلاً .

هكذا بينا كيف اختلفت الأمة الإسلامية إلى فرق عديدة ومذاهب كلامية متعددة ولعل الاطلاع على كتب يونان وفلسفاتهم كانت سببًا فى ظهور المدارس الكلامية الإسلامية . وكانت مدرسة المعتزلة الكلامية الامتداد الطبيعى إلى حد ما للقدرية[2] والجهمية . والرأى الشائع والمعروف أن اسم المعتزلة جاء نتيجة لخلاف حسن البصرى وواصل بن عطاء فى مسألة مرتكب الكبيرة ، فالخوارج قالت بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وفسقوا بالكبائر ، وخرج واصل بن عطاء عن رأى الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، فى منزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن من مجلسه ، فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما « معتزلون » لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن .. ويذهب البغدادى إلى أنهم سموا معتزلة لأنهم اعتزلوا قول الأمة فى دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر .

لكن المعتزلة كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، أما العدل فلأنهم نزهوا الله عما يقوله خصومهم من أنه قدّر على الناس المعاصى ثم عذبهم عليها ، وقالوا إن

---

(١) وهذا مردود بأن الإيمان هو التصديق بالقلب بشرط الإقرار باللسان إذ الإقرار شطر منه . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » .

(٢) ذلك أن المعتزلة وافقوا القدرية فى قولهم : إن للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله تعالى وقضائه .

ومن العجيب أن المعتزلة أحيانًا يلقبون بالجهمية لا لأنهم وافقوا الجهمية فى القدر فالجهمية جبرية ولكن لأن المعتزلة وافقوا الجهمية فى نفى الصفات عن الله وفى خلق القرآن ، وقولهم إن الله لا يُرَى ، وقد ألف البخارى والإمام أحمد كتابين فى الرد على الجهمية وعنيا بهم المعتزلة ، والمعتزلة يبرءون من تسميتهم بالقدرية أو الجهمية ، ويقولون إن مثبت القدر أولى بالانتساب إليه عن نافيه ، ويتبرأ بشر بن المعتمر المعتزلى من الجهمية فيقول :

ننفيهمو عنا ولسنا منهمُ ... ولا همُو منا ولا نرضاهمُ

إمامهم جهم وما لجهم ... وصحب عمرو ذى التقى والعلم

الإنسان حر فيما يفعل ، ومن أجل هذا عُذِّب على ما يفعل وهذا عدل ، وأما التوحيد فلأنهم نفوا صفات الله ، وعدوا القول بها تقديرًا لله تعالى .

والمعتزلة من أشهر الفرق الإسلامية استدلالاً على عقائدهم بالعقل . ولا يحد من ثقتهم بالعقل إلا احترامهم لأوامر الشرع[1] .

وبعد .. فهذا مدخل عام وصورة لاختلاف الفرق الإسلامية . وأهم أسباب الاختلاف وطبعي فى هذا القسم الخاص بفرقة « الخوارج » أن أركز حديثى عن الخوارج فقط . أما بقية الفرق الإسلامية فسأتناولها بإذن الله تعالى – فى مؤلفات قريبة إن شاء الله .

---

(١) من أهم مبادئ المعتزلة قولهم بالحسن والقبح العقليين : فالعقل عندهم يدرك حسن الأشياء وقبحها ويدرك حكم الله الحسن بطلب فعله وفى القبح بطلب تركه وبنوا آراءهم فى العقائد على هذا المبدأ . فطريق وجوب المعرفة العقل لا الشرع . والمعتزلة يقولون إن الإيمان تصديق وعمل وأن مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب من ذنبه فى منزلة بين المنزلتين . ومن مبادئهم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه . وأن الله تعالى لا يأمر إلا بما أراد ولا ينهى إلا عما كره فهو يريد الخير ولا يريد الشر . وصفة القدم خاصة بذات الله وصفة الوحدانية ولهذا أنكروا المعانى حتى لا يتعدد القدماء والمعتزلة يقولون إنه يجب على الله تعالى تنفيذ وعده ووعيده ، وإرسال الرسل لعباده وتأييدهم بالمعجزات ، ورعاية الصلاح والأصلح لخلقه .
وهم يقولون باستحالة رؤية الله تعالى لاقتضائها المشابهة للحوادث . وينكرون الشفاعة لمرتكبى الكبائر ، ويوجبون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويؤولون المتشابه من القرآن والسنة .
وقال أبو الحسن الخياط المعتزلى « وليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .
ويقول المعتزلة إن إحدى الطائفتين من « أصحاب الجمل » و « صفين » فى النار لا يعينون واحدة ، وأهل السنة يؤولون التشاجر بين الطائفتين تأدبًا واحترامًا لصحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وجهادهم فى سبيل الدعوة الإسلامية . ويقولون : الكل مجتهد ينشد مصلحة الإسلام والمسلمين . وقال المعتزلة بخلق القرآن ، ويرد أهل السنة عليهم بقولهم إن الدلالات وهى الألفاظ التى نقرؤها حادثة لأننا نتلوها بألسنتنا ونكيفها بأصواتنا وهى فى حين القراءة قائمة بالحادث ومعنى حدوثها أن الله خلقها وليس لأحد فى أصل تركيبها كسب ما . وأما مدلول القرآن (وهو الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى) فقديم بلا جدال والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر حادث والمذكور قديم . وقد تورع كثير من العلماء ومنهم الإمام أحمد عن القول بخلق القرآن وفضلوا التعذيب على أن يقولوا بخلق القرآن حتى دلالاته لئلا ينجرّ بعض الناس إلى اعتقاد خلق الصفة القديمة فإن كلام الله يطلق على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ويطلق مجازًا أو بالاشتراك على القرآن الذى نقرؤه ومن هنا تورعوا عن القول بخلقه .
والحقيقة أن الخوارج يتفقون مع المعتزلة فى بعض من مبادئهم فهم يتفقون معا فى وجوب الخروج على الإمام الجائر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبالحسن والقبح العقليين ، والقول بالوعد والوعيد وخلق القرآن وتأويل المتشابه ، وينفون رؤية الله فى الآخرة ، ويختلفون عنهم فى صفة الإرادة التى اعتبرها الأباضية أزلية لا حادثة . كما يذهب جمهور الأباضية إلى أن الله خلق أفعال العباد جميعها ، وليس لهم إلا مجرد اكتسابها . والأباضية لا يعتبرون أنفسهم من الخوارج . ومن الخوارج من يرون حرية الإرادة وقدرة الإنسان على خلق عمله وحريته .

# المبحث الثانى

## الخوارج فى السنة المطهرة

يبدو الإعجاز النبوى وإعجاز السنة المطهرة فى إخبار النبى ﷺ عن الخوارج والإشارة والتلميح إليهم وعلاماتهم ، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهنى : إنه كان فى الجيش الذين كانوا مع على رضى الله عنه – الذين ساروا إلى الخوارج .. فقال على رضى الله عنه : أيها الناس ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن ، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء ، يقرءون القرآن ويحسبون أنه لهم وهو عليهم . لا تجاوز صلاتهم تراقيهم[1] يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[2] لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل .. وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعرات بيض .. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم .. والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على سرح الناس[3] فسيروا على اسم الله » .

قال سلمة بن كهيل : فنزلنى زيد بن وهب منزلاً حتى قال : « مررنا على قنطرة ، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى .. فقال لهم : القوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا[4] برماحهم ، وسلوا السيوف وشجرهم[5] الناس برماحهم .. قال :

وقتل بعضهم على بعض ، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان .. فقال على رضى

---

(١) التراقى : جمع ترقوة ، وهو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ، والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة .

(٢) أى يخرجون خروج السهم إذا نفذ فى الصيد المرمى وخرج من الناحية الأخرى .

(٣) هى الأنعام التى ترعى ومن يرعاها ولعل فيها السبب المباشر لقتالهم .

(٤) أى رموا بها عن بعد .

(٥) أى طعنوهم .

الله عنه التمسوا فيهم المُخدّج(١) .. فالتمسوه فلم يجدوه .. فقام على بنفسه حتى أتى أناسًا قد قتل بعضهم على بعض .. قالوا : أخروهم فوجدوه مما يلى الأرض .. فكبّر ثم قال : صدق الله وبلّغ رسوله .. قال : فقام إليه عبيدة السلمانى فقال : يا أمير المؤمنين .. الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ فقال : أى والله الذى لا إله إلا هو .. حتى استحلفه ثلاثًا .. وهو يحلف له(٢) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

بعث على رضى الله عنه – وهو باليمن بذهبة فى تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر :

الأقرع بن حابس الحنظلى ، وعيينة بن بدر الفزارى ، وعلقمة بنَ علاثة العامرى ، ثم أحد بنى كلاب ، وزيد الخير الطائى ثم أحد بنى نبهان – قال فغضبت قريش فقالوا : أيعطى صناديد نجد ويدعنا .. فقال رسول الله ﷺ إنى إنما فعلت ذلك لأتلفهم(٣) .. فجاء رجل كث اللحية ، مشرف الوجنتين ، غائر العينين ، ناتئ الجبين ، محلوق الرأس فقال : اتق الله يا محمد .. قال : فقال رسول الله ﷺ .. فمن يطع الله إن عصيته .. أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟ .. قال : ثم أدبر الرجل .. فاستأذن رجل من القوم فى قتله [يرون أنه خالد بن الوليد] . فقال رسول الله ﷺ إن من ضِئْضِىء(٤) هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم .. يقتلون أهل الإسلام ، ويَدَعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد .. »(٥) .

وفى رواية عنه أيضًا – بعد ان ذكر قصة هذا الرجل – فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله .. ائذن لى فيه أضرب عنقه .. فقال رسول الله ﷺ . « دعه فإنّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم .. يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .. ينظر إلى نصيله(٦) فلا يوجد

---

(١) الذى تقدم وصفه بأنه له عضد وليس له ذراع .

(٢) النووى على مسلم جـ ٧١ ص ١٧١ ، ورواه أبو داود جـ ٤ رقم ٤٤ ، ورقم ٤٧٦٨ . وفى البخارى بعضه بنحوه جـ ٤ حسن ١٦٠ وجـ ٩ ص ١٥ .

(٣) استميلهم إلى الإسلام بما يحبونه من المال حتى يتم تفهمهم له .

(٤) أى من عنصره وذريته .

(٥) النووى على مسلم جـ ٧ ص ١٦١ والبخارى جـ ٩ ص ١٢٩ وأبو داود جـ ٤ ص ٢٤٣ .

(٦) النصل : حديدة السهم ..

فيه شيء ، ثم ينظر إلى رِصَافه[١] فلا يوجد فيه شيء .. ثم ينظر إلى فضيه فلا يوجد فيه شيء .. وهو القدح[٢] ثم ينظر إلى قُذذه[٣] فلا يوجد فيه شيء . سبق الفرث[٤] والدم .. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة[٥] تدردر[٦] يخرجون على حين فرقة من الناس[٧] .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أنّ عليًا بن أبى طالب – رضى الله عنه – قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعت[٨] .

ومن ذلك كله يتضح لنا مدى الإعجاز النبوى فى التنبيه على الخوارج وجذورهم .

وحكى ابن الجوزى أن الخوارج قالوا لعبد الله بن خباب بن الأرت : هل سمعت من أبيك حديثًا تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه .. قال نعم .. سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشى فيها خير من الساعى ، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول[٩] . قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله .. قال نعم .. فقدموه إلى شفير النهر[١٠] فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل[١١] وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى[١٢] .

ولهذا قاتلهم الإمام على وأمامه الحجة والدليل على أنهم المقصودون بالأحاديث النبوية الشريفة ولقد بينت كتب السنّة الصحيحة هذا الأمر عن الخوارج ومناقشة على لهم .

---

(١) الرصاف : بكسر الراء : مدخل النصل من السهم .
(٢) القدح : السهم قبل أن يركب نصله .
(٣) القُذذ : بضم القاف ريش السهم .
(٤) الفرث : ما فى الكرش .
(٥) البضعة : بفتح الباء قطعة اللحم .
(٦) تدردر : تضطرب .
(٧) أى فى حالة الفرقة بين على بن أبى طالب ومعاوية رضى الله عنهما .
(٨) النووى على مسلم جـ ٧ ص ١٦٥ ، والبخارى جـ ٩ ص ١٥ ، ورواه مالك فى الموطأ باختصار ص ١٤٤ ط الشعب ، وابن ماجة مختصرًا جـ ١ ص ٣٨ ، وأحمد بنحوه جـ ٣ ص ٤ ، ٣٣ .
(٩) وفى رواية « فمن استطاع أن يكون مقتولاً فلا يكونن قاتلا » .
(١٠) شاطئ النهر .
(١١) أحد سيوره التى تكون على وجهه .
(١٢) ابن الجوزى ، تلبيس ابليس ص ٩١ .

فعن عبد الله بن عياض بن عمرو القارى أنه جاء عبد الله بن شداد ابن الهاد ، فدخل على عائشة رضى الله عنها – ونحن عندها جلوس – مرجعه من العراق ليالى قتل على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فقالت له : يا ابن شداد بن الهاد .. هل أنت صادقى عمّا أسألك عنه ؟ حدّثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على . قال : وما لى لا أصدقك ؟ قالت : فحدّثنى عن قصتهم .. قال : فإنّ عليًا بن أبى طالب لمّا كاتب معاوية وحكم الحكمان ، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس ، فنزلوا بأرض يقال لها حر وراء من جانب الكوفة .. وأنهم عيبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص كساكه الله ، واسم سماك الله به[1] .

ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا الله .. فلما بلغ عليًا ما عيبوا عليه وفارقوه عليه .. أمر مؤذنًا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن ، فلما امتلأت الدار من قراء الناس .. دعا بمصحف إمام[2] عظيم فوضعه بين يديه ، فجعل يصكه بيده[3] ويقول : أيها المصحف : حدّث الناس .. فناداه الناس .. يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه ؟ إنما هو مداد من ورق يتكلم بما رأينا منه فما يزيد .. قال : أصحابكم أولئك الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله[4] يقول الله فى كتابه فى امرأة ورجل : ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾ [النساء : ٣٥] .. فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة .

ونقموا علىّ أنى كاتبت معاوية : كتبت على بن أبى طالب .. وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم .. قال : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . قال وكيف نكتب ؟ قال سهيل : اكتب باسمك اللهم .. فقال رسول الله ﷺ فاكتبْ : محمد رسول الله .. فقال لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك .. فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا .. يقول الله تعالى : ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ .

فبعث إليهم ابن عباس .. فخرجت معه .. حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء

---

(١) حيث أبى الشاميون أن يقبلوا كتابه : « هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين على معاوية » . واشترطوا كتابة علىّ فتنفذ بدون لقب أمير المؤمنين . قبل ذلك حقنا للدماء وأملاً فى إحلال الصفاء واقتداء بالرسول ﷺ فى الحديبية .

(٢) أى مصحف من المصاحف التى فرقها سيـ ـ ـمان على الأمصار وجمع عليها المسلمين .

(٣) ينقر عليه بيده .

(٤) الذين يدّعون التمسك به دون سواه .

فخطب الناس فقال : يا حملة القرآن .. هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فليعرفه ، فأنا أعرفه من كتاب الله هذا مِمّن نزل فيه وفي قومه ﴿قوم خصِمون﴾ [الزخرف : ٥٨] ، فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله[١] .. قال : فقام خطباؤهم فقالوا : والله لنواضعنه الكتاب [أى لنوافقنه فى الأحتكام إلى كتاب الله] . فإن جاء بالحق نعرفه لنتبعنه .. وإن جاء بباطل لنبكتنه[٢] بباطل ولنردنه إلى صاحبه .. فواضعوا عبد الله بن عباس ثلاثة أيام .. فرجع منهم أربعة آلاف تائب فيهم ابن الكواء[٣] حتى أدخلهم على الكوفة ، فبعث على إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتهم فقفوا حيث شئتم ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً ، أو تظلموا ذمة ، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

قال : فقالت عائشة : يا ابن شداد فقد قتلهم .. قال : فوالله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا الذمة .. فقالت : والله .. قال : الله الذى لا إله إلا هو لقد كان .. قالت : فما شيء بلغنى عن أهل العراق يتحدثونه يقولون : ذا الثدية مرتين .. قال : قد رأيته وقمت مع على على القتلى .. دعا الناس فقال : أتعرفون هذا – فما أكثر من جاء يقول : رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى – ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذاك .. قالت : فما قول على حين قام عليه كمايزعم أهل العراق. قال سمعته يقول صدق الله ورسوله[٤] .

وعن أبى زميل سماك الحنفى ، حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : (لما خرجت الحرورية ، اجتمعوا فى دار – وهم ستة آلاف – أتيت عليًا فقلت يا أمير المؤمنين : أبرد بالظهر لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم .. قال : إنى أخاف عليك .. قلت : كلا .. قال ابن عباس : فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن .. قال أبو زميل : كان ابن عباس جميلاً جهيرًا .

قال ابن عباس : فأتيتهم وهم مجتمعون فى دارهم قائلون ، فسلّمت عليهم .. فقالوا : مرحبًا بك يا ابن عباس .. فما هذه الحلة ؟ قال : قلت : ما تعيبون على ؟ لقد رأيت على رسول رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل ونزلت ﴿قل من حرّم زينة

---

(١) وهذا يعنى أن ابن الكواء كان يريد أن تظل الفتنة قائمة والخلاف مشتعلاً ويحاول إغلاق كل محاولة للتفهم أمام ابن عباس .

(٢) التبكيت : التحقير وتقبيح الفعل .

(٣) لكن رجوع ابن الكواء لم يكن أكثر من تحايل وعدم إخلاص .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك جـ ٢ ص ١٥٢ ، ومجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٣٥ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف : ٣٢] . قالوا : فما جاء بك ؟ قلت : أتيتكم من عند صحابة النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون ، فعليهم نزل القرآن ، وهم أعلمُ بالوحى منكم ، وفيهم أنزل ، وليس فيكم منهم أحد[١] .. فقال بعضهم[٢] : لا تخاصموا قريشًا فإن الله يقول : ﴿بل هم قوم خصمون﴾ .

قال ابن عباس :

وأتيت قومًا لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم .. مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم .. فقال بعضهم : لنكلمنه ولننظرن ما يقول .. قلت : أخبرونى ماذا نقمتم على على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار ؟ قالوا : ثلاثًا . قلت : ما هن ؟ قالوا : ثلاثًا . قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن : فإنه حكّم الرجال فى أمر الله وقال الله تعالى ﴿إن الحكمُ إلا لله﴾ [ الأنعام : ٥٧] .

وما للرجال وما للحكم ؟ فقلتُ : هذه واحدة .. قالوا : وأما : الأخرى : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم .. فإن كان الذى قاتل كفارًا لقد حل سبيهم وقتالهم .. ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم .. قلت : هذه اثنتان ، فما الثالثة ؟ قالوا : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين[٣] قلت أعندكم سوى هذا قالوا : حسبنا هذا .. فقلت لهم : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ، ومن سُنّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم .. أترضون ؟ قالوا : نعم .. قلت :

أما قولكم حكّم الرجال فى أمر الله .. فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم فى أرنب ونحوها من الصيد .. فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنت حُرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم﴾ [المائدة : ٩٥] .. فنشدتكم الله .. أحكم الرجال فى أرنب ونحوها من الصيد أفضل .. أم حكمهم فى دمائهم وصلاح ذات بينهم ؟ وإن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال .

وفى المرأة وزوجها – قال الله عز وجل : ﴿وإن خفتمْ شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهلِه وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما﴾ .

---

(١) وهذا دليل على أنه لم يكن فيهم صحابى واحد .
(٢) وهو كما أشرنا من قبل ابن الكواء .
(٣) لأنهم – كما نعلم – يكفرون من خالفهم .

فجعل الله حكم الرجال سُنّة مأمونة .. أخرجت عن هذه ؟ قالوا : نعم . قال : وأما قولكم : قاتل ولم يسب ولم يغنم . أتَسْبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها ؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهى أمكم .

ولئن قلتم ليست أمنا ، لقد كفرتم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿النبى أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب : ٦] .

فأنتم تدورون بين ضلالتين – أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة .. فنظر بعضهم إلى بعض .. قلت : أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .. قلت :

وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون [أى بما ترضون من الدليل القاطع المقنع] وأريكم .. قد سمعتم أن النبى ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيلاً بن عمرو وأبا سفيان بن حرب .. فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين : اكتبْ يا على .. هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ﷺ .

فقال المشركون : لا .. والله ما نعلم أنك رسول الله .. لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك .. فقال رسول الله ﷺ . اللهم إنك تعلم أنى رسول الله .. اكتب يا على .. هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله . فوالله لرسول الله خير من على ، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه .. قال عبد الله بن عباس :

فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة »[1] .

ومن هذه الروايات كلها المتشابهة في المعنى نلاحظ أنها روايات يكمل بعضها بعضًا ورجال هذه الروايات هم رجال الصحيح مما يكسب روايتهم القوة والصحة والصدق . ولعل الاختلاف فى عدد من رجع من الخوارج وتاب يعود فى المقام الأول إلى أن هناك بعضهم رجع عن اقتناع عقلى وقلبى ، ومنهم من رجع في الظاهر ثم عاد إلى فكره الخارجى لأنه مذبذب العقيدة مضطرب النفس .. لكننا كما رأينا أن هذه الروايات جميعًا يكمل بعضها بعضًا .. فهى روايات صحيحة .

---

(١) الحاكم فى المستدرك جـ ٢ ص ١٥٠ واللفظ له ، ومجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٤٩ . وقال رواه الطبرانى وأحمد ببعضه . ورجاله رجال الصحيح .

# المبحث الثالث
## نشأة الخوارج وأهم صفاتهم

من المعروف أن فرقة الخوارج نشأت – فى أرجح الآراء – بسبب التحكيم فى الخلاف بين الإمام على رضى الله عنه ومعاوية فى موقعة صفين(١) ، لما طلب معاوية وأصحابه فى صفين « سنة ٣٧ هـ » من الإمام على أن يتحاكم الفريقان إلى القرآن الكريم تردد على كرم الله وجهه فى قبول وجهة نظرهم لمعرفته بدهاء معاوية وعمرو بن العاص صاحب فكرة رفع المصاحف والتحاكم إلى القرآن الكريم ، لكن بعض أصحاب علىّ حثه على قبول فكرة التحاكم إلى القرآن الكريم ، فقبل الطيب الكريم رضى الله عنه الفكرة ورضخ للرأى حتى لا يؤدى رفضه إلى افتراق جماعته .

روى أن الأشعث بن قيس ومسعود بن فَدَكى التميمى وزيد بن حصين الطائى قالوا للإمام (على) : الناس يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف ! فلترجعن « الأشتر » [قائد جند على] عن قتال المسلمين أو لنفعلن بك ما فعلنا (بعثمان)(٢) فأمر علىّ « الأشتر » بالكف عن القتال بعد أن كان نصر الأشتر وشيكًا .

ثم أراد على أن ينيب عنه فى قضاء الحكمين عبدالله بن عباس للتحكيم فما رضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك .

فحملوه على إرسال أبى موسى الأشعرى على أن يحكم بكتاب الله ، ولما جرى الأمر على خلاف الحق ، رفض عَلىّ قبول حكم الحكمين ، فخرج عليه بعض أصحابه وقالوا لماذا حكمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله فقال الإمام علىّ : كلمة حق يراد بها باطل ، إنما يريدون لا إمارة ولابد من إمارة برّة ، أو فاجرة ، ثم انحازوا إلى « حروراء »(٣) وأعلنوا بذلك خروجهم على « على » و « معاوية » و « الحكمين » وكل من رضى بالتحكيم . فكانوا هم جماعة الخوارج الأولى .

---

(١) صفين موضع على شاطئ الفرات بقرب الرقة .

(٢) من الملاحظ أن ابن كثير يصف الثائرين على عثمان بـ « الخوارج » أثناء تعرضه للفتنة وملابساتها « البداية والنهاية » لابن كثير جـ ٧ ص ١٨٩ .

ويرى الشهرستانى أن الخارجى هو كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه . [الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٠٥] .

(٣) قرية قريبة من الكوفة .

وقد يسمى الخوارج بالحرورية نسبة إلى حروراء وهى القرية التى خرجوا إليها .

وسموا بالمحكمة أى الذين يقولون لا حكم إلا لله[1] وسموا أنفسهم الشراة أى الذين باعوا أنفسهم لله من قوله تعالى ﴿ومن الناس مَنْ يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ .

ونخلص من ذلك أن المحكمة الأولى من الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فى صفين وأول من خرج منهم : الأشعث بن قيس الكندى ، ومسعر بن فدكى التميمى ، وزيد بن حصين الطائى .

وخرج على علىّ يوم التحكيم : « عبدالله بن الكواء ، وعتاب بن الأعور ، وعبدالله بن وهب الراسبى ، وعروة بن جرير ، ويزيد بن عاصم المحاربى ، وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية »[2] .

وهؤلاء هم المحكمة الذين قالوا لعلى رضى الله عنه لما حكم الحاكمين :

« إن كنت تعلم أنك الإمام حقا فلم رضيت بحكميهما ، وإن كنت لم تعلم أنك الإمام حقًا فلم أمرتنا بالمحاربة » ، ثم انفصلوا عنه لهذا السبب وكفروا عليًّا ومعاوية رضى الله عنهما[3] .

والحق أن أقوال المتكلمين فيمن كان أول المحكمة فيها اختلاف كبير .

لكن المهم أن نقول بعد ذلك إنه كما أشرنا من قبل فإن الخوارج بعد رجوع علىّ من صفين إلى الكوفة انحازوا هم إلى حروراء وزعيمهم يومئذ عبدالله بن الكواء ، وشبث بن ربعى ، ويقول الرسعنى[4] « وناظرهم علىّ فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان ، وانحاز الباقون منهم إلى النهروان ، وأمروا على أنفسهم رجلين :

أحدهما عبدالله بن وهب الراسبى ، والآخر حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثّدية .

---

(١) سماهم المقريزى الحكمية وعرفهم بأنهم الذين خرجوا على علىّ فى صفين وقالوا لا حكم إلا لله ولا حكم للرجال المقريزى جـ ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٠٥ .

(٣) اعتقادات الرازى ص ٤٦ .

(٤) صاحب مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٦٨ جـ ١ ص ٧٢ . والنص موجود أيضًا فى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٧٥ : ٨١ .

ورأوا فى طريقهم رجلاً هاربًا منهم فقالوا له[١] « مَنْ أنت » ، قال : « أنا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ . فقالوا : « حدثنا حديثًا سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ . فقال : سمعت أبى يقول :قال رسول الله ﷺ : ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى . فمن استطاع أن يكون مقتولاً فلا يكونن قاتلاً » .فحمل عليه رجل من الخوارج يقال له مِسْمَع بسيفه فقتله . فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر . ثم إنهم دخلوا منزله وكان منزله فى القرية التى قتلوهُ على بابها ، فقتلوا ولده وجاريته أم ولده . ثم عسكروا بنهروان . وانتهى خبرهم إلى علىّ عليه السلام فسار إليهم فى أربعة آلاف وبين يديه عدى بن حاتم الطائى . فلما قرب منهم علىّ عليه السلام أرسل إليهم يقول « سلموا لى قاتل عبدالله بن خباب » فأرسلوا إليه « كلنا قتلَهُ . وإن ظفرنا بك لنقتلنّك » .

فتقدم إليهم « علىّ » فى جيشه وبرزوا إليه بجمعهم . فقال لهم قبل القتال « ماذا نقمتم منا » ؟ .. فأرسلوا إليه « أول شىء نقمنا منك أنّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، فلما انهزموا أبحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم : فكيف استحللت ما لهم دون نسائهم والذرية ؟ . فقال « إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا غاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم . والنساء والذرية لم يقاتلونا ، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر . وبعد فلو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة فى سهمه ؟ » فخجل القوم من هذا .

ثم قالوا له « نقمنا عليك محوك أمير المؤمنين عن اسمك من الكتاب بينك وبين معاوية » . فقال « فعلتُ مثل ما فعل رسول الله يوم الحديبية حين قال له سُهيل بن عمرو : لو علمنا أنك رسول الله لما نازعناك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك . فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو . وأخبرنى رسول الله أن لى منهم يومًا مثل ذلك » .

قالوا : « فلم حكّمت الحكمين ؟ فإن كنت فى شكٍّ من خلافتك فغيرك أَوْلى بالشك » . فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية . ولو قلتُ للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض معاوية . وقد دعا رسول الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة فقال ﴿تعالوا ندعُ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران : ٦١ .

---

(١) أشرنا إلى هذه الحادثة فى المبحث السابق باختصار وهذا هو تفصيلها وتفصيل الحوار بين الخوارج والإمام علىّ كرّم الله وجهه .

ولو قال : نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك . فأنصفهم بذلك . ولم أدر غدر عمرو بن العاص .قالوا « فلِم حكّمت فى حَق كان لك ؟ » قال : وجدت رسول الله ﷺ حكّم سعد بن معاذ فى بنى قريظة . ولو شاء لم يفعل . لكنّ حكم رسول الله ﷺ حكم بالعدل . وحكمى خدِع حتى كان من الأمر ما كان . فهل عندكم من شىء سوى هذا ؟ » فسكت القوم وقال أكثرهم « صدق والله » وقالوا التوبة[1] واستأمن إليه يومئذ منهم ثمانية آلاف . وانفرد منهم أربعة آلاف مع عبدالله بن وهب وحرقوص بن زهير البجلى . وقال « علىّ » للذين استأمنوا إليه اعتزلونى اليوم . وقاتل الخوارج بالذين قدموا معه . وقال لأصحابه : قاتلوهم ، فوالذى نفسى بيدِهِ لا يقتل منا عشرة ، ولا ينجو عشرة منهم ، فقتل من أصحاب علىّ يومئذ تسعة وهم : ذؤيبة بن وبرة البجلى ، وسعد بن مجالد السبيعى ، وعبدالله بن حماد الجريرى ، ورفاعة بن وائل الأرحبى ، والفياض بن خليل الأزدى ، وكيسوم بن سلمة الجهنى ، وعتبة بن عبيد الخولانى ، وجميع بن جشم الكندى ، وحبيب بن عاصم الأودى .

وبرز حرقوص بن زهير ، إلى علىّ — رضى الله عنه — وقال : يا ابن أبى طالب : لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة ، وقال له علىّ : بل مثلكم كما قال الله عز وجل : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنْعًا﴾ الكهف ١٠٣ — ١٠٤ . منهم أنت ورب الكعبة ، ثم حمل عليه فى أصحابه ، وقتل عبدالله بن وهب فى المبارزة ، وصرع ذو الثدية عن فرسه . وقتلت الخوارج يومئذ ، فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس ، صار منهم رجلان إلى سجستان ، و رجلان إلى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن ، ورجلان صارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان ، ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة ، ورجل منهم صار إلى مكان آخر يقال له « تل مَوْزن » وقال على لأصحابه يومئذ : اطلبوا ذا الثدية ، فوجدوه تحت دالية ، ورأوْا تحت يده عند الأبط ، مثل ثدى المرأة ،فقال : صدق الله ورسوله[2] وأمر به فقتل .

---

(١) ذكرت من قبل فى كتب السُّنّة وبخاصة الحاكم فى المستدرك ، وأحمد . ورجاله رجال الصحيح حوارًا بين ابن عباس والخوارج شبيهًا بهذا الحوار بين على والخوارج .. ويبدو لى أن الذى حاور الخوارج هو ابن عباس رضى الله عنه لأن الأحاديث الخاصة به مروية عن طريق رجال الصحيح . ولكن لا مانع أيضًا أن يكون الإمام على حاورهم أيضًا لإقناعهم بسلامة رأيه وصحة اجتهاده .

(٢) يقصد أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذا الحدث من قبل حدوثه فقال : « سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين ، كما يمرق السهم من الرمية ، وهم الذين أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم ذو الثدية » .

فهذه قصة المحكمة الأولى ، وكان دينهم : إكفار على وعثمان وأصحاب الجمل ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم ، وإكفار كل ذى ذنب ومعصية .

ثم لم تزل الخوارج تخرج على عَلِىّ إلى أن قُتِل رضى الله عنه فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، حيث قتله عبد الرحمن بن مُلجم الخارجى(١) وكان زوجًا لامرأة قُتِل كثير من أفراد أسرتها فى وقعة النهروان . وبعد مقتل علىّ خرجت الخوارج بعده على معاوية وظلوا مع الدولة الأموية فى حروب طويلة ، وفى عهد العباسيين ضعفت شوكة الخوارج وانهارت قواهم وضعف تأثيرهم وقلت جموعهم وفتروا تمامًا عن الحروب .
والحقيقة أن الخوارج عرفوا بعصبيتهم العربية فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل « الرِّبعية » ، لا من القبائل المضرية ، والنزاع بين القبائل الربعية والمضرية قديم منذ العصر الجاهلى — كما أشرنا من قبل — وقد أخفاه الإسلام قليلاً لكنه ظهر ثانية فى شكل خارجى(٢) .

كان معظم الخوارج من عرب البادية الربعيين وقد عرفوا بالتعصب والحماسة والاندفاع السريع فى آرائهم .

كما عرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ فتمسكوا بظواهر الألفاظ القرآنية لا يتجاوزون الظاهر إلى المرمى والموضوع .

وقد عُرف عن الخوارج أيضًا التشديد فى العبادة(٣) ويروى أن عبدالله بن عباس

---

(١) قال فيه أحد شعراء الخوارج الصفرية عمران بن حطان :

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانًا
إنى لأذكره حينًا فأحسبه ... أوْفى البرية عند الله ميزانًا

(٢) لعل ذلك أحد الأسباب النفسية التى جعلت الخوارج يقولون بجواز الإمامة فى قريش أو غيرها فقد رأوا أن الخلفاء من مُضَرَ وهم لم ينسوا قط الصراع القديم بين الربعين والمضريين .

(٣) قال أبو حمزة الخارجى فى وصف أصحابه الخوارج « شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجُلُهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاع سهر ، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مرّ بآيةٍ من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها ، وإذا مرّ بآيةٍ من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقَتْ ، والرماح قد أشرعت ، والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشباب منهم قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه . وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت إليه سباع الأرض ، وانحطت إليه طير السماء ، فكم من عين فى منقار طير بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معاصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله » .

حينما ناقشهم رأى منهم جباهًا قرحة لطول السجود ، وأيدى كثفنات الإبل عليها قمص مرحضة (أى طاهرة)[١] .

كما عُرف الخوارج بالإخلاص الشديد لعقيدتهم والشجاعة فى حروبهم وكانوا مصدر قلق للدولة الأموية فقد « ظلت الخوارج شوكة فى جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربًا تكاد تكون متواصلة فى شدة وشجاعة نادرة ، وأشرفوا فى بعض مواقفهم على القضاء على الدولة ، وكانوا فرعين : فرعًا بالعراق وما حولها ، وكان أهم مركز لهم « البطائح » بالقرب من البصرة ، وقد استولوا على كرمان وولاية فارس وهددوا البصرة ، وهؤلاء هم الذين حاربهم المهلب بن أبى صفرة ، واشتهر من رجالهم نافع بن الأزرق وقطرى ابن الفجاءة .

وفرعًا بجزيرة العرب استولوا على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف ، ومن أشهر أمرائهم فيها أبو طالوت ونجدة بن عامر وأبو فديك .

ولم يتغلب الأمويون على هذين الفرعين إلا بعد حروب طويلة شديدة استمرت طوال عهد الدولة الأموية .

ثم كانوا كذلك فى الدولة العباسية ، ولكن لم يكن لهم من القوة ما كان لهم فى عهد الأمويين ، فقد ضعف شأنهم وانحط[٢] .

وكان الخوارج من أشد الفرق الإسلامية جرأة واندفاعًا وحماسة وتهورًا فى سبيل الدفاع عن عقائدهم وإنهم بحق كما يقول الشيخ أبو زهرة[٣] « ليشبهون فى استحواذ الألفاظ البراقة على نفوسهم واستيلائها على مداركهم اليعقوبيين الذين ارتكبوا أقسى الفظائع وأشد الشنائع فى الثورة الفرنسية ، فقد استولت على هؤلاء ألفاظ الحرية والمساواة والإخاء ، وباسمها قتلوا الناس ، وأهرقوا الدماء وأولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ولا حكم إلا لله ، والتبرؤ من الظالمين ، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء ، وشنوا الغارة فى كل مكان ، ويظهر أن الحماسة التى امتازوا بها كانت الوحدة الجامعة بينهم وبين اليعقوبيين ، وما صدر عن الفريقين من أعمال متشابهة ، كان لهذه الحماسة وقوة العاطفة » ولقد كان الخوارج أكثر الفرق الإسلامية حماسة

---

(١) المبرد ، الكامل : جـ ٢ : ص ١٤٣ .
(٢) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام جـ ١ ص ٣٠٨ .
(٣) أبو زهرة ، محمد ، تاريخ الجدل ص ١٤٧ .

لأفكارهم ومبادئهم وعرفوا بالتهور والاندفاع الشديد والاستمساك بظواهر الألفاظ ، والاستهداف للمخاطر بداع أو بدون داع قوى لذلك نتيجة تعصبهم الأعمى لمبادئهم وعقائدهم .

وكان الخوارج كثيرًا ما يختلفون ولعل هذا هو السبب فى إخفاقهم فى كثير من المعارك رغم شجاعتهم النادرة فى القتال . يقول الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق[١] « على أن من أهم أسباب إخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم ، تفشى الخلافات داخل جماعتهم ، وهى خلافات كان الباعث عليها فى الغالب الاختلاف فى المبدأ والرأى . فقد تباينت آراؤهم فى مسائل عدة . وأدى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق .. ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث فى الأوقات العصيبة إبان حروبهم فكان يحرمهم من جنى ثمار النصر ويؤدى بهم إلى الهزائم »[٢] .

ونحن نرى أن الخوارج هم أول حزب سياسى تكون فى تاريخ الإسلام بعد موقعة صفين وإعلان نتيجة التحكيم بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص .

ويرى الدكتور النشار أن المسلمين حتى مقتل الحسين كانوا مسلمين فحسب لا سنة ولا شيعة ، ولم تظهر فكرة (الوصاية أو الإمامة) فكريا أو سياسيًا إلا فى فرقة الخوارج أى قبل ظهور التشيع »[٣] .. وهذا الرأى يؤكد رؤيتنا بأن الخوارج هم أول حزب سياسى نشأ فى الإسلام .

(١) عبد الرازق ، محمود إسماعيل ، الخوارج فى بلاد المغرب ص ٢٧ .

(٢) من أمثلة ذلك « خروج عبد ربه الكبير على قطر بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب ٧٧ هـ ٦٩٦ م ، لأن قطرى تأول فأخطأ فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد أن كان النصر وشيكًا ، وأتيح للمهلب سحقهما واحدًا بعد الآخر » المرجع السابق ص ٢٧ .

(٣) النشار ، على سامى ، نشأة الفكر الفلسفى جـ ٢ ص ١٨ .

# المبحث الرابع
# فرق الخوارج

انقسمت الخوارج إلى فرق كثيرة بعض هذه الفرق أصول . وبعضها فروع .
فمن الأصول ، الأزارقة ، والنجدية ، والصفرية .
وهناك فرق صغيرة تفرع عنها فرق أصغر مثل :

## ١ – العجاردة

العجاردة : أصحاب عبد الكريم بن عجرد ، والعجاردة أصلهم من أصحاب عطية بن الأسود حيث كان عبد الكريم بن عجرد من أصحاب عطية[1] . وعطية أصلاً كان من أصحاب نجدة ، لكن خرج عنه ولهذا فإن فكر العجاردة قريب من فكر النجدات لأن النجدات الأصل ، لكن مِمّا انفرد به العجاردة عن غيرهم قولهم : يجب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام ، ويجب دعاؤه إذا بلغ ، وأطفال المشركين فى النار مع آبائهم .

ومن مبادئهم أنهم يتولون القعدة من الخوارج إذا عرفوا بالتقوى[2] .
والهجرة عند العجاردة فضيلة وليست فرضًا[3] إلا أنهم يكفرون بالكبائر .

والعجاردة لا يرون استباحة الأموال ، ولا يباح مال مخالف إلا إذا قتل ولا يقتل من لا يقاتل .

وكما نلاحظ فإن فرقة العجاردة قد أسرفت فى الحكم على الأطفال حتى أوجبت البراءة منهم كما أوجبت دعاءهم إلى الإسلام بعد بلوغهم . وقد اشتدوا فى حكمهم على أطفال المشركين وقالوا بأنهم فى النار مع آبائهم وأنهم أهل شرك مثل آبائهم . ومن ناحية أخرى فقد لاحظنا أن العجاردة قد تساهلوا فى أمر الجهاد مخالفين لآراء أسلافهم من

---

(١) وقيل أيضًا إن عبد الكريم عجرد كان من أصحاب أبى بهيس الملل والنحل . جـ ١ ص ١١٢ ، ١١٥ .
(٢) فهم ليسوا كالازارقة يرون وجوب الجهاد باستمرار ولا يرون القعود عن القتال لقادر أيا كان سبب القعود .
(٣) العجاردة لا يرون أن الهجرة من دار المخالفين واجبة بل يرونها فضيلة كما ذكرنا .

الخوارج ولهذا فإن العجاردة لم يكفروا القعدة منهم عن القتال كما أنهم لم يفرضوا الهجرة كما فرضها أسلافهم .

وكان عبد الكريم عجرد لا يرى المال فيئًا حتى يقتل صاحبه [١] . وقد افترق العجاردة إلى فرق عديدة واختلفوا في أمور عقدية منها ما يتعلق بالقدر ، ومنها ما يتعلق بأطفال المخالفين . ومن أمثلة ذلك أن رجلاً منهم اسمه شعيب كان مدينًا لآخر اسمه ميمون فلما تقاضى هذا دينه ، قال شعيب أعطيكه إن شاء الله ، فقال ميمون قد شاء الله ذلك فى هذه الساعة . فقال شعيب لو شاء لم أستطع إلاّ أن أعطيه فقال ميمون قد أمر بذلك ، وكل ما أمر به فقد شاء ، وما لم يشأ لم يأمر به فأرسل شعيب وميمون إلى رئيسهم وإمامهم عبد الكريم عجرد فأجابهم إجابة مبهمة وهى إنما نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءًا . ولأن الإجابة كانت مبهمة فقد ادعى كل منهما أن الإجابة توافق رأيه وانقسم العجاردة إلى شعيبية وميمونية .

ويروى أن عجرديا اسمه ثعلبة كان له بنت ، فخطبها عجردى آخر وأرسل إلى أمها يسألها ، ويقول فى سؤالها : إن كانت قد بلغت ورضيت الإسلام على الشرط الذى يعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها .

فأجابت الأم إنها مسلمة فى الولاية سواء أبلغت أم لم تبلغ ، فرفع الأمر إلى عبد الكريم عجرد ، فاختار البراءة من الأطفال ، وخالفه ثعلبة واستقل برأيه .

ومن ذلك يلاحظ أن جدل العجاردة كان ينتهى عادة إلى خلاف يثمر عنه العديد من الفرق الصغيرة[٢] فمن فروع العجاردة : الصلتية .

والصلتية ينسبون إلى صلت بن عثمان ، وقيل عثمان بن أبى الصلت ، وقيل صلت بن أبى الصلت[٣] ويذكر الملطى[٤] هذه الفرقة باسم الصليدية[٥] ويقول عنهم إنهم شر الخوارج وأقدرهم وأكثرهم فسادًا وكان لهم عدد وجمع بناصية سجستان ونواحيها .

---

(١) العجاردة فارقوا الازارقة الذين يستحلون أموال مخالفيهم .

(٢) افترقت العجاردة إلى : الصلتية ، والحازمية ، والثعالبة ، وافترقت الحازمية إلى الشعيبية ، والميمونية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والحمزية . ونشأت عن الميمونية الخلفية . وافترقت إلى المعبدية ، والأخنسية ، والشيبانية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والثعالبة الخلص . ونشأت عن الشيبانية الزيادية .

(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٩٧ .

(٤) الملطى ، التنبيه والرد ص ٥٧ .

(٥) ويعتبر الملطى « الصليدية » انشقت من جراب الحمزية .

وهم يقتلون ويستحلون الأموال على الأحوال كلها .

ومذهب الصلتية تثبيت لما ذهب إليه العجاردة فى أطفال المسلمين والمشركين على السواء ، إذا أسلم الرجل توليناه ، وبرئنا من أطفاله لأنه ليس لهم إسلام حتى يدركوا ، فيدعون حينئذ إلى الإسلام[١] .

ويحكى عن جماعة من الصلتية أنهم قالوا : ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا أو ينكروا[٢] .

ومن فرق العجاردة الحازمية . وهؤلاء كانوا أكثر عجاردة سجستان . وهم أصحاب حازم بن على[٣] والحازمية « قالوا فى القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة[٤] وكفروا الميمونية الذين قالوا بقول المعتزلة فى باب القدر والاستطاعة ، والحازمية خالفوا أكثر الخوارج فى أمور وافقوا فيها أهل السنة »[٥] .

ومثل ذلك أنه للحازمية رأى فى الولاية والعداوة يخالف رأى أكثر الخوارج ، ويشبه قول أهل السنة فى الموافاة : فالولاية والعداوة إضافتان لله سبحانه تكونان بينه وبين العبد بحسب ما يصير إليه الأخير من الإيمان أو الكفر فى آخر حياته .

ومن فرق العجاردة .

— **الشعيبية :**

وهم أصحاب شعيب بن محمد الذى ذهب مذهب الحازمية فى القدر ، لخلاف نشأ بين شعيب وبين ميمون . والشعيبية على مذهب العجاردة فى حكم الأطفال ، والقعدة ، والتولى والتبرى .

— **والميمونية :**

هم أصحاب ميمون بن خالد : الذى ذهب فى القدر مذهب المعتزلة . وقد أجاز ميمون نكاح بنات البنات ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات وحكى الشهرستانى والبغدادى عن جماعة الميمونية إنكارهم كون سورة يوسف من القرآن .

---

(١) الإسفراييني ، التبصير فى الدين ص ٣٣ — البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٣٧ .
(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ١ ص ١١٦ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٧٦ .
(٤) وقول أهل سنة هو أن لا خالق للفعل إلا الله ولا يكون إلا ما شاء الله . والاستطاعة مع العقل .
(٥) الرّسعنى ، مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٨٠ .

لكن الأشعرى يشكك فى صحة نسبة هذا القول إلى الميمونية .

ومن فرق العجاردة .

– **المعلومية والمجهولية :**

فالمعلومية منهم قالت : من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به ، والجاهل به كافر ، حتى يصير عالمًا بجميع ذلك فيكون مؤمنًا .

والمجهولية قالوا : من عرف الله ببعض أسمائه فقط فقد عرفه وكفروا المعلومية لما ذهبوا إليه كما خالف المجهولية المعلومية فى قولهم بأن الفعل مخلوق للعبد وذهبوا مذهب أهل السنة فى ذلك .

– **وأيضًا منهم الحمزية :**

أتباع حمزة بن أدرك الذى كان له فتن كبيرة وعاث فى الأرض فسادًا جهة سجستان وخراسان وما والاهما وعرف عنه القسوة والشدة والعنف مع مخالفيه يذبح أولادهم ونساءهم ورجالهم ويخرب ديارهم وبيوتهم [1] .

والحمزية أصحاب حمزة بن أدرك[2] وافقوا الميمونية فى القدر وفى معظم بدعها إلا فى أطفال مخالفيهم والمشركين ، فإنهم كانوا يقطعون بأنهم فى النار . ويقول الملطى عنهم إنهم « يقولون بكل قول الحرورية ، غير أنهم لا يستحلون أخذ مال أحد حتى يقتلوه ، فإن لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئًا دون أن يظهر صاحبه فيقتلوه فإذا قتلوه حينئذ استحلوا ماله وقد جعلوا هذا شريعة لهم » .

ومن العجاردة .

– **الخلفية :**

وهم أتباع رجل يقال له خلف الخارجى وقد خالف خلف هذا حمزة بن أدرك فى

---

(١) خرج حمزة بن أدرك زمن الرشيد سنة ١٧٩هـ وظل ردحًا من خلافة المأمون، ثم حاربه « طاهر بن الحسين فشتت جموعه بعد أن أفنى من الفريقين قرابة ثلاثين ألفا معظمهم من رجال حمزة ، على أن طاهرًا هذا لم يستأصل شأفة حمزة فقد فر ثم قاتله من بعده عبد الرحمن النيسابورى وشتت بقية رجال حمزة الذى فر ومات فى هروبه .

(٢) فى اسم أبيه اختلفت الأقلام ، فعند الشهرستانى « أدرك » ، وعند البغدادى فى الفرق « أكرك » لا أدرك ولعل الصواب أدرك .

القول بالقدر واستحقاق الرياسة يجزئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم يقهر الأعداء .

والخلفية « أصحاب خلف الخارجى وهم خوارج كرمان ومكران . خالفوا الحمزية فى القول بالقدر وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى وسلكوا فى ذلك مذهب السنة » .

وقال الخلفية « إن الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على ما لم يفعلوه كان ظالمًا . وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار . ولا عمل لهم ولا شرك . فهذا من أعجب ما يعقد من التناقض »[١] .

والخلفية « لا يرون القتال إلا مع إمام منهم . وقد كفوا أيديهم لعدم من يصلح للإمامة »[٢] .

ومن فرق العجاردة .

– الثعالبية :

أتباع ثعلبة بن مشكان[٣] وكان تابعًا لعبد الكريم عجرد يدًا واحدة إلى أن اختلفا فى أمر الطفل فقال ثعلبة :

« أنا على ولا يتهم صغارًا وكبارًا حتى نرى منهم إنكارًا للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة .. ونقل عنه أيضًا أنه قال ليس لهم حكم فى حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فإن قبلوا فذلك وإن أنكروا كفروا »[٤] .

وهذا الرأى هو ما ذكره الأشعرى[٥] أيضًا فى توقف الثعالبة عن البراءة والولاية والعداوة لأطفال المسلمين حتى يبلغوا فيدعوا[٦] .

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ص ١٣٧ .
(٢) الرّسعنى ، مختصر الفرق بين الفرق ص ٨٢ .
(٣) الشهرستانى ، الملل والنحل : يذكر اسمه ثعلبة بن عامر جـ ١ ص ١٣٨ .
(٤) المرجع السابق ص ١٣٩ .
(٥) الأشعرى ، المقالات جـ ١ ص ١٦٧ .
(٦) أما الأسفراييني فيقول رأيًا آخر يقول إن ثعلبة اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين وخالف فى هذا عبد الكريم عجرد . فيقول : كان الأخنس على مذهب الثعالبة فى موالاة الأطفال. التبصير . للأسفراييني ص٣٣ .

والواضح أن قولى الثعالبة فى الأطفال معتدل عن العجاردة الذين تبرءوا منهم ، فالثعالبة بحسب الرأى الأول قالوا بولايتهم وبحسب القول الثانى وقفوا منهم موقفًا سلبيًا فلم يوالهم ولم يتبرأوا منهم .

ومن العجاردة :

فرقة **الأخنسية** : أصحاب أخنس بن قيس كان فى أول أمره على قول الثعالبة فى موالاة الأطفال ثم رجع عنهم فقال يجب علينا أن نتوقف أى نتوقف عن جميع من فى دار التقية إلا من عرفنا منه إيمانا فنتولاه أو كفرا فنبرأ منه .

وقيل إن الأخنسية جوزوا تزويج المسلمات من مشركى قومهم أصحاب الكبائر وقد تبرأ منهم سائرهم .

ومن العجاردة .

**المكرّمية** : وهم أتباع أبى مكرّم بن عبد الله العجلى وكان من الثعالبة ثم زعم هو وأتباعه أن تارك الصلاة كافر لا لأجل تركه الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل . وزعم المكرمية أن كل ذى ذنب جاهل بالله تعالى . والجهل بالله كفر .

ومنهم **المعبدية** : أصحاب معبد بن عبد الرحمن . وكان من الثعالبة هو الآخر ، وخالف الأخنس فى تزويج المسلمات من المشركين ، وقال بأخذ الزكاة من العبيد وإعطائها لهم وكفر سائر الثعالبة حيث لم يقولوا بذلك .

ومنهم **الشيبانية** : أصحاب شيبان بن سلمة الخارجى الذى خرج فى أيام أبى مسلم ، وأعان أبا مسلم الخراسانى صاحب الدولة العباسية . وأكفرته الثعالبة والخوارج لمعاونته أبا مسلم ، وقتل عام ١٣٠هـ .

وكان شيبان الخارجى يقول بمشيئة الله بخلقه ، فأكفره سائر الثعالبة وأهل السنة بقوله بالتشبيه ولأنه ذهب إلى حدوث العلم لله . ومن مذهبه الجبر ، وممن أكفر شيبان الزيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمن الشيبانى لمناصرته لأبى مسلم .

ومنهم : **الرشيدية** : أصحاب رشيد الطوسى . وكان من جملة الثعالبة . وكانوا يوجبون نصف العشر فيما سقى بالأنهار والقنى . فأخبرهم زياد بن عبد الرحمن أن فيه العشر ولا تجب البراءة ممن قال فيه نصف العشر قبل هذا . فقال رشيد : إن لم تجز

البراءة منهم فإنا نعمل بما عملوا ، فافترقوا فى ذلك . فكان من قوله فيما سقى بالعيون والأنهار نصف العشر ، وإنما يجب العشر الكامل فى ما سقته السماء(١)

## ٢ – الأزارقة

من هم الأزارقة ؟

هم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى المكنى بأبى راشد(٢) وهو من بنى حنيفة . وكان قائدًا شجاعًا قويا قاتل قواد عبد الله بن الزبير وعماله ، وقواد الأمويين وعمالهم تسع عشرة سنة .

ولما قتل نافع بن الأزرق أمرت الخوارج عليهم عبيد الله بن ماحوز التميمى(٣) واشتد قتالهم . ولما قتل عبيد الله بن ماحوز أمر الأزارقة عليهم قطرى بن الفجاءة(٤) الذى حاربه

---

(١) ذكر الأشعرى فى مقالاته جـ ١ ص ١٦٨ أن الرشيدية ، من الثعالبة تفردوا بأنهم كانوا يؤدون عا سقى بالعيون والأنهار الجارية نصف العشر ، ثم رجعوا عن ذلك وكتبوا إلى المسمى زياد بن عبد الرحمن فأجابهم ، ثم أتاهم فأعلمهم أن فى ذلك العشر ، وأنه لا يجيز البراءة ممن غلط منهم فى ذلك ، فقال رجل منهم يسمى « رشيدًا » إن كان يسعنا ألا نتبرأ منهم فإنا نعمل بالذى يعملون به ، وثبت هو ومن معه على الفعل الأول ، فبرئت منهم الثعالبة وسموهم « العشرية » .

(٢) بايع الأزارقة نافع وسموه أمير المؤمنين. وصاروا أكثر من عشرين ألفًا خرج بهم بالبصرة عام ٦٥ واستولوا على الأهواز وماوراءها من أرض فارس وكرمان. وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية بن الأسود الحنفى، وعبدالله بن ماحوز التميمى وأخواه عثمان والزبير، وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة بن هلال اليشكرى وأخوه محرزبن هلال وصخر بن حبنا التميمى وصالح بن مخراق العبدى وعبدربه الصغير

وكان عامل البصرة حينئذ عبد الله بن الحرث الخزاعى . فأخرج عبد الله بن الحرث جيشًا مع مسلم بن عُبيس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة ، فاقتتلوا بدولاب الأهواز فقتل مسلم وأكثر أصحابه .

فخرج إليهم من البصرة عثمان بن عبيدالله بن معمر التيمى فى ألفى فارس ، فهزمته الأزارقة فخرج إليهم حارثة بن بدر الفدانى فى ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الأزارقة . وكان المهلب بن أبى صفرة يومئذ بخراسان فكلف بحرب الأزارقة فرجع المهلب إلى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف . وانضم إليه قوم من الأزد . فصار فى عشرين ألفا وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز . ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة مختصر المقالات ص ٧٣ .

(٣) بايعت الأزارقة عبيد الله بن ماحوز التميمى بعد مقتل نافع . وقاتلهم بعد ذلك بالأهواز ، فقتل عبيد الله بن ماحوز وقتل أيضا أخوه عثمان مع ثلاثمائة من أشداء الأزارقة ، وانهزم الباقون .

(٤) بعد مقتل ابن ماحوز بايع الأزارقة قطرى بن الفجاءة وسموه أمير المؤمنين وقد قاتلهم المهلب قتالاً عنيفا وانهزمت الأزارقة إلى سابور (قرب شيرازا) من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه على قتالهم تسع عشرة سنة ، بعضها فى أيام ابن الزبير وباقيها فى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق .وقرر الحجاج المهلب على حرب الأزارقة وجعل له خراج فارس وكرمان إلى أن يفرغ من أمر الأزارقة . فدامت الحرب بين المهلب والأزارقة كرًا وفرًا بين فارس والأهواز إلى أن وقع الخلاف بين الأزارقة ففارق عبد ربه الكبير قطريًا فى سبعة آلاف رجل. وفارق عبد ربه الصغير فى أربعة آلاف . وصار كل واحد منهما فى ناحية من نواحى =

المهلب بن أبى صفرة حربا شديدة حتى قتله . وكان مما حاربهم به المهلب اختلاق الأحاديث عليهم ووضعها . فقد كان يضع الحديث ليشد به أزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ويقول إن الحرب خدعة ، وكان حى من الأزد إذا رأوا المهلب خارجًا قالوا « راح يكذب » وفيه يقول رجل منهم :

أنت الفتى ، كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول[1]

## الأزارقة وآراؤهم الكلامية والفقهية

يقال إن أول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع بن الأزرق الحنفى ويقال إن سبب الخلاف الذى أحدثه نافع[2] « أن امرأة من أهل اليمن عربية ترى رأى الخوارج ، تزوجت رجلاً من الموالى على رأيها ، فقال لها أهل بيتها : فضحتنا ، فأنكرتْ ذلك ، فلما أتى زوجها قالت له : إن أهل بيتى وبنى عمى قد بلغهم أمرى . وقد عيرونى ، وأنا خائفة أن أُكْرَهَ على تزويج بعضهم فاختَرْ مِنى إحدى ثلاث خصال : إما أن تهاجر إلى عسكر نافع حتى نكون مع المسلمين فى حوزهم ودارهم ، وإما أن تخبأنى حيث شئت ، وإما أن تخلى سبيلى ، فخلّى سبيلها ، ثم إن أهل بيتها استكرهوها فزوجوها ابن عم لها لم يكن على رأيها ، فكتب ممن بحضرتها بأمرها إلى نافع بن الأزرق يسألونه عن ذلك ، فقال رجل منهم ، إنها لم يَسَعْها ما صنعت ولا وسع زوجها ما صنع ، من قبل هجرتهما ، لأنه كان ينبغى لهما أن يلحقا بنا ، لأنا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة ، ولا يسعُ أحد من المسلمين التخلف عنا ، كما لم يسع التخلف عنهم ، فتابعه على قوله ذلك نافع بن الأزرق وأهل عسكره ، إلا نفرًا يسيرًا ، وبرئوا من أهل التقية ، وأحدثوا أشياء .

= كرمان . وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس . وقاتله المهلب بها ، وهزمه إلى أرض كرمان وتبعه وقاتله بأرض كرمان إلى أن هزمه إلى الرىّ ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله . وبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير فأتى عليه وعلى أصحابه .

وبعث الحجاج بسفيان بن الأبرد الكلبى فى جيش كثير إلى قطرى بعد أن انحاز من الرىّ إلى طبرستان فقتلوه بها وأنفذوا برأسه إلى الحجاج وكان عبيدة بن هلال اليشكرى الخارجى قد فارق قطريا وانحاز إلى منطقة تسمى « قومس » فى ذيل جبل طبرستان . فتبعه سفيان بن الأبرد هناك فقتله وقتل أصحابه وخلص الأرض من الأزارقة . المرجع السابق ٧٥ — ٧٦ .

(١) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، ص ٣١٣ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ص ١٦١ و ص ١٦٢ .

وقد أقام نافع بن الأزرق بموضعه من « الأهواز » واستتب له الأمر هناك . ويومًا ما جاءه مولى لبنى هاشم قال لنافع[١] : « إن أطفال المشركين فى النار ،وإن مَنْ خالفنا يا نافع مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال المشركين لنا حلال . قال له نافع : كفرت وأدللت على نفسك . قال له : إن لم آتك يا نافع بهذا من كتاب الله فاقتلنى : ﴿قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجرًا كفارًا﴾ .

فهذا أمر الكافرين ، وأمر أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعًا فى النار ورأى قتلهم . ولهذا فإن الأزارقة من أهم آرائهم المعروفة أن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار ، أى « أن الذنب الذى أوجب كفر مخالفيهم يسرى إلى أولادهم ، مع أن أولادهم لم يرتكبوه ، ولكنه انحراف فكرى من أصحابهم »[٢] .

وقد قال نافع إن الدار دار كفر [يقصد دار مخالفيهم] إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا توارثهم ، ومن جاء منهم فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب لا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف . والقعد[٣] بمنزلتهم والتقية لا تحل[٤] .

ولما خرج عليه نجدة جرى بين نافع بن الأزرق ونجدة جدال طويل ، وكتب نافع إلى نجدة يقول « أما هؤلاء القعد[٥] فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الحرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقًا ، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾ فقيل لهم : ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ . وقال : ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ فخبر بتعذيرهم ، وأنهم كذبوا إليه ورسوله وقال : ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ فانظر إلى أسمائهم وسماتهم .

---

(١) المبرد ، الكامل (جـ ٢ ص ١٤٧ باختصار وتصرف) .
(٢) أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٨١ .
(٣) أى الذى لا يمضون إلى القتال .
(٤) يرى الأزارقة أن التقية لا تجوز مطلقًا لا بالقول ولا بالعمل .
(٥) الأزارقة يرون أن القعدة عن الهجرة إليهم مشركون حتى وإن كانوا على رأيهم . بل أكثر من ذلك فإنهم يرون ضرورة امتحان من يريد الانتماء إليهم قبل قبوله ، وذلك بأن يجسر على قتل أسير من مخالفيهم يقدمونه إليه . كما يستبيحون قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم .

وأما أمر الأطفال فإن نبى الله نوحًا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة منىّ ومنك ، فقال : ﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكفرين ديارًا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا .. فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا ؟ والله يقول : ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر﴾ ، وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام ، وأما استحلال أمانات من خالفنا ، فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم » [1] ومن ذلك نلاحظ أن الأزارقة« استحلوا خفر الأمانة التى أمر الله سبحانه بأدائها وقالوا : قوم مشركون لا ينبغى أن تؤدى الأمانة إليهم » .

ومن آرائهم الفقهية أنهم ينكرون رجم الزانى ، فإنهم لا يقرون حد الرجم ، ويسقطون حد الرجم عن الزانى المحصن ، حيث إن حد الرجم لم يذكر فى القرآن .

وأيضًا فإن الأزارقة أسقطوا الحد عمن يقذف الرجال بخلاف من يقذف النساء حيث إن حد الأول لم يذكر فى القرآن بخلاف الثانى . ومعنى ذلك أنهم أخذوا بظاهر النص القرآنى الشريف ﴿والذين يرمون المحصنات ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا ، وأولئك هم الفاسقون﴾ ، فلم يذكر حدًّا لقذف المحصنين من الرجال فى ظاهر النص الشريف .

وكما أشرنا من قبل فإن الأزارقة كفروا جميع المسلمين ما عداهم وقال نافع بن الأزرق إنه لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يجيبوا أحدًا من غيرهم إلى الصلاة إذا دعاهم إليها ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ، ولا أن يتزوجوا منهم ، ولا يتوارث الخارجى وغيره .

ومن مبادئ الأزارقة أنهم يقولون : إن عليًا كرم الله وجهه » كافر [2] وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام﴾ .

وأن قاتل « على » « عبد الرحمن بن ملجم » كان على حق فى رأيهم وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ ثم كفر الأزارقة

---

(١) المبرد ، الكامل جزء ٢ ص ١٧٨ .

(٢) الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها : إكفار الإمام على وسيدنا عثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين ، و الإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الحاكم الجائر .

عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبدالله بن العباس رضى الله عنهم ثم سائر من خالفهم من المسلمين كما ذكرنا .

ومن مبادئهم أيضًا قولهم إنه يجوز على الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر ، وكما يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله « وإن ذلك بلا ريب من المتناقضات فى أقوالهم ، إذ أنهم بينما يكفرون مرتكب الكبيرة يجوزونها على الأنبياء فالنبي قد يكفر ثم يتوب ، وذلك أخذوه من ظاهر قول الله تعالى :﴿إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[1] .

والحق أن أخذهم كثيرًا بظاهر النص جعلهم – غالبًا – لا يدركون حقيقة جوهر النص ومراميه . ولو أنهم وعوا أسباب تنزيل الآيات وعرفوا المحكم والمتشابه ، وأسرار اللغة العربية ما وقعوا أبدًا فيما وقعوا فيه لحماسهم الفكرى وعنادهم العجيب .

## ٣ – النجدات

هم أتباع نجدة بن عامر الحنفى وكان السبب فى زعامته أن نافعًا بن الأزرق لما أظهر البراءة من القاعدين عن القتال وإن كانوا على رأيه وسماهم المشركين واستحل قتل الأطفال والنساء من المخالفين فارقه جماعة منهم نجدة بن عامر الذى خرج على نافع بن الأزرق وذهب إلى اليمامة ، وكتب إليه يقول بعد أن ذكر منزلته فى التقوى والعدل من قبل (تجرد لك الشيطان ، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك ، فاستمالك ، واستهواك ، واستغواك ، وأغواك فغويت) .

فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه : ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ ثم سماهم أحسن الأسماء فقال : ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ .

ثم استحللت قتل الأطفال ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم ، وقال تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال فى القعد خيرًا ، وفضل الله من جاهد عليهم ، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه . أو مَا سمعت قوله عز وجل : ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله﴾ ، فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم .. ورأيت ألا تؤدى الأمانات إلى أهلها ،

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٨١ .

فاتق الله ، وانظر لنفسك واتق يومًا لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا ، فإن الله عز ذكره بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل[١] .

وقد كان بين ابن عباس وبين نجدة بن عامر مساجلات ، فمما يروى أن نجدة ، قال لابن عباس : كيف معرفتك بربك ، لأن من قبلنا اختلفوا علينا ، فقال ابن عباس : « إن من ينصب دينه للقياس لايزال الدهر فى التباس ، قائلاً عن المنهاج ، طاعنًا فى الاعوجاج . أعرفه بما عرف به نفسه من غير روية ، وأصفه بما وصف به نفسه »[٢] .

وكان من شأن نجدة بن عامر الحنفى أنه خرج عن نافع « فخرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة فاستقبله « أبو فديك »[٣] وعطية بن الأسود الحنفى[٤] فى الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق[٥] فأخبره بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الأحداث والبدع التى أحدثها وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين »[٦] .

ويقال أيضًا إن أتباع نجدة كانوا فى الأصل باليمامة مع أبى طالوت الخارجى ولكنهم تركوه . وبايعوا نجدة سنة ست وستين فعظم أمره وأمرهم ، فاستولى على البحرين وحضرموت واليمن والطائف . ولما بعث بعثًا إلى أهل القطيف ، « واستعمل عليهم ابنه ،

---

(١) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ص ١٧٧ ولقد سبق لنا ذكر رد نافع على مكاتبة نجدة الذى قال فيه نافع « أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممّن كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقًا ، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾ فقيل لهم :﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ وقال : ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ فخبر بتعذيرهم ، وأنهم كذبوا الله ورسوله ، وقال ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ فانظر إلى أسمائهم وسماتهم .
وأما أمر الأطفال فإن نبى الله نوحًا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة مني ومنك ، فقال : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا . فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا ؟ والله يقول : ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر﴾ وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام . وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم ، الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٢) السيوطى ، المنطق والكلام ص ٥٠ .

(٣) زعيم الفديكية فيما بعد حين يخرج على نجدة ويقتله .

(٤) زعيم العطوية فيما بعد . وأبرز الخارجين على نجدة بعد ذلك .

(٥) وخالفوا نجدة فيما بعد .

(٦) الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٣ .

فقتل وسبى وغنم ، فأخذ ابن نجدة وأصحابه عدة من نسائهم فقدموا كل واحدة منهن بقيمة على أنفسهم ، وقالوا : إن صارت قيمتهن فى حصتنا فذاك ، وإن لم تصر أدينا الفضل ، فنكحوهن قبل أن يقسمن ، وأكلوا من الغنائم قبل أن تقسم ثم رجعوا إلى نجدة فأخبروه بذلك ، فقال نجدة : لم يَسَعْكم ما صنعتم ، فقالوا : لم نعلم أنه لا يسعنا ، فعذرهم نجدة بجهالتهم ، فتابعه على ذلك أصحابه وعذروا بالجهالات ، إذا أخطأ الرجل فى حكم من الأحكام من جهة الجهل ، وقالوا : الدين أمران :

أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين وأموالهم ، وتحريم الغصب ، والإقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب ، وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة فى جميع الحلال ، فمن استحل شيئًا من طريق الاجتهاد مما لعله محرّم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه »[١] .

ومن ذلك نلاحظ أن هناك فرقًا بين منهج الأزارقة والنجدات فى مسألة الاجتهاد . فالأزارقة لا تعتبر الاجتهاد أصلاً فى الأحكام حتى أنه عند الأزارقة أن ما لا ينص عليه من الأحكام ليس بواجب القيام به كحد من يقذف الرجال . وأما النجدات فقد اهتموا بالاجتهاد أعظم الاهتمام حتى أنه عندهم أن من اجتهد فى شىء وأخطأ فيه فهو معذور بل جعلوا نصف الدين يعرف عن طريق الاجتهاد .

حتى أنهم قالوا « ومن خاف العذاب على المجتهد فى الأحكام المخطئة قبل أن تقوم عليه الحجة فهو كافر »[٢] .

وهناك فرق آخر بين الأزارقة والنجدات فالأزارقة جعلوا الإيمان قولاً وعملاً بينما النجدات جعلوا الدين معرفة وإقرارًا وهذا القدر من الدين الذى هو إقرار بماجاء من عند الله ومعرفة الله تعالى ومعرفة رسله هو الأصل فى الدين وأماغيره فهو موقوف على الاجتهاد[٣] .

ولقد أحدث النجدات مبدأ لا يوجد عند غيرهم من الخوارج وهو جواز التقية .

---

(١) مقالات جـ ١ ص ١٦٢ و ص ١٦٣ .

(٢) مقالات جـ ١ ص ١٦٣ .

(٣) وقد اشرنا من قبل إلى أن النجدات خالفوا الأزارقة ، فى تكفيرهم الخوارج واستحلال قتل الأطفال كما خالفوهم فى حكم أهل الذمة الذين يكونون مع مخالفيهم ، فالأزارقة قالوا إنه لا يباح دماؤهم احترامًا لذمتهم التى دخلوا بها فى أمان أهل الإسلام . وقال النجدات إنه يباح دماؤهم كما أبيحت دماء من يعيشون فى كنفهم من المسلمين .

وذلك بأن يظهر الخارجى أنه مع الجماعة حقنًا لدمه ومنعًا للاعتداء عليه ، فيجوز له إخفاء عقيدته حتى يأتى الوقت الملائم لإظهار حقيقة عقيدته وذلك لفهمهم غير السليم لقول الله تعالى ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ .

وحكى عن النجدات أنهم « استحلوا دماء أهل المُقَام وأموالهم فى دار التقية ، وبرئوا ممن حرّمها ، وتولوْا أصحاب الحدود والجنايات من موافقيهم .

وقالوا لا ندرى لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم ، فإن فعل فإنما يعذبهم فى غير النار بقدر ذنوبهم ، ولا يخلدهم فى العذاب ، ثم يدخلهم الجنة »[1] .

ومعنى ذلك أن نجدة بن عامر الحنفى « تولى أصحاب الحدود من أصحابه وقال : لعل الله يعفو عنهم ، وإن عذبهم ففى غير النار . ثم يدخلهم الجنة . وهو فى ذلك يخالف المبدأ العام وهو تكفير مرتكب الذنب وكأن نجدة بهذا يرى أنه إذا كان مرتكب الذنب من المنتمين للخوارج فقد عفا الله عنهم.وأما غيرهم فجنس آخر لايعفو الله عنه»[2] .

ومن عجيب آراء النجدات تعظيمهم جريمة الكذب على شرب الخمر والزنى فقد زعموا أن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثم أصر عليها فهو مشرك[3] وأن من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم[4] إذا كان من موافقيهم . ويقال

(١) مقالات جـ ١ ص ١٦٣ .

(٢) أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٨٢ .

(٣) من أصر على الصغيرة مشرك عند النجدات .

(٤) لقد ظل النجدات على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه ، فصاروا ثلاث فرق : فرقة صارت مع عطية بن الأسود الحنفى إلى سجستان وتبعهم خوارج سجستان ، وفرقة صاروا مع أبى فديك حربًا على نجدة ، وهم الذين قتلوا نجدة ، وفرقة عذروا نجدة ، فى إحداثه وأقاموا على إمامته . والذى نقموا على نجدة أنه بعث جيشًا فى غزو البر وجيشًا فى غزو البحر ، ففضّل اللذين بعثهم فى البر فى الرزق والعطاء . ومنها أنه بعث جيشًا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فأصابوا منها جارية من أولاد سيدنا عثمان بن عفان . فكتب إليه عبد الملك فى شأنها ، فاشتراها من الذى كانت فى يده وردها إلى عبد الملك .وقالوا إنك رددت جارية لنا على عدونا . ومنها أنه عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد وبالجهالات .. فاستتابه أكثر أتباعه من الأحداث وقالوا له أخرج إلى المسجد وتب من أحداثك ،ففعل ذلك . ثم إن قومًا منهم ندموا على استتابته وانضموا إلى المعاندين له ، وقالوا له « أنت الإمام ، ولك الاجتهاد ، ولم يكن لنا أن نستتيبك ،فتب من توبتك ، واستتب الذين استتابوك وإلاّ نابذناك » . ففعل ذلك ، فافترق عليه وخلفه أكثرهم ، وقالوا له « اختر لنا إمامًا فاختار لهم أبا فديك » .

وصار راشد الطويل مع أبى فديك .فلما استولى على اليمامة علم أن أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الإمامة . فطلب نجدة ليقتله .فاختفى نجدة فى بعض دور عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان فرقهم فى سواحل الشام واليمن . ونادى منادى أبى فديك « من دلنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم ، وأى=

إن نجدة أسقط حد الخمر .ومن مبادئهم أيضًا أنهم يرون أن إقامة إمام ليست واجبًا وجوبًا شرعيًا بل هي واجب . وجوبًا مصلحيًا ، أى أنهم يرون أنه إذا أمكن للمسلمين أن يتواصوْا بينهم بالحق وينفذوه فهم فى هذه الحالة ليسوا فى حاجة إلى إقامة إمام ، ما داموا قد تناصفوا فيما بينهم . فإذا أقاموه جاز .

ومن مبادئ الخوارج أنه من ثقل عن هجرتهم فهو منافق والنجدات كغيرهم من الخوارج عادة ما يختلفون فى أمر ما فيتقاتلون وينقسمون إلى شعب جديدة .

ولقد قتل أبو فديك نجدة بن عامر[١] ، « ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبى فديك ، وتولوا نجدة ، وتبرءوا من أبى فديك ، وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود عامل نجدة « بالحوير » يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة ، فقتله ، وأنه أحق بالخلافة منه ، فكتب عطية إلى أبى فديك أن يبايع له مَنْ قتله ، وأبى ذلك أبو فديك ، فبرئ كل واحد منهما من صاحبه ، وصارت الدار لأبى فديك ، وصاروا معه ، إلا من تولى نجدة ، فصاروا ثلاث فرق : « النجدية » و « العطوية »[٢] و « الفديكية »[٣] .

## ٤ — الصفرية

هم أتباع « زياد بن الأصفر »[٤] ويقال إن الصفرية نسبوا إلى رجل يقال له « عبيدة » وكان ممّن خالف نجدة ورجع من اليمامة .

---

= مملوك دلنا عليه فهو حر » فدلّ عليه أمة للذين نجدة عندهم فأنفذ أبو فديك راشدًا الطويل فى عسكر إليه فحمل رأسه إلى أبى فديك . وبويع له .

وبعث عبد الملك بن مروان عمر بن عبيدالله بن معمر التيمى فى جيش ، فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه إلى عبد الملك ( الرسعنى ، مختصر الفرق بين الفرق ص ٧٨ إلى ص ٧٩) .

(١) الأشعرى ، المقالات جـ ١ ص ١٦٤ .

(٢) العطوية : أصحاب عطية بن الأسود الحنفى وكانوا ممن خالفوا نجدة بن عامر الحنفى وفارقه ومضى إلى سجستان ، وعطية لم يحدث قولاً أكثر من أنه أنكر على نافع بن الأزرق ما أحدثه من أقاويله بالإضافة إلى مخالفته نجدة بن عامر الحنفى .

(٣) الفديكية: هم أتباع أبى فديك الذى قتل نجدةبن عامر الحنفى. وتبرأ من نجدة. والفديكية أكفروا نجدة. ومن فرقته راشد الطويل وأبى الشمراخ صاحب الشمراخية « الذى كان يقول إن دماء قومه حرام فى السر ، حلال فى العلانية ، وإن قتل الأبوين حرام فى دار التقية والهجرة وإن كانا مخالفين ، والخوارج تبرأ منه » مقالات ص ١٨٤ .

(٤) ذكر الملطى فى التنبيه والرد : ص ٥٢ الصفرية : وهم أصحاب المهلب بن أبى صُفرة . وهذا خطأ فقد كان المهلب يحارب الخوارج ولا يحارب عنهم . وكان المهلب من أكبر أعداء الخوارج .

وعند البغدادى « أن قول الصفرية كقول الأزارقة غير أنهم خالفوهم فى قتل الأطفال والنساء »[١] . فالصفرية لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم .

ولقد ظهر الصفرية حين خالف عبد الله بن الصفار نافعًا بن الأزرق حول مسألة القعدة أيضًا سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م . وقد اتخذ الصفرية فى هذه المسألة موقفًا وسطًا بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين « فلم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد »[٢] .

يقول الدكتور محمود عبد الرازق[٣] « إن عقائد الصفرية تمثل تطورًا عمليًا ملحوظًا فى فكر الخوارج وعقائدهم ، إذ تجنح إلى التخفيف من علواء التطرف الذى أفضى بحركاتهم إلى الفشل من قبل . فهم لم يسقطوا الرَّجْم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة ، كما نادوا بجواز التقية فى القول دون العمل وأجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون دار العلانية .

وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الإسلامية بدلاً من إشهار عدائهم لها الأمر الذى أتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة . لكنهم كانوا أكثر تطرفًا من الإباضية فى موقفهم من مرتكبى الكبائر ، ومن ثم مسألة « الكفر والإيمان » ، فبينما رأى الإباضية أنهم موحّدون قال الصفرية بتكفيرهم .

والحقيقة أننا نلاحظ أن فكر الصفرية أكثر تسامحًا من كثير من فرق الخوارج الأخرى . رأينا ذلك فى أنهم لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم فى النار[٤] .
ولقد ذهب الصفرية إلى أنه ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الإثم الذى لزمه بالحد .. زانيًا ، سارقًا ، قاذفًا .. لا كافرًا مشركًا . وأما ما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره فإنه يكفر بذلك كمن يترك الصلاة مثلاً .

ومن هذا كله نجد عدم غلو واضح فى فكر الصفرية ومبادئهم .

---

(١) الرسعنى ، مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٨٠ .
(٢) الشهرستانى ، الملل ، ص ١٢٣ .
(٣) فى كتابه الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ،ص ٤٥ و ص ٤٦ .
(٤) الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين ، ص ١٢١ .

# المبحث الخامس

## مناقشة لأهم أفكار وآراء الخوارج
## فى ضوء الفكر الإسلامى الصحيح

عاشت مبادئ وأفكار الخوارج فى عالمنا الإسلامى ردحًا قليلاً من الزمن لأن أفكارهم اتسمت بالعنف وتكفير غيرهم .

ونستطيع أن نفند معظم آراء الخوارج حين نناقشها فى ضوء الفكر الإسلامى الصحيح .

فإذا كان من مبادئهم المعروفة حلّ قتل مخالفيهم . فإن الدين العظيم لا يحل دم مؤمن إلا بثلاثة خلال : الرجم للزانى المحصن ، أو قتل نفس عمدًا فيقتل القاتل جزاء وفاقًا ، وإذا ارتد الإنسان بعد إيمان فيقتل لارتداده .

أما مسألة ولايتهم للشيخين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه . وتكفيرهم لذى النورين والإمام علىّ كرم الله وجهه لأن عثمان ولّى عمالاً من أقاربه فجار بعضهم وحكّم بغير ما حكم الله فكفر فى رأيهم ولأن عليًّا حكم الحكمين وخلع نفسه عن إمارة المؤمنين وحكم فى دين الله فكفر فى رأيهم .

فهذه قضية أشرنا من قبل إليها وعرفنا كيف رد عليهم الإمام على وابن عباس وبينا الخطأ الواضح فى رأيهم لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل الحكم إلى عباده فى كثير من الأمور الحياتية والسياسية .

ثم أليس عثمان وعلى كانا أميرين للمؤمنين بالإجماع . قال الخوارج بل كانا أميرين للمؤمنين بإجماع ثم كفرا . « فالإجماع على إيمانهما وولايتهما ثابت حتى يجىء إجماع مثله فيزيل ولايتهما وإيمانهما ، ويثبت كفرهما ، فلا حجة لهم بعد هذا البيان فى تكفيرهما »[1] .

إن عثمان وعليًّا رضى الله عنهما وليا أمر المسلمين بالإجماع وما دام الأمر كذلك

---

(١) الملطى ، التنبيه والرد ، ص ٥٠ .

فلا يحق لأحد أن ينازعهما الأمر إلا أن يرى منهما كفرًا بواحًا ظاهرًا ولم يُعرف عنهما - رضى الله عنهما - أبدًا ذلك . روى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ولا نخاف فى الله لومة لائم » وفى رواية : « وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان » .

وإذا كان صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرًا ، ولا يجوز أن يجرى عليه أحكام الكفرة ، فكيف يستحق الإمامان الجليلان عثمان وعلى أن يحكم عليهما الخوارج بالكفر ، وهما ليسا من أصحاب الكبائر ، وإذا كان أصحاب الكبائر لا يحق لنا أن نطلق عليهم كفارًا فمن باب أوْلى من بُشرا بالجنة لا يجوز لنا أن نطلق عليهما كفارًا أو نحكم عليهما بالكفر ، وهما صحابيان شريفان والرسول ﷺ يحذرنا ويقول « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا بعدى ، مَنْ آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه .. فاتقوا الله ثم اتقوا الله »(١) .

والخوارج لم يكفروا « عثمان » و « عليًّا » فقط بل كفروا أصحاب الجمل ، وفيهم نفر من صحابة رسول الله ﷺ ، ثم إن أصحاب الجمل لم يقتلوا المؤمنين عمدًا وإنما قتالهم فيه قتال البغاة وهم مؤمنون . يقول تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾ فأصحاب الجمل قاتلوا على هذا المعنى فلا يحق للخوارج أن يطلقوا عليهم لقب الكفر لأن منهم سابقون أوّلون للإسلام من المهاجرين والأنصار . يقول تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا . ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وفى أصحاب الجمل من بايع تحت الشجرة ، ولقد روى أبو داود والترمذى وصححه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » . وقال تعالى : ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا .. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾ ، « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم »(٢) .

وقال الإمام أبو زرعة الرازى وهو من أجل شيوخ البخارى : إذا رأيت الرجل ينتقص

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن جـ ٩ ص ٣٨٦٠ .
(٢) رواه الترمذى فى المناقب ص ٥٩ .

أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن الكريم حق وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح بهم ألصق ، والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق .

وقال الإمام أحمد : إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام ، وقال الإمام مالك : من شتم النبى ﷺ قتل ومن سب أصحابه أدب .

وقال إسحق ابن راهويه : من شتم أصحاب النبى ﷺ يعاقب ويحبس .

وقال القاضى أبو يعلى : الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة إن كان مستحلا لذلك كفر وإن لم يكن مستحلا فسق .

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسى : « الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا ، قال تعالى : ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى﴾ . وقال تعالى : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التى أثبتت لكل منهم الحسنى وهى الجنة ، ولا يتوهم أن التقييد بالإنفاق أو القتال فيها وبالإحسان فى « الذين اتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم .

يقول تعالى : ﴿يوم لا يُخزِى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانِهِم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير﴾ .

والله سبحانه لم يزل راضيًا عنهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ ، ومعلوم أن الرضا من الله تعالى لا يكون إلا على مَنْ علم موته على الإيمان والإسلام ﴿السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾ .

وفى شرح جوهرة التوحيد : « واختلف فى ساب الصحابى ، فقال عياض : قال يعزر ، وقال بعض المالكية : يقتل ، وخصّ بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسين ،

وقواه السبكى فيمن كفر الشيخين ، وفيمن كفر من صرح الرسول ﷺ بإيمانه أو بتبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر به »[١] .

وقد رد على الخوارج فى مسألة تكفيرهم صاحب الكبيرة القاضى عبد الجبار المعتزلى فى شرح الأصول الخمسة فقال[٢] : « إن صاحب الكبيرة لا يسمى كافرًا لأن الشرع جعل اسم الكفر على من يستحق العقاب العظيم ، ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن فى مقابر المسلمين ، ومعلوم أن صاحب الكبيرة ممن لا يستحق العقاب العظيم ، ولا تجرى عليه هذه الأحكام ، فلم يجز أن يسمى كافرًا .

والأصل فى الكلام على الخوارج أن نحقق عليهم الخلاف ، فنقول إن هذا الخلاف إما أن يكون خلافًا من جهة اللفظ ، أو من طريق المعنى . فإن خالفتمونا من حيث اللفظ وقلتم : إن صاحب الكبيرة يسمى كافرًا فلا يصح لأنا قد ذكرنا أن الكافر اسم لمن يستحق العقاب العظيم ، ويستحق أن تجرى عليه هذه الأحكام المخصوصة وليس كذلك الفاسق .

وإن خالفتمونا من جهة المعنى ، وقلتم : إنه يستحق العقاب العظيم ، ويستحق إجراء هذه الأحكام عليه كالكافر سواء قلنا إن هذا خلاف ما عليه الصحابة والتابعون ، فإنهم اتفقوا على أن صاحب الكبيرة لا يحرم الميراث ولا يمنع من المناكحة والدفن فى مقابر المسلمين ، هذا على الجملة .

وإذا أردت تفصيل ذلك : فعليك بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل البغى . ومعلوم أنه لم يبدأ بقتالهم ولم يتبع مدبريهم ، وكذلك لم يسمهم كفرة .

ولهذا فإنه لما سئل عليه السلام عنهم : أكفارهم ؟ قال : من الكفر فرّوا فقالوا : أمسلمين هم ؟ قال : لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم ، كانوا إخواننا بالأمس بغوا علينا ، فلم يسمّهم كفارًا ولا مسلمين ، وإنما سمّاهم: بغاة ، وقوله – عليه السلام – حجة ، غير أن الاحتجاج به على الخوارج غير ممكن، فإنهم ربما يكفرونه ، وربما يتوقفون فى إسلامه .

وأحد ما يدل على أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرًا ، آية اللعان[٣] ، فإن

---

(١) الباجورى ، شرح جوهرة التوحيد ص ٣٢٥ .

(٢) القاضى عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ٧١٢ .

(٣) وهى قول الله تعالى فى سورة النور: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ النور: ٦:٩ .

اللعان إنما ثبت بين الزوجين فلو كان القذف كفرًا ، لكان لابد من أن يخرج أحد الزوجين بفسقه عن الإسلام فتنقطع بينهما عصمة الزوجية ، فلا يحتاج إلى اللعان ، فكأنه لم يشرع بين الأجنبية ، وإنما يجرى بين الزوجين .

فصحَّ بهذه الجملة : « أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرًا ، ولا يجوز أن يجرى عليه أحكام الكفرة »[1] .

ومن المعروف أن الخوارج يعتبرون أن كل من خالفهم فى عقيدتهم ومبادئهم فهو كافر ، بالإضافة إلى أن كل مرتكب لكبيرة فهو كافر فى رأيهم قياسًا على فهمهم الخاطئ لقول الله تعالى : ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ [المائدة : ٥] . وقوله تعالى : ﴿إنا هديناه السبيلَ إمّا شاكرًا وإما كفورًا﴾ .

وقوله : ﴿وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ فلم يجعل الله بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة فى رأيهم .

يقول الخوارج « ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال ، وأول الفرائض فى عمل ، ومن ترك ما أمره الله به فقد حبط عمله وإيمانه ، ومن حبط عمله فهو بلا إيمان ، والذى لا إيمان له مشرك كافر »[2] .

يقال لهم أى : [للخوارج][3] : « أخطأتم القياس وتركتم طريق العلم ، وذلك أن الله عز وجل بين فى كتابه المحكم أن الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر[4] بقوله : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ (النور : ٤) ، ولم يقل : إنهم مع فسقهم مؤمنون كما قالت المرجئة ، ولا قال إنهم مع فسقهم كفار كما قلتم [يقصد الخوارج] أنتم ، وأثبت لهم اسم الفسق فقط ، فهم فساق لا مؤمنون ولا كافرون كما قال الله عز وجل وأجمعت عليه الأمة ، والأمة مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر وإنما هو اسم ومنزلة بين الكفر والإيمان أجمعت الأمة على ذلك ، وإنما ذهب من ذهب إلى تكفير أهل الكبائر من أهل القبلة بعد القول بفسقهم ، وكذلك المرجئة إنما سموا أهل الكبائر مؤمنين بعدما سموهم

---

(١) فكيف يستحق ختنا رسول الله ﷺ (عثمان وعلى) أن يطلق عليهما أحد لفظ الكفر وهما لم يرتكبا كبيرة من الكبائر !!

(٢) الملطى ، التنبيه والرد ص ٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٩ .

(٤) وفى ذلك نلحظ اتجاه الملطى هنا إلى رأى المعتزلة فى القول بالمنزلة بين المنزلتين .

فاسقين لأن الله عز وجل سماهم فاسقين ولم يتهيأ لهم أن يزيلوا اسم الفسق عنهم ، فاجتمعوا على فسقهم ، ثم افترقوا إلى غير ذلك .

ويقال للخوارج أيضًا : « لما صيرتم الكبائر والصغائر شيئًا واحدًا والله عز وجل قد فرّق بين الصغائر والكبائر بقوله : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهوْن عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا﴾ ٣١ النساء ، يعنى من لم يعمل الكبائر ، فإن حاولوا حجة فى تكفير الأمة لم يجدوا ، وإن جعلوا الذنوب كلها كبائر لم يجدوا إلى الحجة سبيلاً من عقل ولا سمع » .

ومن ذلك كله يتضح لنا مدى خطأ الخوارج فى تكفيرهم الأمة وتكفيرهم من قبل عثمان وعلى وأصحاب الجمل . وفى تكفيرهم مرتكبى الكبائر لأن العمل بأوامر الدين جزء من الإيمان عند الخوارج وليس الإيمان الاعتقاد وحده ، فمن اعتقد عندهم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو عند الخوارج كافر ، ولذلك نلاحظ أن الخوارج يعتبرون أن من ارتكب معصية خرج من الإسلام إلى الكفر إلا إذا تاب مستندين فى ذلك إلى فهم خاطئ لقول الله تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة ٤٤ ، وبالنسبة للآية يقول الإمام الفخر الرازى[1] . فى قوله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فيه مسألتان ..

الأولى : المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود فى إقدامهم على تحريف حكم الله تعالى فى حد الزانى المحصن ، يعنى أنهم لمّا أنكروا حكم الله المنصوص عليه فى التوراة وقالوا : إنه غير واجب ، فهم كافرون على الإطلاق ، لا يستحقون اسم الإيمان لا بموسى والتوراة ولا بمحمد والقرآن .

المسألة الثانية : قال الخوارج : كل من عصى الله فهو كافر . وقال جمهور الأئمة : ليس الأمر كذلك ، أما الخوارج فقد احتجوا بهذه الآية وقالوا : إنها تنص فى أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله ، فوجب أن يكون كافرًا .

وذكر المتكلمون والمفسرون أجوبة عن هذه الشبهة :

---

(١) الرازى ، التفسير الكبير ، جـ ١٢ ص ٥ ، وص ٦ .

**الأول** : أن هذه الآية نزلت فى اليهود فتكون مختصة بهم ، وهذا ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومنهم من حاول دفع هذا السؤال فقال : المراد ومن لم يحكم من هؤلاء الذين سبق ذكرهم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وهذا أيضًا ضعيف لأن قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ كلام أدخل فيه كلمة « من » فى معرض الشرط ، فيكون للعموم . وقول من يقول : المراد ومن لم يحكم بما أنزل الله من الذين سبق ذكرهم فهو زيادة فى النص وذلك غير جائز .

**الثانى** : قال عطاء : هو كفر دون كفر ، وقال طاوس : ليس بكفر ينقل عن الملة كمن يكفر بالله واليوم الآخر ، فكأنهم حملوا الآية على كفر النعمة لا على كفر الدين ، وهو أيضًا ضعيف ، لأن لفظ الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر من الدين .

**والثالث** : قال الأنبارى : يجوز أن يكون المعنى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهى أفعال الكفار ، ويشبه من أجل ذلك الكافرين ، وهذا ضعيف أيضًا لأنه عدول عن الظاهر .

**والرابع** : قال عبد العزيز بن يحيى الكنانى : قوله ﴿بما أنزل الله﴾ صيغة عموم ، فقوله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ معناه من أتى بضد حكم الله تعالى فى كل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وهذا حق لأن الكافر هو الذى أتى بضد حكم الله تعالى فى كل ما أنزل الله تعالى ، أما الفاسق . فإنه لم يأت بضد حكم الله إلا فى القليل ، وهو العمل ، أما فى الاعتقاد والإقرار فهو موافق ، وهذا أيضًا ضعيف ، لأنه لو كانت هذه الآية وعيدًا مخصوصًا بمن خالف حكم الله تعالى فى كل ما أنزل الله تعالى لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله فى الرجم ، وأجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله تعالى فى واقعة الرجم ، فيدل على سقوط هذا الجواب .

**والخامس** : قال عكرمة : قوله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله ، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية . وهذا هو الجواب الصحيح عند الفخر الرازى .

وقال الإمام الطبرى فى تفسيره[1] « وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الكفر فى

---

(١) المجلد الرابع جـ ٦ ص ١٦٣ باختصار .

هذا الموضع فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك من أنه عنى به اليهود الذين حرفوا كتاب الله وبدلوا أحكامه » عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ فى قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وقوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ وقوله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ . فى الكافرين كلها . وعن الضحاك نزلت هذه الآيات فى أهل الكتاب وقيل ليست فى أهل الإسلام منها شىء ، إنما هى فى الكفار إلا أن يفعل أهل الإسلام ذلك استخفافًا أو استحلالاً أو جحدًا » .

ومن هنا فإننا نرى أن المسلم العاصى مرتكب الكبيرة عند الخوارج لا يصح تكفيره كما يرى الخوارج ، فتكفير المؤمن لا يصح لأنه كان بتأويل منهم غير صحيح ، وإن موقف القاضى عبد الجبار المعتزلى فى مسألة مرتكب الكبيرة واضح وعميق فيقول[1] : « هذه المسألة تُلَقّب بمسألة الأسماء والأحكام . وقد اختلف الناس فيها ، فذهب الخوارج إلى أن صاحب الكبيرة كافر . وذهب المرجئة إلى أنه : مؤمن ، وذهب الحسن البصرى إلى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، وإنما يكون منافقًا ، إلى هذا ذهب عمرو بن عبيد المعتزلى ، وذهب واصل بن عطاء المعتزلى إلى أن صاحب الكبيرة ؛ لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا ولا منافقًا ، بل يكون فاسقًا . وهذا المذهب أخذه عن أبى هاشم الجبائى : عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وكان من أصحابه ويقول القاضى عبد الجبار : والمخالف فى هذا الباب لا يخلو ، إما أن يقول : إن صاحب الكبيرة : منافق . وذلك لا وجه له ، لأن المنافق اسم لمن يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، وليس هذا حال صاحب الكبيرة ، أو يقول : إنه كافر على ما تقوله الخوارج . والكلام عليه أن نقول : ما تعنى به ؟ أتريد أن حكمه حكم الكافر حتى لا يناكح ولا يورث ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، أو تريد أنه يسمى كافرًا وإن لم تجر عليه هذه الأحكام ؟ فإن أردت به الأول فذلك ساقط ، لأننا نعلم ضرورة من دين الأمة : أن صاحب الكبيرة ، لا تجرى عليه هذه الأحكام .

وإن أردت به الثانى فذلك لا يصح أيضًا ، لأن الكفر صار بالشرع اسما لمن يستحق إجراء هذه الأحكام عليه . فكيف يجوز إطلاقها على من لا يستحقها ؟

وإما أن تقول : إن صاحب الكبيرة . مؤمن على ما تقوله المرجئة . والكلام عليه أن نقول : ما تريد به ؟ أتريد به : أن حكمه حكم المؤمنْ فى المدح والتعظيم والموالاة من

---

(١) شرح الأصول ، الخمسة : ص ١٣٧ : ص ١٤١ باختصار .

الله تعالى . أم تريد : أنه يسمى مؤمنًا ؟ فإن أردت به الأول ، فذلك لا يصح ، لأنه خرق إجماع مصرح فكأننا نعلم من حال الصحابة ، وخاصة من حال على بن أبى طالب – عليه السلام – أنهم كانوا لا يعظمون صاحب الكبيرة ، ولا يوالونه فى الله عز وجل – بل يلعنونه ويستخفون به .

وإن أردت به الثانى فذلك لا يصح أيضًا . لأن قولنا : « مؤمن فى الشرع اسم لمن يستحق هذه الأحكام المخصوصة ، فكيف يجرى على من لا يستحقها ؟ » .

ومن ذلك نلاحظ أن المعتزلة لا تحكم على المسلم العاصى مرتكب الكبيرة بالكفر بل تلقبه بلقب الفاسق . أو فى منزلة بين المنزلتين وقال أهل السنة إن مرتكب الكبيرة لأنه يقر بوحدانية الله ونبوة الرسول ﷺ فإننا لا نحكم عليه بالكفر وهذا ما نقول به لأن تكفير المؤمن بغير دليل ظاهر من الشرع كفر .

وقد اتضح لنا أن الذى دفعهم إلى القول بتكفير المسلم العاصى الذى لم يتب فهمهم غير الصحيح لبعض آيات القرآن مثل قوله تعالى : ﴿إنّا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا﴾ [الإنسان : ٣] وقوله تعالى ﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[التغابن : ٢]

وقوله تعالى : ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف : ٨٧] وقوله : ﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ [النحل ١٠٥] . وقوله ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وأيضًا يعود إلى عدم فهمهم بدقة معنى كثير من الأحاديث النبوية مثل قول رسول ﷺ لأبى ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية »[1] .

وقوله ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »[2] . وقوله : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[3] .

---

(١) البخارى ، جـ ١ ص ١٢ .
(٢) أبو داود بنحوه جـ ٢ ص ٢٦ ، والترمذى بنحوه رقم ٢٧٥١ . وقال حديث حسن صحيح .
(٣) البخارى جـ ١ ص ١٥ ، جـ ٨ ص ١٣ ، ومسلم جـ ١ ص ١٥٣ ، والترمذى حديث رقم ٢٧٧٢ وقال حديث حسن صحيح .

وقوله ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[١] .

وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر »[٢] .

والحق أنه ليس فيما سبق من نصوص قرآنية كريمة ونصوص حديثية شريفة دليل صريح على كفر مرتكب الكبيرة .

فما استدلوا به من الآيات والأحاديث ، محمول على من استحل شيئًا من الكبائر أو جحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والحج بعد استيفاء شروطهما . أو أن المراد صار مشابهًا للكفار فى أفعالهم وإن ظل فى عداد المسلمين كمن يتولى الكفار ، أو يتغلب عليه اليأس من روح الله ، أو يفترى الكذب . إذ أن المؤمن الحق لا ينبغى عليه أن يأتى بشىء من ذلك .

ومعنى وجود بعض خصال الجاهلية فى تصرفات الإنسان وأفعاله ، لا يقتضى ذلك تكفيره أو خروجه من الدين السمح الحنيف ، وإلا حكم رسول الله ﷺ على أبى ذر بالكفر ، وطالبه بالعودة إلى الإسلام لمجرد أنه ضرب عبده أو أساء إليه ، ولم يحكم أحد من العلماء بتكفير من ضرب عبده .. وقد أكد ذلك البخارى فى صحيحه حيث قال : باب المعاصى من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ، لقول النبى ﷺ « إنك امرؤ فيك جاهلية »[٣]. وقول الله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .

وترك الصلاة ، وقتال المسلم ، لا يكفر إلا من استحل فعلها ، ولم ير فى ذلك تهاونًا فى حق الدين . أما عن قول رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فذلك محمول على استحقاق الدخول : أى لا يستحق دخول الجنة وإن دخلها فبعفو الله تعالى ومغفرته ، أو لا يدخلها مع المتقين ، أو مع غير المتكبرين ، أو لا يدخلها إلا بعد أن يلقى جزاءه على الكبر ويرى ابن قتيبة أن الكلام هنا خرج مخرج الحكم .. أى ليس حكم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أن يدخل الجنة

---

(١) البخارى جـ ٣ ص ١١٨ ، جـ ٨ ص ١٣٧ ومسلم جـ ١ ص ٢٤١ وأبو داود جـ ٢ ص ٤٧٠ والترمذى رقم ٢٧٦٠ بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب .

(٢) مسلم جـ ١ ص ٢٨٤ — وأبو داود بنحوه جـ ٢ ص ١٨١ . والترمذى حديث رقم ٢٠٦٦ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، جـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣) صحيح البخارى جـ ١ ص ١٩ .

كما تقول فى دار صغيرة لا يدخلها أمير – أى حكمها كذلك . ويجوز أن يدخلها الأمير – أى جريًا على غير العادة[١] .

والله تعالى يقول ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء : ٤٨] .

ومما يوضح لنا أن المسلم لا يكفر بالمعاصى والكبائر قول الله تعالى : ﴿قل يا عبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر : ٥٣] أى ماعدا الشرك الذى بينت آية النساء السابقة أن الله لا يغفره . قال الإمام النووى رضى الله عنه : « واعلم أن مذهب أهل الحق أن لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب »[٢] .

وإننا نلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر ، بل اكتفى بإقامة الحد الشرعى عليه كما فى رجم الزناة .

(١) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ص ١١٧ .
(٢) النووى ، شرح مسلم جـ ١ ص ١٧٠ .

## مناقشة رأى الخوارج
## فى قولهم : إن مرتكبى الكبائر مخلدون فى النار

عرفنا من قبل أن مرتكب الكبيرة عند الخوارج إذا لم يتب من ذنبه فهو كافر . ولقد حكموا عليه أيضًا بالخلود فى النار لكفره . وطبقًا لفهمهم الخاص لبعض آيات القرآن الكريم حكموا على العاصين بالخلود فى النار . واستندوا فى ذلك إلى قول الله تعالى ﴿بلى من كَسبَ سيئةً وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة : ٨١] .

والحق أنه كما يقول الفخر الرازى فى تفسيره[1] « اختلفت أهل القبلة فى وعيد أصحاب الكبائر ، فمن الناس من قطع بوعيدهم وهم فريقان ، منهم من أثبت الوعيد المؤبد وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج ومنهم من أثبت وعيدًا منقطعًا وهو قول بشر المريسى ، ومن الناس من قطع بأنه لا وعيد لهم وهو قول شاذ ينسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر ، والقول الثالث أنا نقطع بأنه سبحانه وتعالى يعفو عن بعض المعاصى ، ولكنا نتوقف فى حق كل أحد على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا ، ونقطع بأنه تعالى إذا عذب أحدًا منهم مدة فإنه لا يعذبه أبدًا بل يقطع عذابه ، وهذا قول الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وأكثر الإمامية » .

ويقول الأشعرى عن موقف الشيعة « اختلفت الروافض فى الوعيد ، وهم فرقتان . فالفرقة الأولى منهم : يثبتون الوعيد على مخالفيهم ، ويقولون : إنهم يعذبون ، ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة ، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها ، ورووا فى أئمتهم : أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصى ، سألوا الله فيهم فصفح عنهم ، وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه ، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم .

الفرقة الثانية منهم : يذهبون إلى إثبات الوعيد ، وأن الله عز وجل يعذب كل مرتكب الكبائر من أهل مقالتهم كان أو من غير أهل مقالتهم ويخلدهم فى النار ..[2] ، والحقيقة

---

(١) الرازى ، التفسير الكبير ، جـ ٣ ص ١٤٤ ص ١٤٥ .
(٢) الأشعرى ، مقالات ص ١٢٦ .

أنه إذا كان موقف جمهور المعتزلة والخوارج فى إثبات الوعيد المؤبد قريب إلى حد ما إلا أن المعتزلة يقولون بقاعدة تسمى « الإحباط والتكفير » ومعناها : أن المكلف إذا فعل طاعات وفعل معاصى وآثامًا . فإذا كانت الطاعات أكبر من المعاصى والآثام سقط عن المكلف جزاء المعاصى والآثام وإذا كانت المعاصى والآثام أكبر من الطاعات سقط عن المكلف جزاء الطاعات ، ويستندون فى ذلك إلى قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا﴾ [الأنبياء : ٤٧] ولقول الله تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشةٍ راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ [القارعة : ٦ – ٩] ، وإذا دخل الطائع الجنة وطاعاته أكبر من معاصيه داخل فى درجةٍ على مقدار طاعاته ، ولا يخرج من الجنة أبدًا . وإذا دخل العاصى النار ومعاصيه أكبر من طاعاته دخل فى دركةٍ على مقدار معاصيه ، ولا يخرج من النار أبدًا » لحديث رسول الله ﷺ « يا أهل الجنة خلود بلا موت » وللدلالة الآيتين : ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ ﴿وأمّا من خفت موازينه﴾ ولا نعى إلا على الثقل والخفة والخلود من أجلهما .

والشىء الذى يختلف فيه المعتزلة ، مسألة إذا تساوت طاعات المكلف ومعاصيه ، فما جهة الحكم ؟ على من تساوت طاعاته ومعاصيه ؟ لقد اتفقوا على أن المساواة لا تحصل البتة ؟ ثم اختلفوا في جهة الحكم ، فعند أبى على أن جهة الحكم هى العقل والسمع . وعند أبى هاشم : أن جهة الحكم هى السمع فقط ويشرح ذلك القاضى عبد الجبار فيقول[1] : « فإن قيل : فما قولكم فيمن استويا فى حقه ، أكان يجب أن يثاب ويعاقب دفعة واحدة ؟ قيل له : إنهما لا يستويان ولا خلاف فى ذلك بين أبى على . وبين أبى هاشم ، وإنما الخلاف فى أن ذلك يعلم عقلاً وسمعًا ، أو لا يعلم إلا سمعًا .

فعند أبى على : « أن ذلك يعلم عقلاً وسمعًا . وقال أبو هاشم : لا يعلم إلا سمعًا ، فإن الأمة أجمعت على أن لا دار غير الجنة والنار ، فلو تساوت طاعات المكلف ومعاصيه ، لكان لا يخلو من أحد أمرين ، فإما أن يدخل النار وذلك ظلم وإما أن يدخل الجنة ، ثم لا يخلو حاله ، وقد دخل الجنة ، إما أن يثاب وذلك لا يجوز ، لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح ، وإما أن يتفضل الله عليه كما تفضل على الأطفال والمجانين وذلك مما لا يصح أيضًا ، وقد اتفقت الأمة : على أن المكلف إذا دخل الجنة فلابد من أن يميز حاله من حال الولدان المخلدين ، وعن حال الأطفال والمجانين ، فليس إلا أن نقطع أنه لا تتساوى طاعات المكلف ومعاصيه » .

---

(١) القاضى عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ص ٦٣٣ .

ويختلفون أيضًا فى مسألة « العوض »(١) فهل العوض على سبيل الدوام ، وهل التسوية حاصلة بين العوض والثواب ، وهل الإحباط والتكفير يدخل فى العوض أم لا يدخل ويهمنا فى هذا الأمر تفسير قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلى حين يتحدث عن الإحباط والتكفير فيقول(٢) : « اعلم أن المكلف لا يخلو ، إما تخلص طاعاته ومعاصيه أو يكون قد جمع بينهما . وإذا كان قد جمع بينهما فلا يخلو ، إما أن تتساوى طاعاته ومعاصيه ، أو يزيد أحدهما على الآخر فإنه لابد من أن يسقط الأقل بالأكثر ، وإن شئت أوردت ذلك على وجه آخر فقلت :

إن المكلف لا يخلو ، إما أن يستحق الثواب أو أن يستحق العقاب من كل واحد منهما قدرًا واحدًا ، أو يستحق من أحدهما أكثر مما يستحق من الآخر . فإن الأقل لابد من أن يسقط بالأكثر ويزول . وهذا هو القول بالإحباط والتكفير على ما قاله المشايخ .

وقد خالفنا فى ذلك كثير من المرجئة ، وعباد بن سليمان الصيمرى ، فإن مذهبه : أن العقوبة لا تزول إلا بالتوبة .

فأما كثرة الطاعات فمما لا تأثير لها فى ذلك ، غير أنه يثبت مزية لمن خلط الطاعات بالمعاصى ، لا يثبتها لمن خلصت معاصيه .

ويقص القاضى عبد الجباز خلافًا فى مسألة الإحباط والتكفير بين الشيخين المعتزلين الكبيرين أبى على وأبى هاشم فيقول(٣) : « فإن قيل : إذا كان الشيخان لا يختلفان فى وقوع الإحباط والتكفير ، ففى أى موضع اختلفا فى هذه المسألة ، قلنا فى موضعين أحدهما [ الموازنة](٤) والآخر أن الإحباط والتكفير إذا وقعا ، وقعا فى الطاعة والمعصية ، لأنهما اللذان يصح أن يؤثر أحدهما فى الآخر ، دون الثواب والعقاب اللذين لا يوجدان معًا حتى يصح تأثير أحدهما فى الآخر ، وقال أبو هاشم : لا . بل يقعان فى الثواب والعقاب قال : وذلك لأن الذى أوجب القول فى الإحباط والتكفير هو امتناع الجمع بينهما للمنافاة ، والذى امتنع الجمع بينهما إنما هو الثواب والعقاب ، حيث كان أحدهما

---

(١) ومعناه : أن الله تعالى يعوض الناس مثلاً إذا فعلوا خيرًا فى الدنيا أن يعوضهم عن ذلك الجنة أو غير ذلك من الأعواض والحسنات فى الآخرة .

(٢) القاضى عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة : ص ٦٢٣ – ٦٢٤ .

(٣) القاضى عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة : ص ٦٢٧ إلى ص ٦٢٩ باختصار .

(٤) الموازنة : وصورتها أن يأتى المكلف بطاعة استحق عليها عشرة أجزاء من الثواب ، وبمعصية استحق عليها عشرين جزءًا من العقاب .

مستحقًا على سبيل التعظيم والإجلال ، والآخر على سبيل الاستحقاق والنكال دون الطاعة والمعصية ، فمعلوم أن الجمع بينهما ممكن غير متعذر ، فيجب أن لا يقع الإحباط والتكفير إلا فى المستحقين على ما ذكرته . واختلفوا أيضًا فى الموازنة . فمن مذهب أبى على : أنه يحسن من الله تعالى أن يفعل به فى كل وقت عشرين جزءًا من العقاب . ولا يثبت لما كان قد استحقه على الطاعة التى أتى بها تأثير ، بعدما ازداد عقابه عليه وقال أبو هاشم : لا بل يقبح من الله تعالى ذلك ولا يحسن منه أن يفعل به من العقاب إلا عشرة أجزاء . فأما العشرة الأخرى فإنها تسقط بالثواب الذى قد استحقه على ما أتى به من الطاعة . وهذا هو الصحيح من المذهب المعتزلى » .

والحقيقة أنه إذا كان قول الخوارج وقول المعتزلة فى الوعيد واحدًا ومتشابهًا إلى حد كبير « لأنهم يقولون إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم فى النار خالدون فيها مخلدون ، غير أن الخوارج يقولون : إن مرتكبى الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين ، والمعتزلة يقولون : إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين »[(١)] .

والواقع أننا نقول إن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة ليس بكافر ولا يعذب عذاب الكافرين ولا يخلد فى النار .

لأن هناك أحاديث صحيحة صريحة تؤكد هذه الحقائق من ذلك قول رسول الله ﷺ : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : (أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان) فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا [المطر] أو الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية »[(٢)] .

وروى أنس عن النبى ﷺ قال : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير » .. وفى رواية « من إيمان »[(٣)] .

وروى مسلم فى صحيحه بسنده – عن أبى ذر قال : أتيت النبى ﷺ وهو نائم ، عليه ثوب أبيض ، ثم أتيته فإذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فجلست إليه ، فقال :

---

(١) الأشعرى ، مقالات : ص ٢٠٤ .
(٢) رواه البخارى جـ ١ ص ١٠ .
(٣) رواه البخارى جـ ١ ص ١٤ . والترمذى حديث رقم ٢٧٢٠ .

ما مِن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة .. قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق .. قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ .. قال : وإن زنى وإن سرق (ثلاثًا) . ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبى ذر .. قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر[1] .

ولأدل على رأينا ما ذكر في شأن شفاعة رسول الله ﷺ وأن هذه الشفاعة تشمل كل من مات موحدًا .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه .. « .. ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز [أى يمضى عليه ويقطعه] ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل . ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان [نبات له شوك عظيم من كل الجوانب] .. هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله . تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن ، بقي بعمله . ومنهم المجازى حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، يأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله ممّن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول :

« لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار .. يعرفونهم بأثر السجود .. تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود .. حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا [احترقوا] ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منها كما تنبت الحبة في حميل السيل [أى ما يجيء به السيل من طين وغرين . والتشبيه في سرعة النمو] . ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول : أى رب : اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى [آذانى وأهلكنى أو غير صورتى] ريحها وأحرقنى ذكاءها [لهيبها] .. فيدعو الله ما شاء الله يدعوه ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : (هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ، فيقول لا أسألك غيره) ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء له أن يسكت ثم يقول : أى رب : قدمنى إلى باب الجنة .. فيقول الله له : (أليس قد أعطيت عهدك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيك ، ويلك يا ابن آدم .. ما أعذرك) فيقول : أى رب ، ويدعو الله حتى

(١) شرح مسلم جـ ١ ص ٢٨٦ .

يقول له : (فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ، فيقول : لا - وعزتك) فيعطى ربه ما شاء الله من عهوذ ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفهقت [انفتحت] له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أى ربّ أدخلنى الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ، ويلك يا ابن آدم .. ما أعذرك .. فيقول : أى رب لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تمن ، فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره من كذا وكذا .. حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه - قال عطاء بن زيد ، وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة . لا يرد عليه [أى أنه وافقه فيما رواه] من حديثه شيئًا ، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل : ومثله معه .. قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة . قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : ذلك لك ومثله معه .

.. قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ - قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله - قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا »[1] .

ومن هذا كله يتضح لنا أن المؤمن لا يخلد فى النار - كما يرى الخوارج والمعتزلة الذين اعتبروا أن مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنًا وإن كان يعد مسلمًا ، لكنه يخلد فى النار ما لم يتب توبة نصوحًا ويكون عذابه أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسوله .

ذلك أن الخوارج والمعتزلة يعدون العمل جزءًا من الإيمان ، والأشاعرة والماتريدية لا يعدون العمل جزءًا من الإيمان ، ولذلك لا يخرج عن حظيرة الإيمان من يرتكب المعاصى ، وإن كان له حساب وعقاب وقد يتغمده الله برحمته . ولهذا فإن الماتريدى[2]

---

(١) رواه البخارى جـ ٨ ص ١٠١ - ومسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٢٠ و ٢٥ .

(٢) يقول الماتريدى : « إن الله تعالى قد بين فى القرآن الكريم أنه لا يجزى على السيئة إلا بمثلها فقال تعالى ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ ولا شك أنّ من لا يكفر بالله ولا يشرك به يكون ذنبه دون ذنب الكافر والمشرك ، وقد جعل الله تعالى التخليد عقوبة الشرك والكفر ، فلو عذب صاحب الكبيرة مع وجود التصديق مثل عذاب الكافر ، لكانت عقوبته زائدة على قدر ذنبه وهذا خلف فى الوعد ، والله لا يظلم العباد ولا يخلف الوعد ، ثم المساواة فى الجزاء بين الكافر والمؤمن العاصى مما يخالف حكمة الله تعالى وعدله ، لأن المؤمن العاصى قد جاء بما هو أعظم الخير وهو الإيمان ، ولم يأت بأقبح الشر وهو الكفر ، فلو خلده الله فى النار أبدًا لجعل جزاء أقبح الشر بدل ثواب أفضل الخيرات .. ومقتضى العدل والحكمة الجزاء بالمثل لا بالزيادة إلا فى الثواب » .. والحق فى أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله تعالى ، إن شاء عفا عنهم فضلاً منه وإحسانًا ورحمة ، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ، فلا يخلدون فى النار . فيكون أهل الإيمان بين=

يرى أن مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار ولو مات من غير توبة . كذلك دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب كما يقول ابن تيمية نذكرها بإيجاز[1] .

**أحدها** : التوبة لقول الله تعالى ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ .

**الثانى** : الاستغفار لقول الرسول « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم مائة مرة » فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به ، عام فى كل تائب ، وإن لم يكن مع التوبة فيكون فى حق بعض المستغفرين الذين قد يصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب .

**الثالث** : الحسنات الماحية يقول تعالى : ﴿أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقال ﷺ « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وقال « الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

**الرابع** : الدافع للعقاب : دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال : « ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه » .. وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئًا ، إلا شفعهم الله فيه » رواهما مسلم .

**الخامس** : ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ، ونحوها فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) .

**السادس** : شفاعة النبى ﷺ وغيره فى أهل الذنوب يوم القيامة ، مثل قوله ﷺ « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

---

= الرجاء والخوف ، فيجوز له تعالى العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة كما قال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا﴾ « صدق الله العظيم » .

(١) ابن تيمية ، الإيمان الأوسط ص ٢٩ : ص ٤٣ باختصار نقلا عن قواعد المنهج السلفى للدكتور مصطفى حلمى ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

**السابع** : المصائب التى يكفر الله بها الخطايا فى الدنيا كما فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ، ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه » .

**الثامن** : ما يحصل فى القبر من الفتنة والضغطة والروعة ، فإن هذا مما يكفر به الخطايا .

**التاسع** : أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها .

**العاشر** : رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد . ومن ذلك كله يتضح لنا مدى خطأ الخوارج ومن نحا نحوهم فى قولهم : إن مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنا وإن كان يعد مسلما لكنه يخلد فى النار ما لم يتب توبة نصوحا ويكون عذابه أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسالة نبيه ﷺ ذلك أن رحمة الله واسعة وأبواب عفوه وغفرانه كثيرة وعقوبة الذنوب تزول عن العبد بطرق كثيرة أشرنا إليها ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر : ٥٣] صدق الله العظيم .

## مناقشة الخوارج فى قولهم :
## بأن الإمامة والخلافة ليس بلازم أن تكونَ فى قريش

من المعروف أن الخوارج يرون أن الإمامة والخلافة ليس بلازم أن تكون فى قريش بل يجوز أن يكون الإمام من قريش أو من غيرها (1) والخوارج يرون أن الخلافة يجب

---

(1) خالف الخوارج فى ذلك أهل السنة القائلين بأن الخلافة فى قريش ، والشيعة القائلين بتعيين الخلافة فى بيت علىّ وآله .

ويجدر بنا الإشارة إلى أن طرق اختيار الخلفاء فى الإسلام قد تم عن طريق الانتخاب المباشر وعن طريق العهد لمن بعد الخليفة ، وطريقة ترشيح عدد من الأكفاء يختار من بينهم واحدًا فطريق اختيار ابى بكر الصديق الانتخاب المباشر من المهاجرين والأنصار فى سقيفة بنى ساعدة .

والطريقة الثانية طريقة العهد لمن بعده . وقد حصل ذلك فى انتخاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لاختيار ابى بكر له ، وأخذه البيعة له من الناس . والطريقة الثالثة أن يرشح الخليفة عددًا يختارون — هم — من بينهم واحدًا يبايعه الناس وذلك الذى فعله الخليفة عمر بن الخطاب . وبهذا تم اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه من بين الستة الذين رشحهم عمر رضى الله عنه . والحقيقة أنه لم يرد نص أو دليل قاطع إلى من يكون الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى إشارة إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر « أبا بكر » بأن يؤم المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فاتخذ بعض المسلمين من هذا إشارة إلى إمامته العامة للمسلمين وقالوا : « لقد رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا » ولأن أمور الدنيا وسياستها غير أمر العبادة فالإشارة لم تكن كافية وإن كانت تحمل الإرهاصة لرضى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخليفة أبى بكر الصديق .

وإن القرآن الكريم كما يقول الشيخ أبوزهرة فى « تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٢٤ وص ٢٥ » : قد وضع للحكم الإسلامى أصولا ثلاثة وهى : العدالة ، والشورى ، والطاعة لأولياء الأمر فيما أحب المؤمن وكره . إلا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

وإن الآيات الدالة على « العدل » ثابتة قائمة لامجال للشك فى دلالتها القوية القاطعة . وأما « الشورى » فقد أمر بها النبى صلى الله عليه وسلم . وهو الذى كان يخاطب من السماء ﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى﴾ وقد قال تعالى فى أمر النبى بالشورى : ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ وجعل الشورى أصلا عامًا لكل شئون المسلمين فيمالا يرد فيه نص ، فقال تعالى : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ و« الطاعة » قد ثبتت بنص القرآن الكريم فقد قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ولقد قال النبى ﷺصلى الله عليه وسلم : « على المرء المؤمن السمع والطاعة إلا أن يؤمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » . وبهذه الأصول الثلاثة بينت الشريعة الدعائم التى يقوم عليها الحكم الإسلامى ، وإن الشورى التى هى أساس الاختيار للحاكم ومراقبة سلطانه ومدى ما له من حقوق — تختلف باختلاف البيئات والشعوب والأحوال العارضة للناس — فتعيين طريق خاص لها غير سائغ ولا مقبول ولذلك لم يعين النبى صلى الله عليه وسلم لها طريقا خاصة ولا نظاما ثابتا ،=

أن تكون باختيار حر من المسلمين ، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكم ولا يرون إمامة الجائر .

وقد استدل الخوارج على قولهم بعدم اشتراط الإمامة فى قريش بذكرهم بأن القرآن الكريم لا يشير إلى إمام من قبيلة خاصة أو نسل خاص ، بل يشير إلى طاعة ولىّ الأمر إذا أمر بشرع الله تعالى وحكم وعدل . ومن آيات القرآن الكريم قوله تعالى ﴿إنّ الله يأمركم أن تُؤدوا الأمانات إلى أهلها . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعما يعظكم به . إن الله كان سميعًا بصيرًا . يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ النساء ٥٨ – ٥٩ . ووجه الاستدلال عند الخوارج : أن الله تعالى أمر أن يحكم الحاكم بالعدل ، ولم يشترط أن يكون الحاكم من نسل معين ، أو من قبيلة خاصة ، وأمر بطاعة ولىّ الأمر ولم يشترط أن يكون من قريش أو من غير قريش ، وقال الخوارج : إذا قال غيرنا بأن قول الرسول ﷺ « الأئمة من قريش » مخصص لعموم النص القرآنى السابق ، ومفيد للعموم المستفاد منه ، قلنا [أى الخوارج] : « قد يلزمنا قولكم إذا لم يرد على الرسول ﷺ ما يوافق النص القرآنى السابق ، أما وقد روى عنه ما يدل على أنه ليس بلازم أن يكون الإمام قرشيًا ، فإن دليل التخصيص والتقييد غير ملزم لنا » . لقد روى مسلم فى صحيحه : عن أم الحصين – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن أمر عليكم عبد مجدع ، يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا له وأطيعوا » .

وفى الحديث أيضًا : « وإن تأمّر عليكم عبد حبشى » وأيضًا : « ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه ، فاضربوا عنق

---

=لاختلاف أمثل النظم باختلاف الشعوب . وليس الحاكم المختار اختيارًا شوريا مطلقا فى حكمه بل هو مقيد أولا بالأحكام الدينية ، وأن تنفيذها أول مقاصد الحكم ، وهو ثانيًا مقيد بالشورى ، فلابد أن يكون بجواره من يشير عليه . بل من يلزمه جانب الصواب .

ويرى القرطبى فى تفسيره للآية ٣٠ من سورة البقرة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ أن شروط الإمامة أن يكون قرشيًا ، وأن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيا مجتهدًا . لا يحتاج إلى غيره فى الاستفتاء فى الحوادث . وأن يكون ذا خبرة ورأى حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش ، وحماية البيضة ، وردع الأمة والانتقام من الظالم ، وأن يكون ممن لا تلحقه رقة فى إقامة الحدود ، ولافزع من ضرب الرقاب ، وأن يكون حرا ، مسلمًا ، ذكرًا وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا ، وأن يكون سليم الأعضاء ، بالغًا عاقلا وأن يكون عدلا » .

الآخر »[١] فإن قول رسول الله ﷺ : « ومن بايع إمامًا » يدل على أى إمام عادل سواء كان قرشيا أو غير قرشى[٢] .

والحقيقة أنه بالنسبة للسمع والطاعة للعبد المجدع الأطراف .. فقد قيل « إن ذلك فى غير الإمام من الحكام جمعًا بين الأدلة .. أو يقال إن ذلك فيما إذا تغلب غير القرشى على القرشى .. فتقدم مصالح المسلمين ورعاية أمرهم واستمرار أمنهم على مراعاة هذا الشرط وكأنه قال : الإمامة فى قريش ، ما لم يمنع من ذلك مانع من غلبة غيرهم عليها ، وسيطرتهم على شئون الحكم وضاعت عصبيتهم ، ووهنت شوكتهم »[٣] . والرسول ﷺ يقول « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم »[٤] .

ويقول القاضى عياض « اشتراط كون الإمام قرشيا مذهب العلماء كافة ، وقد عدوها فى وسائل الإجماع ولم ينقل عن أحدٍ من السلف فيها خلاف ، وكذلك من بعدهم فى جميع الأمصار ، ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين »[٥] .

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم [٦] وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان »[٧] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ردّ عليهم أهل السنة والجماعة، والمعتزلة والشيعة، واتفقت آراؤهم على القول بوجوب أن يكون الإمام قرشيا فالشيعة يرون أن الإمامة لا تخرج من أولاد علىّ وهو قرشى – وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده

ومعظم المعتزلة أيضًا يقول قاضى القضاة عبد الجبار فى شرح الأصول الخمسة ص ٧٥١ وص ٧٥٣ : « اعلم أن الإمام يجب أن يكون من منصب مخصوص ، خلاف ما يحكى عن طائفة من الخوارج .. وإن المنصب المخصوص لابد من اعتباره لدلالة الإجماع . فإن أبا بكر لما ادعى بحضرة الجماعة : أن الأئمة من قريش لم ينكر عليه أحد » .

وأهل السنة والجماعة قالوا إن حديث « الأئمة من قريش » حديث متواتر مخصص للعموم . وهو حديث صحيح على شرط البخارى . .

(٣) شرح المقاصد للتفتازانى جـ ٢ ص ٢٧٥ .

(٤) رواه الطبرانى .

(٥) فتح البارى لابن حجر جـ ص ٢٣٦ .

(٦) البخارى جـ ٥ ص ١٤٣ ، ومسلم جـ ١٢ ص ١٩٩ .

(٧) البخارى جـ ٥ ص ١٤٣ ، ومسلم جـ ٩ ص ٥٢ . ومسلم جـ ١٢ ص ٢٠١ . بشرح النووى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «الناس تبع لقريش فى الخير والشر»(١)

وروى الحاكم – بسنده عن علىّ – رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الأئمة من قريش : أبرارها أمراء أبرارها ، وفجارها أمراء فجارها ، ولكل حق فأتوا كل ذى حق حقه – وإن أمرت عليكم عبدًا حبشيًا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا » وهذه نصوص عامة لم تقيد خلافة قريش إلاّ بقيد الإسلام والمحافظة على الدين ولكن هناك نصوص حديثية أخرى قد قيدت هذه النصوص العامة فقيدتها بشرط إقامة الدين .

روى البخارى بسنده عن جبير بن مطعم ، أنه بلغ معاوية ، وهو عنده فى وفد من قريش ، أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب ، فقام ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد : فإنه بلغنى أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله ، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ وأولئك جهالكم ، فإياكم والأمانى التى تضل أهلها ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يعاديهم يقول : « إن هذا الأمر فى قريش ، لا يعاديهم أحدٌ إلاّ كبّه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين »(٢) .

ومعنى إقامة الدين نتلمسه فى حديث أبى برزة : روى أبو برزة قال : قال رسول الله ﷺ « الأمراء من قريش « ثلاثا » – ما فعلوا ثلاثا – ما حكموا فعدلوا ، واسترحموا فرحموا ، وعاهدوا فوفوا »(٣) وقال الإمام ابن حجر فى فتح البارى(٤) جاءت الأحاديث – أى فى حق الولاة من قريش – على ثلاثة أنحاء :

١ – وعيدهم باللعن إذا لم يحافظوا على المأمور به كما فى حديث الأمراء من قريش ما فعلوا ثلاثًا .. » .

وفيه : من لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(٥) وليس فى هذا ما يقتضى خروج الأمر عنهم .

---

(١) مسلم جـ ١٢ ص ٢٠٠ بشرح النووى .

(٢) البخارى جـ ٥ ص ١٤٣ ، جـ ٩ ص ٥٢ .

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهو ثقة مجمع الزوائد جـ ٥ ص ١٩٣ .

(٤) فتح البارى جـ ١٦ ص ٢٣٣ .

(٥) رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجال أحمد ثقات .. مجمع الزوائد جـ ٥ ص ١٩٣ .

٢ - وعيدهم بأن يسلط عليهم من يبالغ فى أذيتهم : « أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلا أن تعدلوا عنه فتلحون كما يلحى القضيب »[1] [أى تلحون كما تلحى هذه الجريدة يشير إلى جريدة فى يده]

وليس فى هذا أيضًا تصريح بخروج الأمر عنهم وأن كان فيه إشعار به .

٣ - الإذن فى القيام عليهم وقتالهم ، والإيذان بخروج الأمر عنهم : أخرج أحمد بسند جيد عن النبى ﷺ قال : « كان هذا الأمر فى « حمير » ، فنزعه منهم وصيره فى قريش وسيعود إليهم » .

ومن أوضح الأحاديث الشريفة التى يستشم منها جواز الخروج عليهم إذا لم يستقيموا مع الدين ، ما روى عن ثوبان رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم .. فإن لم تفعلوا فكونوا حينئذ زارعين أشقياء تأكلون من كدّ أيديكم[2] [أى أن الخنوع لهم إذا لم يستقيموا لا يتناسب مع عظمة الإسلام وعزة المسلمين وكرامتهم وهو سبيل إلى الانحلال والتدهور وهذا ما حدث بعد ذلك] .

لكن فى حالة عدم وقوع ما يخرجهم عن إقامة الدين فالأمر لهم لحديث « الأئمة من قريش » .
ولقد أصر عليه الصحابة فى إجماعهم مع أبى بكر على أن الأمر لا يكون إلا لهذا الحى « قريش » واعتبر الخوارج مبتدعين فى قولهم بغير ذلك .. وقد روى البخارى عن معاوية أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين » .

لكن الحق الذى نرتضيه أن هذه النصوص حين نجمعها مع الآثار الأخرى تدل على طلب الأفضلية لاطلب الصحة ، لأنه روى فى الصحيحين عن أبى ذر أنه قال : « إنّ خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع ، وإن ولى عليكم عبد حبشى مجدع الأنف » وإن النصوص فى مجموعها[3] « لا تستلزم أن تكون الإمامة فى قريش وأنه لا تصح ولاية غيرهم ، بل إن ولاية غيرهم صحيحة بلا شك ويكون حديث « الأمر فى قريش » من قبيل

(١) مسند الشافعى ص ٩٤ وهو حديث مرسل عن عطاء بن يسار .
(٢) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورجال الصغير ثقات مجمع الزوائد جـ ٥ ص ١٩٣ .
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٩١ .

الإخبار بالغيب كقول النبى ﷺ : « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكًا عضوضًا » أو يكون من قبيل الأفضلية لا الصحة » .

وقد اتفقت جميع الأمة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ولابد من إمام عادل يقيم أحكام الله إلا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم على الناس فرض الإمامة ، وإنما عليهم أن يتقاضوا الحق . فكان من مبادئ نجدة بن عامر الحنفى[1] « لا حاجة للناس إلى إمام قط ، وإنما عليهم أن يتقاضوا فيما بينهم ، فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه ، فأقاموه جاز »[2] .

وقد رد عليهم ابن حزم قائلا « وقول هذه الفرقة ساقط . ويكفى فى الرد عليه وإبطاله ، إجماع كل من ذكرنا على بطلانه . والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام . من ذلك قول الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء : ٥٩] . وقول الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ [البقرة : ٢٨٦] فوجب اليقين : بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم .

وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته : أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق ، وسائر الأحكام كلها ، ومنع الظالم وإنصاف المظلوم ، وأخذ القصاص على تباعد أقطارها وشواغلهم ، واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك : ممتنع ، غير ممكن ، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم . إما لأنها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء ، وإما خلافًا مجردًا عليهم . وهذا الذى لابد منه ضرورة . وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها . فإنه لا يقام هناك : حكم حق ، ولا حد . حتى قد ذهب الدين فى أكثرها .

فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد ، أو إلى أكثر من واحد إذ لابد من أحد هذين الوجهين ، فإن الاثنين فصاعدًا بينهما أو بينهم ما ذكرنا : لا يتم أمر البتة ، فلم يبق وجه تتم به الأمور ، إلا الإسناد إلى واحد ، فاضل عالم حسن السياسة ، قوى على الانفاذ إلا أنه وإن كان بخلاف ماذكرنا ، فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدًا

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٧ – ١٦٨ .

(٢) قال الأشهرى : قال الناس كلهم إلا « الأصم » : لابد من إمام . وقال « الأصم » : لو تكاف الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام ، مقالات جـ ٢ : ص ١٣٣ .

وإن ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم إن قدروا على كف كله ، لزمهم ذلك ، وإلا فكف ما قدروا على كف منه ، ولو قضية واحدة »[١] .

هكذا فإن أهل السنة والجماعة يقولون بوجوب نصب إمام ، كما يقولون كذلك بأنه لا يجوز أن تخلو الأرض من إمام حتى يعقد لواحد . ويوافقهم فى ذلك الرأى المعتزلة والخوارج – عدا النجدات – والمرجئة . لكن الشيعة يقولون بأن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو متستر . والقاضى عبد الجبار يقولون بأنه لا يخلو الزمان عن إمام لكن يفرق بين رأى المعتزلة ورأى الشيعة الإمامية فى ذلك فيقول :[٢] « إعلم أن من مذهبنا : أن الزمان لا يخلو عن إمام ، ولسنا نعنى به أنه لابد من إمام متصرف فالمعلوم أنه ليس . وإنما المراد به : ليس يجوز خلو الزمان ممن يصلح للإمامة »[٣] .

وتبقى مسألة أخرى وهى أن الخوارج يقولون بجواز الخروج على الإمام الجائر بالسيف فإن الخوارج تقول به وتراه ، إلا أن « الإباضية » لا ترى اعتراض الناس بالسيف ، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ، ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأى شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف[٤] .

ويقول الأشعرى اختلف الناس فى السيف على أربعة أقاويل :

١ – فقالت « المعتزلة » و« الزيدية » و« الخوارج » وكثير من « المرجئة » : ذلك واجب إذا أمكننا أن نزيل بالسيف أهل البغى ونقيم الحق . واعتلوا بقول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ المائدة : ٢ وبقوله : ﴿فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات : ٩] واعتلوا بقول الله – عز وجل – : ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ [البقرة : ١٢٤]

٢ – وقالت « الروافض » بإبطال السيف ، ولو قُتلت ، حتى يظهر الإمام فيأمر بذلك .

---

(١) ابن حزم ، الفصل ص ٨٧ وص ٨٨ .

(٢) معنى ذلك أنه يختلف مع الشيعة فى قولهم بإمام غائب منتظر،له تصرف فى الكون،وإن كان غائبا مستترًا .

(٣) كما نعلم فإن الإمامة عند الشيعة كما يقول ابن خلدون فى مقدمته « هى ركن الدين وقاعدة الإسلام . ولا يجوز لنبى إغفالها وتفويضها ، إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصومًا عن الكبائر والصغائر وأن عليا بن أبى طالب هو الخليفة المختار – المنصوص عليه – من النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٤) الأشعرى ، مقالات جـ ١ ص ١٨٩ .

٣ - وقال « أبو بكر الأصم » ومن قال بقوله : السيفُ إذا اجتُمع على إمام عادل يخرجون معه فيزيل أهل البغى »

٤ - وقال قائلون : السيف باطل ، ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية ، وإن الإمام قد يكون عادلاً ويكون غير عادل ، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا ، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يروه ، وهذا قول أصحاب الحديث »[١] .

ويقول الإمام القرطبى[٢] : « إذا نصب الإمام ، ثم فسق بعد انبرام العقد . قال الجمهور : إنه تنفسخ لله إمامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم ، لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقام الحدود واستيفاء الحقوق ، وحفظ الأموال .. وقال آخرون لا ينخلع إلا بالكفر ، أو بترك الصلاة ، أو بترك شىء من الشريعة ، لقوله ﷺ فى حديث عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثره علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق: أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم» [متفق عليه] وعن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون. فمن كره فقد برئ. ومن أنكر فقد سلم . ولكن من رضى وتابع . قالوا يارسول الله: ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » [رواه مسلم] .

فطاعة الإمام مشروطة ومقيدة بما إذا لم يأمر بمعصية قال رسول الله ﷺ « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة » .

وعن على رضى الله عنه قال : بعث النبى ﷺ سرية ، وأمر عليهم رجلا من الأنصار ، وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبى ﷺ أن تطيعونى ؟ .. قالوا : بلى . قال : عزمت عليكم لما جمعتم حطبا ، وأوقدتم نارًا ، ثم دخلتم فيها .. فجمعوا حطبا فأوقدوا . فلما هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض . قال بعضهم : إنما تبعنا النبى ﷺ فرارا من النار ، أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار ، وسكن غضبه ، فذكر للنبى ﷺ فقالوا : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا ، إنما الطاعة فى المعروف » [٣] .. وفى رواية « لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف »[٤] .

(١) الأشعرى ، مقالات جـ ٢ ص ١٢٥ .
(٢) القرطبى ، تفسير ، جـ ١ ص ٢٧١ .
(٣) البخارى جـ ٩ ص ٥٢ وص ٥٣ .
(٤) مسلم حـ ١٢ ص ٢٢٧ بشرح النووى .

ومع ذلك فإن أصحاب الحديث يرون أن الامتناع عن طاعة الإمام فى المعصية لا يبيح الخروج عليه أو إثارة القلاقل والفتن والثورات بين جماعة المسلمين بسبب معصيته أو أمره بالمعصية فالخروج على الأئمة يجب فقط إذا ارتدوا عن الدين أو منعوا من إقامة الشعائر كالصلاة ونحوها – أما ما عدا ذلك فالخروج عليهم عند أهل الحديث لا يجوز .

عن عبيدة بن الصامت– رضى الله عنه – قال : (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة ، فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لاننازع الأمر أهله.. قال : «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهانًا»(١)

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ . قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم – قيل يارسول الله : أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة .. وإذا رأيتم من ولايتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا ولا تنزعوا أبدًا من طاعة »(٢) .

وفى حديث حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس .. قال قلت : كيف أصنع يارسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك فاسمعْ وأطع »(٣) .

ولذلك فإنه حرصًا على وحدة الأمة وعدم اضطرابها وذيوع الإثارات والفتن فإن أصحاب الحديث لا يجوزون الخروج على الإمام مادام لم يخرج عن الدين ويرتد أو يعطل شعائره ويمنع من إقامتها كالصلاة . أما ما عدا ذلك فالخروج على الأئمة لا يجوز . وعندهم أن من يخرج على الأمة لغير هذين السببين [الارتداد عن الدين أو تعطيل شعائره] يعد مرتكبا لمحرم لحديث رسول الله ﷺ .

« من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية »(٤) .

---

(١) مسلم جـ ٢ ص ٢٢٨ ، والبخارى جـ ٩ ص ٦٤ بنحوه .
(٢) الدارمى حديث رقم ٢٨٠٠ ، مسلم جـ ١٢ ص ٢٣٩ بشرح النووى .
(٣) مسلم جـ ١٢ ص ٢٣٩ .
(٤) البخارى جـ ٩ ص ٥٢ .

وقال ﷺ[1] :

« من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات . مات ميتة جاهلية .. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة ، أو يدعو إلى عصبة ، أو ينصر عصبة ، فقتل . فقتلة جاهلية .. ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفى لذى عهده ، فليس منى ولست منه »[2] .

وهكذا استطاع أصحاب الحديث أن يبينوا وجه الحقيقة فى مسألة الخروج على الإمام الجائر وفندوا بذلك رأى الخوارج الذين يجوزون هذا الخروج . ونحن نميل ميلا قويًا إلى رأى أصحاب الحديث فى هذه المسألة .

---

(١) مسلم جـ ١٢ ص ٢٣٨ بشرح النووى .

(٢) ولهذا فإن خروج الخوارج على عثمان ثم على علىّ رضى الله عنهما لم يكن خروجًا صحيحًا لأنهما رضى الله عنهما لم يرتدا عن الدين أو يعطلا شعائره .

# نهاية المطاف

هكذا تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن من أهم مبادئ الخوارج حكمهم على من خالفهم بالكفر ، وجواز قتله ، كما حدث فى قتلهم لعبدالله بن خباب بن الأرت وغيره . وقولهم بتجويز الإمامة فى قريش وغير قريش ، وإنكارهم تحكيم الرجال وادعائهم أنه كفر « ويجمعهم القول بالتبرى من عثمان وعلى رضى الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا [١] . وهم يردون السنّة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ولا يرون للسرقة نصابًا »[٢] .

والحقيقة أن تطرف فكرهم أساء إليهم كثيرًا مما جعلهم يعجزون عن تحقيق مبادئهم وأفكارهم ، فمثلاً مسالة تكفيرهم لعلى وعثمان وأصحاب الجمل جعلهم فى موضع العداء من المسلمين .

« وبسبب تكفيرهم مرتكبى الكبائر ، انقسموا على أنفسهم أشد الانقسام فى كثير من المسائل الفقهية ، واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة ، وعاملت أنصارها معاملة الكفار فى استباحة الدماء واستحلال الأموال والذرارى »[٣] .

والحقيقة أن إدراك الخوارج للنصوص الدينية كان إدراكًا ظاهريًا إلى حد كبير ، كما كان إدراكًا سطحيًا إلى حد أكبر[٤] « وإن هذا الإدراك كان يصاحبه إخلاص لما عرفوه من الدين على حسب فهمهم له ، وأن إخلاصهم لعقائدهم الدينية جعلهم ينكرون على كل من يخالف أمرًا من أمور الدين بحسب فهمهم وإدراكهم ، وهذا الإنكار جعلهم يحكمون على مخالفيهم أحكامًا فيها قسوة ، حيث إنهم يحكمون عليهم بالكفر أو بالشرك ، فهم لم يعرفوا أن الكافر قد فقد جزأى الإيمان ، وهما الاعتقاد والعمل ، وأن من يرتكب أمرًا مخالفًا لأوامر الدين فقد هدم أحد جزأى الإيمان وعلى هذا لا يصح أن يسمى

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، تحقيق د . بدران رحمه الله ، جـ ١ ص ١٠٦ .
(٢) ابن تيمية ، فتاوى جـ ١٣ ص ٤٨ .
(٣) الرازى ، اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٦ .
(٤) الغرابى ، على مصطفى ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٩٦ .

كافرًا ، ولكن بأى تسمية تسميه الخوارج . إنهم لم يعرفوا تسمية تتناسب مع تلك الحال التى ليست إيمانًا كاملاً ، ولا كفرًا مطلقًا ، وإنما هى حالة وسطى بين هاتين المنزلتين ، ولهذا لما جاء واصل بن عطاء وعرف رأيهم قال : إن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الإيمان والكفر ، وينلسب تلك الحالة تسميته « بالفاسق » .

ولقد لاحظنا بوضوح مدى الغلوّ فى فهم الدين لدى الخوارج مما جعلهم يتنكبون الطريق فيضلوا عن معرفة الحق . ولهذا روى أن عليًا رضى الله عنه أوصى أصحابه بألا يقاتلوا الخوارج من بعده لأن من طلب الحق فأخطأه ليس كمن طلب الباطل فناله ، فعلىّ رضى الله عنه كان يعتبرهم طالبين للحق ولكن ضلوا وجانبوا طريق الحق . ويعتبر الأمويين طالبين للباطل ونالوه .

لكن هناك طائفتين من الخوارج جاءوا بمبادئ تعد خروجًا صريحًا على الإسلام .

وهما الميمونية أتباع ميمون العجردى الذى أباح نكاح بنات الأولاد ، وبنات أولاد الأخوة والأخوات : وقال فى علة ذلك إن القرآن لم يذكرهن من المحرمات وفهم خطأً ظاهر النص القرآنى الشريف ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ .

كما روى عن الميمونية أيضًا إنكارهم سورة يوسف ولم يعدوها من القرآن الكريم ، لأنها قصة حب وغرام فى زعمهم الباطل ، فهى فى معتقدهم الخاطئ لا يصح أن تضاف إلى القرآن الكريم .

والفرقة الثانية من الخوارج التى خرجت خروجًا صريحًا على الإسلام هى اليزيدية أتباع يزيد بن أنيسة الخارجى وكان إباضيًا ، ثم ادعى أن الله سبحانه وتعالى سيبعث رسولاً من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ شريعة محمد ﷺ .

وختامًا .. فقد أجهد الخوارج أنفسهم بتشددهم وغلوهم فى فهم الدين وساعدهم على ذلك تكوينهم النفسى المتقلب ومزاجهم ، البدوى الرّبعى القاسى فخرجوا على الدنيا بمبادئهم المتشددة المذكورة .

# أهم مراجع الجزء الأول
# من كتاب فى مذاهب الإسلاميين


- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى : « فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ » نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٨ بمراجعة الدكتور النشار .
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : [عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ] طبعة القاهرة .
- أنساب الأشراف للبلاذرى : [أحمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٤٨ هـ] طبعة القاهرة ١٩٥٩ .
- بحوث فى العقيدة الإسلامية للدكتور مصطفى حلمى دار الدعوة بالإسكندرية ١٩٨٤ .
- بحوث فى المعتزلة نيلينو : [المستشرق الإيطالى كارلو الفونسو نيلينو ١٨٧٢ – ١٩٣٨] بحث بعنوان [بحوث فى المعتزلة] نشر ضمن مجموعة بعنوان التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ترجمة وجمع الدكتور عبد الرحمن بدوى الطبعة الثالثة ١٩٦٥ .
- البداية والنهاية لابن كثير :[عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤ هـ] – طبعة بيروت ١٩٦٦ .
- البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها : للدكتور عزت على عيد عطية (رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٧٢) .
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت ٢٧٦ هـ بضبط وتصحيح محمد زهدى النجار – نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة) .
- تاريخ الرسل والملوك للطبرى [محمد بن جرير ت ٣١٠] طبعة القاهرة ١٩٦٣ .
- تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى ١٩٨٠ .
- تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين للدكتور على مصطفى الغُرابى طبعة المكتبة الحسينية بالقاهرة ١٩٤٨ .
- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧١ .
- التبصير فى الدين للإسفراييني : [أبو مظفر الإسفراييني ٤٧١ هـ] طبع مطبعة الأنوار – ١٩٤٠ ، وطبعة القاهرة ١٩٥٥ .
- تفسير القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] [أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ] طبعة دار الكتب المصرية .

- تلبيس إبليس لابن الجوزى : [عبد الرحمن بن أبى الحسن على ابن محمد المتوفى ٥٩٧هـ] طبعة أنصار السنة .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى :[أبى الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى – الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ] طبعة المثنى ببغداد .
- الحركة الإباضية فى المشرق العربى لمهدى طالب هاشم طبعة القاهرة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- الخوارج فى بلاد المغرب للدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق طبعة الدار البيضاء .
- الخوارج الحروريون للدكتور أحمد حجازى السقا مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ .
- سنن أبى داود [سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى المتوفى ٢٧٥ هـ – طبعة التجارية بمصر] .
- شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار – ابن أحمد بن الخليل بن عبدالله الهمدانى الأسدى أبادى ت ٤٢٥ هـ – تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم – تحقيق د . عبد الكريم العثمان نشر وهبة ١٩٦٥ .
- شرح جوهرة التوحيد للباجورى طبعة القاهرة .
- شرح مقاصد الطالبين للتفتازانى [سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله الهروى الخراسانى] ت ٧٩٣ .
- صحيح البخارى [الجامع المسند الصحيح] للبخارى :_أبو عبدالله محمد بن أبى الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن الأحنف يزدزيه البخارى ت ٢٥٦ هـ) طبعة الشعب .
- صحيح مسلم [الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى] ت ٢٦١ هـ طبعة الشعب .
- الصديق أبو بكر للدكتور محمد حسين هيكل طبعة دار المعارف بالقاهرة .
- صون المنطق والكلام عن فَنىَ المنطق والكلام للسيوطى : « جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطى ت ٩١١ هـ» . نشر وتعليق الدكتور على سامى النشار – الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى . [أحمد بن على بن حجر ت ٨٥٢ هـ] طبعة الحلبى وطبعة مصطفى محمد .
- فجر الإسلام ٣ ج ١ للأستاذ أحمد أمين طبعة القاهرة ١٩٢٨ .
- الفرق بين الفرق للبغدادى [عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٠ هـ] تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله نشر مكتبة صبيح .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ طبعة القاهرة ١٣١٧ وطبعة السلام العالمية .

– الكامل فى اللغة والأدب للمبرد [أبو العباس محمد بن يزيد ت ٨٩٨ م] طبعة مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .
– الكامل فى التاريخ لابن الأثير [محمد بن محمد بن عبد الكريم بعد عبد الواحد الشيبانى المتوفى ٦٣٠ هـ] طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ .
– كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى [محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى] طبعة حيدر أباد ١٣٥٧ هـ .
– مجمع الزوائد للهيثمى : [نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧ هـ نشر القدس ١٣٥٣ هـ] .
– مجموع فتاوى ابن تيمية : [أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت ٧٢٨] طبعة القاهرة .
– مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرّسعنى : [عبد الرزاق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرَّسْعنى] . طبعة مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ .
– المستدرك : للحاكم : [أبو عبدالله بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى] المتوفى ٤٠٥ ٥٣ ط الهند .
– مسند الإمام أحمد بن حنبل [أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ ٥٣] طبعة الحلبى بالقاهرة .
– مفاتيح الغيب لفجر الدين الرازى طبعة إحياء التراث العربى بالقاهرة .
– مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعرى [أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠ ٥٣] طبعة النهضة المصرية ١٩٥٠ م بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
– الملل والنحل للشهرستانى [محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ ٥٣] طبعة القاهرة ١٩٥٦ وبهامش كتاب الفصل طبعة السلام العالمية .
– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى : [تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥] . طبعة بولاق ١٢٧٠ ٥٣ ، القاهرة ١٣٢٤ ٥٣ .
– المنية والأمل لابن المرتضى : (محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى المعروف بابن الوزير ت ٨٤٠ ٥٣) طبعة حيدر أباد ١٣١٦ ٥٣ .
– الموطأ للإمام مالك : [الإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩ ٥٣] طبعة الشعب .
– نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية : للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل القاهرة ١٩٧٢ .

# الجزء الثانى

# الإباضية . .
# وأهم فرقها

فى الجزء الثاني من هذا الكتـاب « مذاهب الإسلاميين » أتناول بالدراسة موضوع الإباضية وفرق المذهب الإباضى ، ودور أعلام الإباضية فى تطور المذهب الإباضى

# المبحث الأول

## الإباضية

الإباضية[1] إحدى الفرق الإسلامية التى ظهرت حوالى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، وتنسب إلى عبد الله بن أباض ، وبشكل عام فإن عقائدها تتفق مع أهل السُّنة فى كثير من المبادئ[2] .. غير أنه من مبادئ الإباضية فى الإمامة عدم اشتراط القرشية فى الإمام ، فشرط الإمامة عندهم ، أن يكون الإمام ورعا ، فاضلا ، ملتزما بأوامر الكتاب والسُّنة . ويرون أنه إذا خرج عن تعاليمها جواز خلعه .

ولعل عدم اشتراطهم القُرشية فى الإمام ، من الأسباب الرئيسية التى دعت أهل السُّنة إلى وضع الإباضية ضمن ذمرة الخوارج فهم الذين يقولون – عادة – بعدم اشتراط القرشية فى الإمام ، بالإضافة إلى أن الخوارج يقولون بوجوب خلع الإمام غير العادل والذى يخرج عن شروط بيعته واختياره .

ونجد أيضا أثر الفكر المعتزلى فى عقائد الإباضية ، خصوصا فى قولهم بخلق القرآن ، وعدم رؤية الله عز وجل يوم القيامة ، كما أنهم يؤولون بعض مسائل يوم القيامة تأويلاً مجازيا كالصراط والميزان .

وكذلك يؤولون استواء الله عز وجل على العرش تأويلاً مجازيًا، وأيضا يؤولون يد الله بالقوة أو النعمة، لكن بشكل عام – كما قلت – فإن مذهبهم يتفق فى أغلبه مع أهل السنّة.

وتعد الإباضية من أقرب الفرق إلى الجماعة الإسلامية لاعتدال مذهبهم وتسامحهم مع مخالفيهم . لكنهم يغضبون ممن يعتبرهم فرقة من فرق الخوارج .

وسبب إلصاق تهمة الإباضية بالخوارج سياسة الدولة الأموية فى التشنيع على الإباضية حتى ينفروا الناس من أصحاب المذهب الإباضى الذين وجدوا منهم الصلابة فى مواقفهم

---

(١) توجد الإباضية الآن فى عُمان ، وحضر موت من بلاد اليمن ، وتونس والجزائر وليبيا .

(٢) يختلف الإباضية . عن السُّنة فى بعض مسائل الفقه فمثلا الإباضية يرون بأن الجد للأب أوْلى بالحضانة ، من الجدة للأم ، وذلك خلافا لمعظم المذاهب الإسلامية .

كذلك يرى فقهاء الإباضية بأن الجد يمنع الإخوة من الميراث ، بينما ترى المذاهب الأخرى بأن يقتسموا الميراث مع الجد .

ضد الدولة الأموية « وتقبل كثير من المتعصبين والعامة أيضًا هذا الإلصاق ، فأثبتوه فى كتبهم - بدون تمحص أو بحث عن الحقيقة »[١] .

ولعل أبرز سبب لاتهام الإباضية بأنهم خوارج إنكارهم التحكيم ، والحقيقة أن بعض كتاب المقالات والفرق الإسلامية كانوا فى حكمهم على الإباضية قساة غير موضوعيين « ويبدو أن كتاب المقالات نظروا إلى جميع ما ينسب إلى الخوارج - بحق أو بباطل - فنسبوه إلى الإباضية .

ومن الأمثلة على ذلك ما يلى :

١ - ينكرون الإجماع . ٢ - ينكرون الرجم . ٣ - ينكرون عذاب القبر .

والإباضية لا ينكرون الإجماع بل يرونه الأصل الثالث من أصل التشريع ولا ينكرون الرجم ، وإنما يقولون إنه ثبت بالسُّنة القولية والعملية وليس بقرآن منسوخ ويثبتون عذاب القبر وسؤال الملكين استنادا إلى أحاديث كثيرة تثبت فى الموضوع »[٢] .

وإننى أميل بشدة إلى رأى الدكتور عوض خليفات الذى يؤكد من خلاله على أن الإباضية ليسوا من الخوارج لأن الإباضية « حرموا قتل الموحدين واستحلال دمائهم وحرموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل متطرفو الخوارج مثل الأزارقة والنجدية ... أما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهم فإنما هو ناتج عن أحد أمرين : الجهل أو التعصب »[٣] .

إن الإباضية يبرءون من أفعال الخوارج فكيف ينسبون إليهم وقد كانوا من أشد الناس عليهم ...

ويقول أحد علماء الإباضية وهو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلانى[٤] « وزلة الخوارج نافع بن الأزرق[٥] وذويه حين تأولوا قول الله تعالى ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[٦] .

---

(١) بدر الدين هلال حمود اليحمدى الإباضى ، الأدلة المرضية فى دحض ما نسب إلى الإباضية ، طبعة مطابع النهضة بمسقط ١٩٨٨ ، ص ٣٢ .

(٢) معمر ، على يحيى ، الإباضية - المطبعة العربية جرداية الجزائر ١٩٨٥ .

(٣) خليفات، عوض، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، نشر وزارة التراث والثقافة عمان -١٩٨٢م- ص٥٣.

(٤) توفى الورجلانى حوالى عام ٥٧٠ هجرية وهو المفكرين من الإباضيين من ذوى الاتجاه العقلانى وأهم مؤلفاته كتاب العدل والإنصاف فى ثلاثة أجزاء والدليل لأهل العقول فى ثلاثة أجزاء ، وترتيب مسند الربيع بن حبيب البصرى .

(٥) زعيم فرقة الأزارقة من فرق الخوارج وقد عاصر عبد الملك بن مروان وتوفى فى عهده .

(٦) آية ١٢١ - سورة الأنعام .

فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصى ما أتوا ولو أصغرها . وأما المارقة فقد زعموا أن من عصى الله تعالى ولو فى صغير من الذنوب أو كبير أشرك بالله العظيم . وتأولوا قول الله عز وجل ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ . فقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عز وجل أنه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال والسبى للعيال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ « إن ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فتنظر في النصل[١] ، وتنظر فى القدح[٢] فلا ترى شيئا وتتمادى فى الفوق »[٣] ... فليس فى أمة محمد ﷺ أشبه شىء بهذه الرواية منهم لأنهم عكسوا الشريعة ، قلبوها ظهرًا لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا تجرى عليهم أحكام المشركين ، فليت شعرى فيمن نزلت الحدود فى المسلمين أو فى المشركين ، فأبطلوا الرجم والجلد والقطع كأنهم ليسوا من أمة أحمد عليه السلام[٤] .

من ذلك كله يتضح لنا أن الإباضية كانوا أشداء على الخوارج فكيف نعتبرهم منهم وهم لم يتفقوا معهم إلا فى مسألة عدم قبول التحكيم ورفض مبدأ القرشية فى إمامة المسلمين[٥] .

والمعروف أن أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقر بنفسه بأن التحكيم كان خدعة .

والحقيقة أن هناك مواقف ومفارقات تؤكد الفرق بين الإباضية والخوارج يوضحها الشيخ أبى اسحق إبراهيم أطفيش الإباضى[٦] فى كتيبه « الفرق بين الإباضية والخوارج ... ومن هذه المواقف والمفارقات[٧] :

---

(١) النصل : حديدة السهم .

(٢) القدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

(٣) الفوق : رأس السهم الذى يوضع فيه الوتر .

(٤) دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية ص ٣٨ تأليف بكير بن سعيد اعوشت الإباضى الطبعة الأولى ١٩٨٢ مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .

(٥) القرشية : أى ضرورة أن يكون الحاكم قرشيا .

(٦) من أعلام الإباضية فى العصر الحديث (ت ١٩٦٥) وكان يعمل بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ومن مؤلفاته : « الدعاية إلى سبيل المؤمنين » ، « الفرق بين الإباضية والخوارج » الذى قدم له الشيخ أحمد بن مسعود الشيبانى العمانى .

(٧) أطفيش ، أبى اسحق إبراهيم ، الفرق بين الإباضية والخوارج ، المقدمة وكتاب الأدلة المرضية فى دحض ما نسب إلى الإباضية ص ٣٥ : ٣٦ .

أولاً : قتال القائد الشهير المهلب بن أبى صفرة الأزدى العمانى للخوارج : والمهلب وإن كان مواليا للأمويين – وهو بالطبع عمل لم يرضه الإباضية – فإن من الثابت تاريخيًا أن أسرة آل المهلب كانوا إباضية ، وكانوا على اتصال وثيق بالإمام جابر بن زيد الأزدى رضى الله عنه ، ولم يبذل المهلب فى قتال الخوارج والقضاء عليهم إلا لعلمه بعدم العلاقة بينهم وبين الإباضية .

ثانيًا : كان المحدث الحجة الربيع بين حبيب الفراهيدى الإباضى صاحب المسند الصحيح يبرأ من الخوارج .

ثالثًا : قتال الإمام الجلندى بن مسعود العمانى الإباضى لشيبان الخارجى (وهو من الصفرية من فرق الخوارج) عندما قدم فى جيش إلى عمان هاربًا من السفاح – الحاكم العباسى – ودارت معركة بين الإمام الجلندى وبين شيبان وأصحابه ، وأسفرت المعركة عن مقتل شيبان وجنوده .

رابعًا : كان البطل المغوار هلال بن عطية الخراسانى الذى صار القائد الأول فى جيش الإمام الجلندى بن مسعود كان على مذهب الصفرية الخوارج ، ثم اعتنق المذهب الإباضى . ولم يقبل أئمة الإباضية الانضمام إليهم إلا بعد أن يرجع إلى الذين دعاهم إلى مبادئ الخوارج ويعلمهم ببطلان تلك المبادئ والآراء التى دعاهم إليها ، ثم عاد إلى عمان فكان قائدا ووزيرا للإمام الجلندى بن مسعود .

خامسًا : إن الإباضية لم يسلوا السيف على أحد من أهل التوحيد قط ولم تقع منهم حرب ضد أحد من المسلمين ، وإنما كانت مواقفهم أغلبها دفاعية ، أى بقصد دفع الضرر عن أنفسهم تجاه أى عدوان يواجههم ، فهم لم يبدءوا بقتال قط كما فعل الخوارج .

سادسًا : الإباضية يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين ، والخوارج لا يجيزون التناكح مع غيرهم لأنهم يرون سواهم مشركين ، وعلى هذا لا يجوز التوارث – أيضًا – بينهم وبين من يخالفهم بطبيعة الحال ، لأن الشرك الذى منع المناكحة والمصاهرة يمنع الموارثة .

سابعًا : الإباضية اتجهوا إلى خدمة الإسلام علما وعملا منذ ابتدأت الفتنة فاشتغلوا بالتدوين فكانوا أول من دون الحديث فجابر بن زيد أول من دون الحديث وأقوال الصحابة فى ديوانه الذى وصفه بأنه وقر بعير : ... ولم يُذكَرْ أحد من الخوارج ألف كتابا ،

والذين يذكرون المؤلفات للخوارج إنما يذكرون الإباضية وهم دون شك يريدون بهم التشنيع والتشغيب .

ثامنًا : إن الخوارج حكموا على مرتكبي الكبائر من المسلمين بالشرك بينما الإباضية يفرقون بين معاني الكفر فهناك كفر شرك وجحود وهناك كفر نعمة ، وهم يطلقون على مرتكبي الكبائر من المسلمين كفار نعمة لا كفار شرك ، حتى وإن كان مرتكب الكبيرة إباضيًا وهذا يطابق ما عند أهل الحديث الذين يطلقون عليه كفر دون كفر وعند الفقهاء الأربعة كبائر فسق .

هذه الفروق المختلفة تجبرنا على الفصل بين الإباضية والخوارج ولا نعتبرهم من فرق الخوارج .

إن العدل والنزاهة العلمية والموضوعية تقودنا قودًا إلى هذه الرواية النزيهة عن الهوى وإنكار الحق الواضح يقول تعالى : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ « ٨ – سورة المائدة » .

ها هم نفر من زعماء الإباضية الربيع بن حبيب وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب يقولون في الخوارج : « ترى ما داموا على قولهم هذا فخطؤهم محمول عليهم فإذا تجاوزوه إلى الفعل حكمنا بكفرهم »[١] .
ولما تجاوز الخوارج قولهم إلى الفعل حكم عليهم الإباضية بالضلال والكفر .

وقال عبد الله بن إباض في رسالته إلى عبد الملك بن مروان « إنّا براء إلى الله من ابن الأزرق (زعيم الأزارقة من فرق الخوارج) وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج ، على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم »[٢] .

وقد كان عبد الله بن أباض شديدًا إزاء آراء الأزارقة ...

---

(١) السيابي ، سالم بن حمود ، أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج . تحقيق د . سيدة إسماعيل الكاشف ، مطابع سجل العرب ١٩٧٩ نشر وزارة التراث القومي والثقافة عمان .
(٢) من رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان .

# المبحث الثانى
## فرق المذهب الإباضى

ينضوى تحت المذهب الإباضى عدد من الفرق هى عند الإباضية أنفسهم ست فرق : النكارية ، والخلفية ، والحسينية ، والعمرية ، والسكاكية ، والفرثية .

ويضيف أصحاب المقالات إلى هذه الفرق فرقًا أخرى لا يعتبرها الإباضية أنفسهم من فرقهم .

فأبو الحسن الأشعرى فى كتابه مقالات الإسلاميين يذكر لهم فرقة تسمى طاعة « لا يراد الله بها »[1] .

ويضيف ابن حزم فى الفصل فى الملل والنحل فرقة « اليزيدية » التى ينكرها الإباضية إنكارًا تاما .

والبغدادى يذكر من فرقهم فرقة تقال لها « الحارثية »[2] لا يعترف الإباضية بها ويذكر كذلك من فرقهم « الحفصية »[3] .

وينكر ذلك الإباضية . ويؤكدون على أن كتاب المقالات أرادوا – الإساءة إليهم بدافع التعصب المذهبى .

## أهم الفرق الإباضية

### ١ – النكارية :

ظهرت فرقة النكارية فى منطقة المغرب العربى فى ظل الدولة الرستمية الإباضية . ففى عام ١٧١ هـ حدث أن الإمام عبد الرحمن بن رستم إمام الدعوة الإباضية فى بلاد

---

(١) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٨٥ لأبى الحسن الأشعرى ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط ٢ سنة ١٩٦٩ م . نشر مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٥ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط . المدنى/ القاهرة .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٤ .

المغرب أحس بقرب أجله فدعى إلى ترك الأمر شورى بين سبعة من زعماء الإباضية من بينهم ابنه عبد الوهاب بن رستم خليفة لأبيه فى إمامة الدعوة الإباضية فى بلاد المغرب .

وكان ابن فندين يرى أنه أحق بالزعامة من ابن رستم ويعتقد أنه أكثر كفاءة وقدرة وعلمًا من عبد الوهاب بن رستم ، ولهذا بايعه على مضض وقال بتردد نبايع عبد الوهاب على ألا يقضى أمرًا دون مشورة هيئة مخصوصة من الناس .

فأجابه حينئذ أحد أئمة الإباضية واسمه مسعود الأندلسى : نحن لا نعلم فى الإمامة شرطا غير أن يحكم فينا بكتاب الله وسيرة السلف الصالحين ، وهكذا تمت البيعة باختيار عبد الوهاب بن رستم إمامًا للإباضية فى بلاد المغرب .

لكن ابن فندين مع نفر من أصحابه أنكروا إمامة ابن رستم فسموا بالنكار وزعماء الفرقة بالإضافة إلى أبى قدامة بن فندين ، وعبد الله بن يزيد الفزارى ، وعبد الله بن عبد العزيز ، وأبى المؤرج عمرو بن محمد السدوسى ، وشعيب بن المعرف ، وحاتم بن منصور .

والإباضية يطلقون على هذه الفرقة عدة أسماء منها « النكاث » لأنهم نكثوا البيعة بغير حدث ، و « النجوية » لأنهم كانوا يجتمعون ويتناجون بالإثم والعدوان ، و « الشغبية » لأنهم أدخلوا بذلك شغبًا فى الدعوة الإباضية ، و « الملحدة » لأنهم ألحدوا فى الأسماء والأحكام[١] .

وحيث أن ابن فندين كان ينظر إلى نفسه نظرة نرجسية خاصة ويعتقد اعتقادًا كبيرًا فى مواهبه وكفاءته ، وكان يظن أن ابن رستم سيرجع إليه فى كل الأمور أو يسند إليه أهم الأعمال والمسائل ولكنه فوجئ بأنه ليس محل ثقة الداعية فهاله ذلك وأعظم هذا الأمر فى نفسه فأثار زوبعة وشغبًا وأشعل نزاعًا وفتنة بزعمه أن الإمامة باطلة على شرطه فإنه قد بايع ابن رستم فى ظنه على ألا يقضى فى شىء دون مشورة جماعة مخصوصة من الناس وهى حجة أبطلها من قبل مسعود الأندلسى ووقع الخلاف بين الجماعة الإباضية فى المغرب فاقترح مقترحون منهم بأن ترسل رسائل استفتاء إلى أئمة الإباضية فى المشرق الإسلامى (عمان والبصرة) « فأرسل إليهم الفقيه الإباضى الربيع بن حبيب

---

(١) الدرجينى ، أبو العباس أحمد بن سعيد ، طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاى ، طبعة مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م ، جـ ١ ص ٥١ .

صاحب « الجامع الصحيح » بأن الإمامة صحيحة والشرط باطل وأنه يجوز تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أفقه منه »[١] .

ولم يرض ابن فندين بحكم فقهاء الإباضية وأثارها حربا ضروسا ضد ابن رستم « استعان على إضرامها بوسائل دينية استغفل فيها فريقًا كبيرًا من العامة واستخفهم ، .. وما توفق الإمام إلى القضاء عليها إلا بعد سفك دماء غزيرة ، وكان عدد ضحايا هذه الفتنة لا يقل عن عشرين ألفًا من الطرفين من بينهم رأس الفتنة يزيد بن فندين »[٢] .

وتعتمد حركة ابن فندين على مبدأين أساسيين هما :

- انه لا تصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل .
- وأنه تصح الإمامة بشروط إذا شرطها الناس عند البيعة وتسقط لمخالفة هذه الشروط .

ولأن فرقة النكارية كانت تميل إلى العنف والمغالاة فى آرائها فإنها لم تدم طويلاً وإن كان بعض المؤمنين بأفكارها حاولوا بعثها من جديد خلال القرن الثالث الهجرى مثل عبد الله بن يزيد الفزارى وأبو يزيد مخلد بن كيداد اليعزنى الذى دعى إلى الخروج على الدولة العبيدية وزاد على آراء النكارية ومقالاتهم آراء يخالف بعضها أصول الإسلام ومبادئه وهذه الآراء تتعارض كثيرًا مع مبادئ وأصول الإباضية .

وقد ذكر أبو عمر عثمان بن خليفة السوفى المارغنى الإباضى لفرقة النكارية[٣] نحوا من عشرين مقالة بين أصول وفروع تختلف فيها جميعًا عن الإباضية منها أربع مقالات فى مواضع سياسية نتجت عن حركتهم وهى :

١ – الإمامة غير مفترضة .
٢ – صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمة الجورة .
٣ – عطايا الملوك لا يحل أخذها .
٤ – لا تجوز ولاية المفضول .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) البارونى ، أبو ربيع سليمان بن عبد الله ، مختصر تاريخ الإباضية ، مطابع العالمية ، روى ، سلطنة عمان ، ص ٢٤ .

(٣) معمر ، على يحيى ، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والحديث ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٠٣ باختصار .

وجملة أقوالهم التى خالفوا فيها الإباضية – حسبما ذكرها ابن خليفة المارغنى كما يأتى :

١ – ألحدوا فى الأسماء .

٢ – قالوا إن ولاية الله وعداوته تتقلب بالأحوال .

٣ – قالوا إن أسماء الله مخلوقة .

٤ – قالوا إن الإمامة غير مفترضة[١] .

٥ – قالوا يجوز الانتقال من الولاية إلى الوقوف .

٦ – قالوا حجة الله تقوم بالسماع وقد سمع الناس .

٧ – قالوا من لم تبلغه دعوة الإسلام ودعى إلى دين سماوى آخر لا يجوز له أن يجيب .

٨ – قالوا إن صلاة الجمع – غير جائزة خلف أئمة الجور[٢] .

٩ – عطايا الملوك لا يحل أخذها[٣] .

١٠ – قالوا الله لا يأمر بالنوافل .

١١ – قالوا يلزمنا العمل بالفرائض ولا يلزمنا العلم بها ولا من معرفتها شىء .

١٢ – قالوا الحق فى قول واحد على واحد من المختلفين فى النوازل التى يسع فيها الخلاف وقد ضاق على الناس خلاف الحق .

١٣ – قالوا الحرام المجهول حلال .

١٤ – قالوا يدعى المشرك إلى جملة التوحيد ، وبراءة أحداث أهل الأهواء من أهل القبلة .

١٥ – قالوا بالوقوف فى الأطفال كلهم .

١٦ – قالوا يجوز شرب الخمر على التقية .

١٧ – قالوا لا يجوز إمامة من ولى أمر المسلمين وفى المسلمين أفضل منه .

١٨ – قالوا لا تقوم الحجة فيما يسع حتى يجتمع المسلمون بأسرهم .

---

(١) من المعلوم أن أئمة الإباضية كانوا يقولون إن الإمامة فرض كفاية على الأمة المسلمة .

(٢) أئمة الإباضية كانوا يرون أن صلاة الجمعة واجبة وراء الأئمة الجورة ما أقاموها ووجدت شروطها .

(٣) كان أئمة الإباضية يقولون بجواز حل أخذ العطايا من الملوك ما لم يؤد إلى حرام .

١٩ – قالوا لاكفر إلافيما تقطع عليه اليد وهو ربع دينار ومن أخذ دونه ليس عليه شيء.

٢٠ – قالوا اللطمة والنظر بشهوة والقبلة ودخول الحمام بغير إزار صغائر غير كبائر .

ومن عرض هذه المبادئ يتضح لنا أن مبادئ فرقة النكارية تختلف كثيرًا عن مبادئ الإباضية وإن كانت تحسب على الإباضية إلا أن هذه الفرقة خرجت عن مبادئ الإباضية واستقلت بأفكارها الخاصة ، وأن كل ما كان يربطها بالإباضية هو أن ابن فندين صاحب هذه الفرقة كان يوما ما إباضيا ، ولكنه خرج عن بيعة وطاعة الإمام الإباضى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وحاربه وثار عليه .

### ٢ – النفاثية

مؤسس هذه الفرقة رجل يقال له فرحان نصر النفوس المعروف بنفاث وهو من قرية نفاثة القريبة من جبل نفوسة بليبيا .

وكان معروفا بذكائه ولهذا شعر بخيبة أمل حينما وجد نفسه من غير منصب إدارى أوسياسى فى الدولة الرستمية ونقم على تولية أفلح بن عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم إمامة الإباضيين فى المغرب[1] وأخذ ينتقد أفلح ويطعنه طعنًا شديدًا فى مجالسه المختلفة وحقد عليه حقدًا شديدًا . وكان يرى أنه أحق منه فى إمامة الإباضيين ببلاد المغرب .

وأخذ نفاث ينفث انتقاداته ضد الدولة الرستمية ويجهر ضدها بدعوته ويرسل خطاباته الشديدة اللهجة إلى الإمام أفلح ، ولما أحس بخطر الإمام وأنه قد يؤدى بحياته نتيجة خطر دعوته على الإباضيين فر بنفسه إلى بغداد وعاش فيها زمنًا قليلاً حتي يهدأ الإمام من غضبه عليه ثم عاد ثانية إلى بلده القريبة من جبل نفوسه الليبية واختلفت آراء المؤرخين فى موقفه بعد عودته من بغداد ، فقال بعضهم إنه خلد إلى السكون والراحة والبعض الآخر يقول : إنه ظل عند موقفه الأول من الدولة الرستمية . ونحن نميل بقوة إلى الرأى الأول لأنه لم يحدث من نفاث منذ عودته إلى بلده ما يؤثر على الدولة الرستمية .

أما الآراء التى كان يقول بها ، فإن أهم هذه الآراء حسبما ذكرت المصادر الإباضية نفسها[2] :

١ – أن الله هو الدهر فلما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته فى الدفتر – يعنى

---

(١) توفى أفلح إمامة الإباضية فى المغرب بعد وفاة أبيه عبد الوهاب بن رستم سنة ١٩٠ هـ – ٨٠٥ م .

(٢) معمر ، على يحيى ، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والحديث ص ٣٠٧ ، ومخطوطة أبو عمرو المارغنى (فرق الإباضية الست وما زاغت به عن الحق) ص ٤ .

الكتاب المسمى بهذا الاسم – وهذا الكتاب لا أساس له ولا يعرف عند الإباضية كتاب بهذا الاسم فهو مجهول غير موجود .

ولعل نفاثا هذا يقصد المعنى البيانى للحديث الصحيح « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» بمعنى أن ماتنسبونه إلى الدهر من الأحداث التى لاتعجبكم فتسبونه بسببها إنما خلقها الله تبارك وتعالى فأنتم عندما تسبون الدهر فكأنما تسبون خالقها وهو الله عزوجل.

٢ – أنكر الخطبة فى صلاة الجمعة وقال إنها بدعة(١) .

٣ – أنكر النفاثية على الإمام استخدام عماله لجمع الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا(٢) .

---

(١) لم يرد أنه ﷺ أو أحدا من الصحابة والخلفاء الراشدين فيمن بعدهم صلى الجمعة بدون خطبة ، وقد واظب رسول الله على الخطبة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى يخطب الخطبتين كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم يخطب (أخرجه السبعة إلا ابن ماجة) .
وخطبة الجمعة شرط لصحة الجمعة عند الأئمة الأربعة والجمهور . ويشترط عند المالكية والشافعية خطبتان وهو مشهور مذهب الحنابلة .
وقال الأحناف والأوزاعى واسحق بن راهويه وابن المنذر الشرط خطبة واحدة والثانية سنة.وهو رواية عن أحمد .
وقال الحسن البصرى والظاهرية وابن الماجشون المالكى : الخطبة مستحبة .
والحقيقة أن الأحاديث الصحيحة أوضحت وبينت صفة الخطبة ومواظبة الرسول عليها ، فلم يصلها بدون خطبتين ، والرسول يقول « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ومن هنا فإن الخطبة شرط لصحة صلاة الجمعة وليست من المستحبات كما رأى بعض العلماء ، و « كان النبى يخطب خطبتين » . فالخطبتان من شروط الصلاة وأن تكونا قبيل صلاة الجمعة مباشرة . ويشترط للخطبتين أن تشتملا على حمد الله تعالى لقول رسول الله « كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجزم » (رواه أبو داود وأحمد) والصلاة على رسول الله ، والوصية بتقوى الله ، وقراءة آية من القرآن فى إحداهما ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى الخطبة الثانية خاصة لأن الدعاء بالخواتيم أفضل كما يشرع القيام للخطبتين والجلوس بينهما جلسة خفيفة .
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان النبى يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم كما يفعلون اليوم » (رواه الجماعة) .
فالقيام فى الخطبتين مع القدرة مشروع بالاتفاق : واختلف الفقهاء فى وجوبه ، فقال مالك والشافعى : واجب ، وقال أبو حنيفة وأحمد لا يجب . وأوجب الشافعى خاصة الجلوس بين الخطبتين لقول ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى يخطب يوم الجمعة مرتين بينهما جلسة (رواه أحمد وابن ماجة) .
وقال الجمهور الجلوس بين الخطبتين سنة .
من ذلك كله يتضح لنا ضلال رأى نفاث الذى ينكر فيه خطبة الجمعة وقوله إنها بدعة .
انظر : مبحث صلاة الجمعة بكتاب الصلاة للمؤلف ص ٢٣٧ : ٢٣٩ .

(٢) هذا رأى خاطئ فلابد للحاكم المسلم من أن يستخدم عماله لجمع الحقوق الشرعية وإلا خلى بيت مال المسلمين من المال وضاعت حقوق فقراء المسلمين وضعف كيان الدولة الاقتصادى .

٤ – قال النفاثية إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ لأب[١] .

٥ – وقال النفاثية إن الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجورة وظلمهم لا يحل له أن يأخذ الحقوق التى جعل الله عليهم لضعفه عنهم[٢] .

والحقيقة أن النفاثية ماتت بموت صاحبها . ولم يكن لها اتباع حقيقيون حتى تعيش ولأن آراء صاحبها فيها الغلو الظاهر فقد انقرضت تمامًا ذلك أن الأفكار الغالية تخبو – عادة – بسرعة حين يكتشف حقيقة مبادئها . وكما اندثرت النكارية من قبل فقد اندثرت النفاثية هى الأخرى .

٣ – الخلفية :

وزعيم هذه الفرقة هو « خلف بن السمح بن أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافر » .

وكان جد خلف إمامًا على ليبيا فلما مات عين ابنه السمح « واليا على جبل نفوسه وما يليها إلى ضواحى طرابلس وقابس بليبيا وتونس »[٣] وكان إمام الإباضية آنذاك هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذى كان فى نفسه شىء من تعيين عبد الأعلى لابنه قبل موته دون استشارته ، ولما مات السمح قام جماعة من الناس وبايعوا ابنه » خلفا بغير إذن الإمام الإباضى[٤] فاستشاط عبد الوهاب بن رستم غضبًا من هذا الفعل وأمر بعزل خلف بن السمح لكن خلفا رفض أن يذعن لأمر الإمام عبد الوهاب وقال برأيه إن الجبل (يقصد جبل نفوسه) حوزة مستقلة لها إمام مستقل كما أن تاهرت (حيث يوجد الإمام) حوزة مستقلة هى فى الأخرى لها إمامها[٥] .

وهكذا اشتعلت نيران الحرب بين خلف وعبد الوهاب وازداد أوارها بتولية الإمام

---

(١) هذا رأى شاذ يقول فيه أبو عمرو المارغنى « قال المشايخ لو لم يفت نفاث إلا بهذه الفتوى لكفر بها » فرق الإباضية الست للمارغنى ص ٤ .

(٢) هذا المبدأ الذى ذكره عن نفاث مبدأ غير صحيح على الإطلاق والضلال فيه واضح كما يقول المارغنى « فضل بذلك وكذب ونقض أمر الله موجبة على الناس بجور الجائرين ، بل كل من أقر بإمامة العدل عليه دفع الحق لإمامه والزكاة وزكاة الفطر ولو لم يمنع الإمام رعيته لضعف دولته وغلبة الكفرة على رعيته فعليهم حقوقه أجمعين لأن ذلك حق الله عليهم وليس هى بأجرة ولا بجزية .

(٣) البارونى ، مختصر تاريخ الإباضية ص ٣٥ .

(٤) الدرجينى ، طبقات المشايخ بالمغرب جـ ١ ص ٦٨ .

(٥) يقول أبو عمر المارغنى الإباضى « ليس بيننا وبين الخلفية مسائل إلا واحدة وهى قولهم لكل حوزة إمام لا يعدوها إلى غيرها وضلوا ضلالا بعيدا لخلافهم الإجماع ونقضهم ما سارت به الأمة أجمعين وإنما خرج عن الإمام عبد الوهاب رحمه الله أيضا المارغنى ، مخطوط فرق الإباضية الست ص ٥ .

أفلح بن عبد الوهاب الذى استطاع أن يهزم جيش خلف واستطاع وإلى جبل نفوسه من قبل أفلح وهو العباس بن أيوب أن يقضى على فلول جيش خلف قضاء تمامًا وبموت خلف بن السمح قضى على « الخلفية » أيضا .

٤ - الحسينية أو العمرية :

هم أتباع رجل يقال له أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسى ولا يعرف على التحديد تاريخ مولده أو وفاته وإن كانت حياته خلال القرن الثالث الهجرى ، وقيل عنه إنه ألف العديد من الكتب التى لا وجود لها بين أيدينا والتى لا يعرف عنها الإباضية أى شىء .

وهذه الفرقة امتزجت من فرقة ثانية اسمها العمرية نسبة إلى رجل اسمه عيسى بن عمير[1] ويبدو أن أصلها كان واحدا ولكن أئمتها اختلفوا فقال بعضهم بمقالات تقترب من الإباضية وقال آخرون بمقالات تقترب من المعتزلة ولهم مقالات تبتعد عن جميع الأطراف .

وقد أورد أبو عمرو المارغنى الإباضى أهم آراء هذه الفرقة وهى [2] :

١ - لا يشرك من أنكر سوى الله .

٢ - يقولون فى أحكامهم بشرك المتأولين المخطئين من فرق الأمة الإسلامية .

٣ - الحب والرّضا والولاية والعداوة والبغض والسخط أفعال الله وليست بصفات له

٤ - أباحوا الزنا وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك يتقى بها ويغرم بعد ذلك منه .

٥ - الحرام المجهول معاقب عليه .

٦ - فرقوا بين الأسماء والأحكام فسموا اليهود منافقين وسموا المتأولين مشركين وأجازوا السبى منهم ، وأحلوا النكاح منهم وهم عندهم مشركون فيما زعموا .

٧ - قالوا إن حجة الله تنال بالفكر فى دين الله اضطرارًا .

٨ - لا يجوز أن يبعث الله رسولا إلا بعلامة يعرف بها ويتميز عن غيره ولا يكون له حجة إلا بها .

٩ - وقالوا إن العقلاء يتفاضلون فى التكليف والاستطاعة ولا يتفاضلون فى العقل .

١٠ - وقالوا خوف الرسل خوف إجلال لا خوف عقاب .

---

(١) معمر ، على يحيى ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ص ٣١٤ و ص ٣١٥ .

(٢) المارغنى ، مخطوط فرق الإباضية الست ص ٥ ، ٦ . والمرجع السابق ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ .

والناظر إلى هذه المبادئ يجد أن بعضها يخرج صاحبها عن الملة الإسلامية وهذا هو السبب فى تبرى الإباضية من هذه الفرقة الحسينية أو العمرية يقول الشيخ أبو زكريا الوارجلانى « إن طائفة تنتحل اسم الإباضية يقال لهم العمرية لم تجمعنا وإياهم جامعة من قبل . وهم يزعمون أنهم إباضية وهم أتباع عيسى بن عمير »[١] .

ومن هذا المنطلق الموضوعى الذى نحاول أن نسير فيه نستطيع القول ؟ بصحة مقولة إنه « ليس كل من انتسب إلى الإباضية اعتبر إباضيا ، وليس كل من خالف من الإباضية فى مسألة من مسائل الاجتهاد يعتبر خارجا عن الإباضية ورئيس فرقة مستقلة ويكون له عنوان مستقل »[١] . إن الحسينية أو العمرية تعد بمبادئها هذه فرقة من الفرق الخارجة عن الإسلام وخارجة عن مبادئ الإباضية الصحيحة .

### ٥ – السكاكية :

زعيم هذه الفرقة رجل اسمه عبدالله السكاك من منطقة لواتة قنطرار وكان يعمل بالصياغة وقد اكتسب من عمله بالذهب مالا كثيرًا ، ولم يكتف بما حصل عليه من أموال طائلة من صياغة الذهب بل أراد أن يحصل أيضًا على الشهرة ولو كان ذلك على حساب دينه وعقيدته فنادى بمجموعة من المبادئ والمقالات التى تخرجه عن الإباضية وعن الإسلام حتى أن أبا يعقوب بن يوسف بن نفاث يقول : « أدركت جماعة من الشيوخ بمنطقة قسطيلية يصلون على جميع موتى أهل القبلة كلهم من المخالفين وغيرهم إلآ أصحاب السكاك فإن من مات منهم جعلوا فى رجليه مرابط وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه »[٢] .

قال أبوالعباس الدرجينى « كان مشائخ السلف (أى سلف الإباضية) تتقارب أقوالهم فى السكاك وأصحابه وتتفاوت فقائل بشركهم وقائل بنفاقهم ، وهذا المذهب قد فنى أصحابه »[٣] .

ويبدو لى أن الرجل استطاع بما يملك من ذهب ومال وفير أن يضم إليه نفرًا من ضعاف النفوس اعتنقوا مقالاته ومبادئه وهذه المبادئ الأمة أخرجتهم عن الإباضية وعن العقيدة الإسلامية ، فعبد الله السكاك قال بعقائد غريبة عن مبادىء الإسلام السمحة منها[٤] :

---

(١) معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣١٥ .
(٢) مرجع سابق ، ص ٣١٦ .
(٣) مرجع سابق ، ص ٣١٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٣١٧ . والمارغنى ، وفرق الإباضية الستة ص ٦ .

١ – إنكار السنة والإجماع والقياس وزعم أن الدين كله مستخرج من القرآن الكريم[١] .

٢ – زعم السكاكية أن صلاة الجماعة بدعة[٢] .

٣ – اعتبر السكاكية الأذان بدعة فإذا سمعوه قالوا نهق الحمار[٣] .

---

(١) إنكار السنة إنكار للوحي ومنكر السنة كافر بإجماع الفقهاء .

(٢) أجمع الفقهاء على أن صلاة الجماعة مشروعة وأنه يجب إظهارها فى الناس فإن امتنعوا كلهم منها قوتلوا عليها – وصلاة الجماعة فى الفرائض سنة مؤكدة ، والجماعة فى النفل مباحة فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين تطوعًا ، وصلى معه أنس عن يمينه ، كما صلت أم سليم وأم حرام خلفه .
وقد ورد فى فضل صلاة الفرائض جماعة عدة أحاديث هامة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم وسلم رجل أعمى : فقال : يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأل رسول الله أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال له : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم ، قال فأجب » (رواه مسلم)
وصلاة الجماعة سنة مؤكدة فى حق كل مؤمن لم يمنعه عذر عن حضور الجماعة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيها صلاة الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان . فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (رواه أحمد وأبو داود والنسائى ، والحاكم ، وهو صحيح) .
وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها (أى صلاة الجماعة) إلا منافق معلوم النفاق) ولقد كان الرجل يُؤتىَ به يهادى بين اثنين حتى يقام فى الصف » (مسلم) .
انظر : المبحث الثامن « صلاة الجماعة » (فى كتاب الصلاة) للمؤلف ص ٢١١ إلى صفحة ٢٢٩ .

(٣) الأذان لغة الإعلام .والأذان شرعًا : هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة – والأذان سنة مؤكدة تسبق الصلاة فى حق الرجال ، لأداء الفرائض أو قضائها .
أما النساء فليس عليهن أذان ولا إقامة ، وإن أذن وأقمن وحدهن فلا بأس ، وإن لم يفعلن ذلك فجائز .
وقد ثبت أصل الأذان بالكتاب الكريم والسنة المطهرة ... يقول تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [الجمعة : ٩] ، ويقول تعالى : ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبًا﴾ [المائدة : ٥٨] .
وفى السنة المطهرة العديد من الأحاديث النبوية الحاثة على الأذان منها : عن مالك بن الحويرث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حضرت الصلاة فليؤذن بكم أحدكم وليؤمكم أكبركم » (رواه البخارى ومسلم وأحمد).
وعن معاوية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:« إن المؤذنين أطول الناس أعناقا يوم القيامة » (رواه أحمد ومسلم) .
وعن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله يقول : « ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان » (أحمد) .
وفضل الأذان عظيم فعن أبى هريرة : رضى الله عنه أن رسول الله قال : « لو يعلم الناس ما فى الأذان والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ... . » (رواه البخارى) .
وقيل فى تفسير قوله عز وجل : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ نزلت فى المؤذنين .
أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة قالت : ما أرى هذه الآية إلا فى المؤذنين ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ [فصلت : ٣٣] من ذلك كله يتضح لنا ضلال رأى السكاكية فى اعتبار الأذان بدعة .
انظر : كتاب الصلاة للمؤلف مبحث الأذان ص ٣٧ :.: ص ٥٤ .

ويرى السكاكية أنه لا تجوز الصلاة إلا بما عرف تفسيره من القرآن[١] .

ويرى السكاكية أن طعام الدرس[٢] نجس لما يبول عليه من الدواب حين الدرس . والبقول والخضر نجسة إذا وضع فى أرضها السماد .

وهذا رأى شاذ لم يقل به أحد من علماء الإسلام .

لكن عبدالله السكاك أراد أن يشتهر بين الناس ويخرج عن جماعة الإباضية فقال بهذه الآراء الشاذة الغريبة ولهذا ليس عجيبًا أن يحكم عليه الإباضية بالشرك أو النفاق ويخرجوه من دائرة مذهبهم . ثم لا يلبث أن يقضى على السكاكية وتنتهى بدعتهم بموت صاحبها عبدالله السكاك اللواتى .

## الفرقة السادسة الفرثية :

اتباع رجل أباضى من ورجلان بجنوب الجزائر اسمه « أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح » عرف عنه كثرة الاطلاع على الأفكار الخارجة على الإباضية وبخاصة أفكار

---

(١) هذا رأى خاطئ فلا يعد معرفة تفسير ما يقرأه المصلى من آيات شرطا من شروط الصلاة . والقراءة فرض على من قدر عليها باللغة العربية وقراءة الفاتحة فرض فى كل ركعة من ركعات الفرض والنفل لقول رسول الله : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (رواه البخارى) . وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الفرض والنفل ، ولم يثبت عنه خلاف ذلك . وقد قال رسول الله : « لا تجزئ صلاة ولا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » (رواه ابن خزيمة بإسناد صحيح ، ورواه ابن حبّان وأبو حاتم) . وقراءة الفاتحة على ما أشرنا من قبل ركن فى جميع ركعات الفرض والنفل على الإمام المنفرد بخلاف المأموم فإنها لا تفترض عليه .

ومن عجز عن القراءة كأمى وأخرس ، لا تكون فرضًا فى حقه .

ومن يعرف القراءة بالعربية فلا تجوز القراءة بغيرها من اللغات لأن النبى وأصحابه كانوا لا يقرءون القرآن بغير العربية ولو خارج الصلاة ، وغير العربى لا يكون قرآنا ، فإن لم يحسن شيئًا من القرآن لزمه أن يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لحديث رسول الله « إن كان معك قرآن فاقرأ وإلا فاحمده وكبره وهلله ، ثم اركع » رواه أبو داود ، والترمذى وحسنه » وقال الخطابى : الأصل أن الصلاة لا تجزئ إلا بقراءة فاتحة الكتاب ، ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لايحسنها ، فإذا كان المصلى لايحسنها ويحسن غيرها من القرآن، كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات لأن أولى ، الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن الكريم، وإن كان ليس فى وسعه أن يتعلم شيئًا من القرآن لعجز فى طبعه أو سوء فى حفظه أو عجمة فى لسانه أو عاهة تعرض له كان أولى الذكر بعد القرآن ما علمه النبى صلى ﷺ مع التسبيح والتحميد والتهليل. وقال النووى مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان عربى سواء أمكنه العربية ، أم عجز عنها ، وسواء أكان فى الصلاة أم فى غيرها ، فإن أتى بترجمة فى صلاة لم تصح صلاته ، وإن لم يحسن القراءة فإن الترجمة ليست قرآنا . وبه قال الجمهور منهم مالك وأحمد وداود . انظر : كتاب الصلاة للمؤلف ص ٧٦ ، ص ٧٧ .

(٢) يقال درس البعير يدرس درسًا : أى جرب جربًا قليلاً ، واسم ذلك الجرب الدرس .قال الأصمعى : إذا كان بالبعير شيء خفيف من الجرب قيل : به شيء من درس ، والدرس : الجرب أول ما يظهر منه ، واسم ذلك الجرب الدرس أيضًا . (لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ط دار المعارف صفحة ١٣٦٠) .

أبو زياد أحمد بن الحسينية صاحب آراء « الحسينية » التى تعد عند الإباضية خروجًا عنهم وعن الإسلام . وجملة آراء الفرثية كما ذكرها المارغنى :[١]

١ – نجاسة الفرث[٢] وما طبخ فيه من طعام .

٢ – تحريم دم العروق ولو بعد غسل المذبح وكذلك دم الجوف .

٣ – تحريم أكل الجنين من الشاة المذبوحة .

٤ – نجاسة عرق الجنب وعرق الحائض .

٥ – لا تعطى الزكاة إلا لقرابة المزكى .

وهذه الآراء تعد مجرد اجتهادات فرعية خالف بها أبو سليمان بن يعقوب جمهور إباضية المغرب مما يجعلنا لا نستطيع أن نكفره باجتهاداته فى الفروع وإن كانت آراؤه غريبة لكن يبدو لنا أنه أراد بمقالاته هذه أن يلفت الأنظار إليه ومن هنا فإننى أعتبر أنه مجرد مجتهد فى إطار المذهب الإباضى وليس صاحب فرقة وهو رأى بعض علماء الإباضية[٣] .

وقد ذكر أصحاب المقالات والملل والفرق والنحل الإسلامية فرقًا أخرى انشقت عن الإباضية ، والإباضية أنفسهم لا يعتبرون هذه الفرق التى ذكرها أصحاب المقالات فرقا إباضية من هذه الفرق الحفصية واليزيدية والحارثية ، والإبراهيمية والميمونية والواقفية والضحاكية والبيهسية والشبيبية ، وأنا حين أشير فى هذا الكتاب إلى هذه الفرق إنما أذكرهم لأبين للقارئ أن أفكار هذه الفرق التى ذكرها كتاب المقالات تختلف تمام الاختلاف عن مبادئ ومقالات الإباضية ، فعقائدها بعيدة كثيرًا عن عقائد الإباضية وأصولها ، ومن الظلم أن نحسب هذه الفرق على الإباضية . لأننا كما أشرنا من قبل وقلنا إن الإباضية من أقرب الفرق إلى الجماعة الإسلامية وإلى مبادئ الإسلام والأمانة العلمية تقتضى منا أن نذكر رؤية أصحاب المقالات للفرق الإباضية من وجهة نظرهم .

ثم بعد ذلك نشير إلى رأينا فيما كتبه هؤلاء العلماء بأمانة وحيدة علمية خالصة .

---

(١) مخطوط الفرق الست وما زاغت عن الحق للمارغنى ورقة ٧ .
(٢) الفرث : السرجين مادام فى الكرش قال ابن سيده : الفرث والفراثة : سرقين الكرش .
(٣) مثل على يحيى معمر فى كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣١٩ .

## ثانيًا : فرق الإباضية عند أصحاب المقالات :

الفرقة الأولى : الحفصية نسبة إلى رجل يقال له « حفص بن أبى المقدام » .

ولا تذكر كتب الفرق الإسلامية شيئًا عن هذا لرجل ولا ذكر له فى المصادر الإباضية وكل ما تذكره كتب الفرق الإسلامية أن « حفص بن أبى المقدام »[1] وهو إمام الحفصية من الفرق الإباضية وقد زعم حفص هذا « أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده ، فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله من فروج النساء فهو كافر برىء من الشرك ، وكذلك من اشتغل بسائر ما حرم الله سبحانه مما يؤكل فهو كافر برىء من الشرك ، ومن جَهل الله سبحانه وأنكره فهو مشرك فيبرأ من حفص جل الإباضية إلا من صدقه منهم[2] .

ومن ذلك نلاحظ أن الحفصية زعموا أن بين الشرك والإيمان خصلة وسطى . هى معرفة الله تعالى وحده ، والخصلة الوسطى عندهم مسألة نظرية ، لأنه إذ يوجد الإيمان بالتوحيد ، يوجد الإيمان بالكتب والرسل .

أما آراء الحفصية فى السياسة فى الخلافة فهى شديدة الغلو أيضًا فهم مثلاً لا يقرون خلافة عثمان وعداوتهم لعلى شديدة حتى أنهم أولوا القرآن فى شدة عدائهم لعلى كرم الله وجهه مع أن هذه الفرقة لم يعرف لها أى دور سياسى فى تاريخ الحركة الخارجية أو الإباضية .

يقول عنهم الإمام الأشعرى[3] وتأولوا فى عثمان نحو ما تأولت الشيعة فى أبى بكر وعمر ، وزعم « حفص بن أبى المقدام » أن عليا هو الحيران الذى ذكره الله تعالى فى القرآن ﴿كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ [٦ : ٧١] وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان (المحكمة) وزعم أن عليا هو الذى أنزل الله سبحانه فيه :﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾ [٢ : ٢٠٤] .

---

(١) المقالات ، ١/١٧٠ ، الملل ١/١٨٣ . التبصير فى الدين ، ص ٥٧ ، الحور العين للحميرى ص ١٧٥ .
(٢) مقالات جـ ١ ص ١٧ .
(٣) مقالات جـ١ ص ١٧٠ .

وأن عبد الرحمن بن ملجم (قاتل على) هو الذى أنزل الله فيه ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [٢ : ٢٠٧] . ثم قال حفص بعد ذلك : « الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله .

ومن فرق الإباضية أيضًا : اليزيدية ، وهى أشد فرق الخوارج غلوًا ، ولهذا فهم لا يعدون عند كتاب الفرق الإسلامية من فرق الإسلام[١] .

وصاحب هذه الفرقة هو يزيد بن أنيسة ، وهو يلتقى مع الإباضية من ناحية الأفكار الخاصة بالإمامة فقد قال يزيد بن أنيسة « بتولى المحكمة الأولى . ممن بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم »[٢] .

ويبدو لنا أن لسكنى يزيد بن أنيسة فى جفال حلوان[٣] تأثير على غلوه فى عقائده حيث توجد هناك بقايا العقائد الفارسية القديمة مما جعله يقول بعقائد متطرفة لا تمت بصلة أبدًا لعقائد الإباضية المعتزلة فهو يقول مثلاً « بأن الله سيبعث رسولاً إلى العجم منهم وينزل عليهم كتابًا جملة واحدة ، فترك شريعة محمد ﷺ ، ودان بشريعة غيرها ، وزعم أن ملة ذلك النبى الصابئة ، وليس هذه الصابئة التى عليها الناس اليوم وليس هم الصابئون الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد .

وتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب ، وإن لم يدخلوا فى دينه ولم يعملوا بشريعته ، وزعم أنهم مؤمنون[٤] .

وجل الإباضية تبرءوا من اليزيدية ، وقال ابن الأثير عن اليزيدية «هؤلاء أكفر الخوارج»[٥] .

والفرقة الثالثة من فرق الإباضية هم الحارثية أصحاب الحارث بن يزيد الإباضى[٦] .

وقد يكون هذا الحارث هو ذات الرجل الذى طرده ابن أبى كريمة من مجالس الإباضية فى البصرة لقوله فى القدر قال الشماخى « وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس

---

(١) الفرق بين الفرق جـ ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
(٢) الملل والنحل ، ١/ ٧١٣ .
(٣) تقع على آخر حدود السواد مما يلى الجبال بينها وبين بغداد خمسة مراحل .
(٤) مقالات : جـ ١ ص ١٧١ .
(٥) ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب ٣/ ٣٠٩ .
(٦) الإسفراينى ك التبصير فى الدين . ذكر أن اسم أبيه مزيد بدلاً من يزيد ص ٥٧ .

فقالا إن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم ... لأنهم أخذوا بقول أهل القدر فبرئ منهم أبو عبيدة وحاجب »[١] .

ومن المعروف أن الحارثية قالوا فى القدر بقول المعتزلة ، وخالفوا فيه سائر الإباضية وزعموا « أن الاستطاعة قبل الفعل »[٢]ولهذا فإننا نلاحظ أن « سائر الإباضية أكفروا الحارثية فى ذلك لأن جمهور الإباضية على القول بأن الله خالق أفعال العباد أو الاستطاعة مع الفعل »[٣] .

وينسب إليهم الشهرستانى القول بطاعة لا يراد بها الله تعالى ، بينما البغدادى والأشعرى يجعلان القائلين بذلك فرقة مستقلة من فرق الإباضية والفرقة الرابعة من الإباضية هم من يقولون « بطاعة لا يراد الله بها على مذهب أبى الهذيل العلاف المعتزلى ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مطيعًا لله إذا فعل شيئًا أمره الله به ، وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به[٤] بينما أهل السنة لا يذهبون إلى ذلك إلا فى النظر الأول فإن صاحبه إذا استدل به كان مطيعًا لله فى فعله ، وإن لم يقصد به التقرب إلى الله تعالى[٥] .

ولقد كان من الإباضية : الإبراهيمية ، والميمونية ، والواقفية والضحاكية ، والمسألة باختصار أن رجلاً يقال له إبراهيم من الإباضية اختلف مع رجل يقال له ميمون — غير ميمون صاحب الميمونية من العجاردة — فى جواز بيع جارية مؤمنة إلى الكفرة ، فأحل ذلك إبراهيم وتبرأ منه ميمون ، وتوقف فى الأمر آخرون فصاروا إبراهيمية وميمونية وواقفية وتبع إبراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية[٦] .

وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم فى دار التقية ، ويفصل لنا الأشعرى القصة فيقول « وكان رجل من الإباضية يقال له « إبراهيم » أفتى بأن بيع الإماء فى مخالفيهم جائز فبرئ منه رجل يقال له ميمون » وممن استحل ذلك ، ووقف قوم فلم يقولوا بتحليل ولا بتحريم وكتبوا يستفتون العلماء منهم فى ذلك ، فأفتوا بأن بيعهن حلال ، وهبتهن حلال فى دار التقية ، ويستتاب أهل الوقف من وقفتهم فى ولاية إبراهيم ومن أجاز ذلك

---

(١) الشماخى : السير ص ١٢٠ .
(٢) الشماخى : السير ص ١٢٠ .
(٣) الأشعرى : مقالات جـ ١ ص ١٧١ .
(٤) الأشعرى : مقالات ص ٢٧٢ جـ ١ .
(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٠٥ ، والإسفراينى : التبصير : ص ٣٥ .
(٦) لعل صاحبهم هو الضحاك بن قيس الخارجى المتوفى سنة١٢٨ هـ البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص٢٨ .

وأن يستتاب ميمون من قوله ،وأن يبرءوا من امرأة كانت معهم وقفت فماتت قبل ورود الفتوى ، وأن يستتاب إبراهيم من عذره لأهل الوقف فى جحدهم الولاية عنه وهو مسلم يظهر إسلامه ، وأن يستتاب أهل الوقف من جحدهم البراءة عن ميمون هو كافر يظهر كفره ، فأما الذين وقفوا ولم يتوبوا من الوقف وثبتوا عليه سموا « الواقفة » وبرئت الخوارج منهم ، وثبت إبراهيم على رأيه فى التحليل لبيع الإماء من المخالفين وتاب ميمون .

وافترقت فرقة من « الواقفية » وهم « الضحاكية » فأجازوا أن يزوجوا المرأة المسلمة عندهم من كفار قومهم فى دار التقية ، كما يَسَعُ الرجل منهم أن يتزوج المرأة الكافرة من قومه فى دار التقية ، فأما فى دار العلانية – وقد جاز حكمهم فيها – فإنهم لا يستحلون ذلك فيها .

ومن الضحاكية فرقة وقفت فلم تبرأ ممن فعله ، وقالوا : لا نعطى هذه المرأة المتزوجة من كفار قومنا شيئًا من حقوق المسلمين ولا نصلى عليها إن ماتت ، ونقف فيها ، ومنهم من برئ منها[١] .

وبعض كتاب الفرق يرون أن من الإباضية – فرق البيهسية أتباع أبى بيهس هيصم بن جابر[٢] .

وقد قال البيهسية فى المسألة التى وقع فيها الخلاف بين الإبراهيمية والميمونية إن ميمونًا كفر بأن حرم بيع الأمة فى دار التقية من كفار قومنا ، وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون وصواب ما ذهب إليه إبراهيم ، وقد كفر إبراهيم بأن لم يتبرأ من الواقفة[٣] ، وحين ورود كتاب نافع بن الأزرق إلى المحكمة وفيهم عبد الله بن إباض وأبو بيهس مخالفته لنافع ولابن أباض معا[٤] وزعم أبو بيهس[٥] « أنه لا يسلم على أحد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به محمد جملة ، والولاية لأولياء الله

(١) مقالات : جـ ١ ص ١٧٥ ، وص ١٧٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : « البيهسية من الخوارج تنسب إلى أبى بيهس من بنى سعد بن ضبيعة بن قيس ، واسمه هيصم بن جابر ، وكان عثمان بن حيان المزى والى المدينة قطع يديه ورجليه ، دار المعارف ص ٢٦٧ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٨ .

(٤) وقال بيهس « أنا أقول إن أعداءنا كأعداء رسول الله تحل لنا الإقامة فيهم ، كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة ، وأحكام المشركين تجرى فيها ، وأزعم أن مناكحهم أو مواريثهم تجوز ، لأنهم منافقون يظهرون الإسلام ، وإن حكمهم عند الله كحكم المشركين ، وأن الدار دار كفر ، والاستعراض فيه جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج » . الكامل : للمبرد جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٥) الأشعرى : مقالات : جـ ١ ص ١٧٨ .

سبحانه ، والبراءة من أعداء الله ، وما حرم الله سبحانه بما جاء فيه الوعيد ، فلا يسع الإنسان إلا علمه ومعرفته بعينه وتفسيره ، ومنه ما ينبغى أن يعرفه باسمه ولا يبالى ألا يعرف تفسيره وعينه حتى يبتلى به ، وعليه يقف عندما لا يعلم ولا يأتى شيئًا إلا بعلم » .

وقال بعض البيهيسية : « من واقع زنا لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الإمام أو الوالى ويحد » فوافقهم على ذلك طائفة من الصفرية ، إلا أنهم قالوا : نقف فيهم ، ولا نسميهم مؤمنين ولا كافرين .

وقالت طائفة من البيهسية : إذا كفر الإمام كفرت الرعية ، وقالت : الدار دار شرك ، وأهلها جميعًا مشركون ، وتركتْ الصلاة إلا خلف من تعرف ، وذهبتْ إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسبى على كل حال .

وقالت البيهسية : الناس مشركون بجهل الدين ، مشركون بمواقعة الذنوب ، وإن كان ذنب لم يحكم الله فيه حكما مغلظا ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور ، ولا يجوز أن يكون أخفى عنا فى ذنوبنا ولو جاز ذلك جاز فى الشرك .

وقالوا التائب فى موضع الحدود وفى موضع القصاص والمقر على نفسه يلزمه الشرك إذا أقر من ذلك بشىء ، وهو كافر ، لأنه لا يحكم بشىء من الحدود والقصاص إلا على كل كافر يشهد عليه بالكفر عند الله »[١] .

ومن البيهسية فرقة يقال لها العوفية وهم فرقتان : فرقة تقول : من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد إلى حال القعود نبرأ منهم .

وقال البغدادى « هؤلاء يعرفون بالشبيبية لانتسابهم إلى شبيب بن يزيد الشيبانى ، ويعرفون بالصالحية أيضًا لانتسابهم إلى صالح بن مسرح الخارجى ، وكان شبيب بن يزيد الخارجى من أصحاب صالح ، ثم تولى بعده على جنده »[٢] .

ويقول المقريزى « أن الشبيبية كانوا على ما كانت عليه المحكمة الأولى إلا أنهم انفردوا عن الخوارج بجواز إمامة المرأة وخلافتها ، وقد استخلف شبيب أمه غزالة فدخلت

---

(١) مقالات : ص ١٨١ .

(٢) مقالات : ص ١٨٢ .

الكوفة[١] وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع ، فقرأت فى الركعة الأولى البقرة ، وفى الثانية آل عمران »[٢] .

ومن المعروف أن شبيبًا لم يحدث أقوالاً كثيرة ، فلما مات صالح أوصى إلى شبيب على ما قلنا ... فخرج شبيب بالموصل فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ودارت رحى الحرب بينه وبين جيوش الخليفة وكان له النصر على خمسة قواد لخمسة جيوش منها ، ثم خرج يريد الأهواز فغرق فى دجيل عام ٧٧ هـ . وهو يقول : ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾[٣] .

لكن مما أبدعه الشبيبية « أنهم زعموا أن الرجل يكون مسلمًا إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وتولى أولياء الله وتبرأ من أعدائه ، وأقر بما جاء من عند الله جملة ، وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه مما سوى ذلك أفرض هو أم لا ، فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به فيسأل . وفارق الشبيبية « الواقفة » . وقالوا فى أطفال المؤمنين بقول الثعلبية : « إنهم مؤمنون أطفالا وبالغين حتى يكفروا ، وإن أطفال الكفار كفار أطفالاً وبالغين حتى يؤمنوا ، وقالوا بقول المعتزلة فى القدر »[٤] .

والشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف فى بعض أمور فعلها صالح وحكم فيها ، فبرئت من صالح فرقة فسميت الراجعة . وصوب بعض الخوارج رأى صالح فيها ، ووقف « شبيب » فى صالح والراجعة ، وقال لا ندرى ما حكم به صالح كان حقًا أو باطلاً[٥] وحق ما شهدت به الراجعة أم جور ، فبرئت الخوارج منهم وسموهم « مرجئة الخوارج » .

وبعد ... فهذه أهم فرق الإباضية عند أصحاب المقالات أما الإباضية فينكرون هذه

(١) وقال بعض البيهسية : السكر من كل شراب حلال موضوع عمن سكر منه ، وكل ما كان فى السكر من ترك الصلاة أو شتم الله سبحانه وتعالى فهو موضوع لا حد فيه ولا حكم ، ولا يكفر أهله بشىء من ذلك ماداموا فى سكرهم .
وقالوا إن الشرب حلال الأصل ولم يأت فيه شىء من التحريم . لا فى قليله ولا فى إكثار أو فى سكر .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٢ .

(٤) مقالات جـ ١ ص ١٧٩ .

(٥) وأما بعض الإباضية فيذهب إلى أن الذين برئوا من صالح كفروا وأن من وقف فى كفرهم كفر وأحسنوا الظن لشبيب ، وقالوا : لم يكن مثله يبرأ منه ، وقالوا : « ويدل على ذلك أنه كان معه حتى قتل ، فهو عندهم على أصل إيمانه » مقالات جـ ١ ص ١٨٨ .

الفرق إنكارًا تامًا وينبغى أن أشير فى النهاية إلى أن مؤلفات الإباضية المشارقة من القرن الثامن الهجرى كثيرة يمكن من خلالها لأى باحث موضوعى جاد أن يتعرف على تراث الإباضية وفرقهم[١] .

---

(١) توجد قائمة بذكر مؤلفات الإباضية المشارقة من القرن الثامن الهجرى وأشار إليها الأستاذ مهدى طالب هاشم فى كتابه عن الحركة الإباضية فى المشرق العربي ص٣٢٠ وهى عبارة عن رسالة بعث بها أبو القاسم البرادى إلى أحد العلماء الإباضية وبعد فإن الرسول لم أفهم عنه مرادك من تسمية التواليف فمن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة صفة أحداث عثمان بن عفان رأيته ولم أعرف مؤلفه . وكتب فيه أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم أكثر آثاره عن عبدالله بن يزيد الفزارى رأيته ولم أعرف مؤلفه ، وكتاب عبدالله بن أباض كتب به إلى عبدالملك بن مروان جوابًا عن كتابه إليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآى القرآن .
وكتاب سالم بن الحطيئة الهلالى فى العقائد والنقض والاحتجاج وكتاب شبيب بن عطية تكلم فيه عن الشكاك والمرجئة والذى أعرف من آثار قومنا شبيبًا صفرى لكن كلامه فى الكتاب كلام موافق كتب به إلى عبد السلام .
وكتاب الفرائض لابن عبد الجبار وقفت عليه ، والمسند وهو حديث الربيع وكتاب الحجة على الخلق فى معرفة الحق كتاب ضمام رواية أبى صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع عن ضمام ، وكتاب آخر فى الفروع رواية الهيثم بن الهيثم عن أشياخه عن الربيع .
كتاب أبى سفيان يشتمل على الأخبار والفقه والكلام والعقائد وقال الإمام أفلح رضى الله عنه وعليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لاسيما كتب أبى سفيان يشتمل على الأخبار وعهده الذى كتب فيه إلى الإمام عبد الله يحيى الكندى .
ومدونة أبى غانم التى قيد سماعها عن تلاميذ أبى عبيدة تشتمل على عدة كتب وقفت منها على كتاب الصيام وكتاب الشهادات وكتاب الأقضية والأحكام وكتاب النكاح ، وكتاب محمد بن محبوب وقفت على جزء واحد من أجزائه فى جملته سبعون جزءا أذكر ذلك عن الشيخ أبى صالح أبى بكر بن قاسم البرلسنى . وجامع أبى جعفر جابر محمد بن جعفر الأزكوى يكون سفرين كبيرين فى الفروع ومختصر الشيخ أبى الحسن وهو سبوع اللحم أخبرنى بذلك الثقة الحافظ عطا ربيع بن أحمد . وجامع الشيخ أبى الحسن الموافق عليه يذكره لى هذا الشيخ أيضًا . فقال جامع الشيخ أبى الحسن من جملة الكتب الذى وصل بها الشيخ أبو موسى عيسى بن زكريا البراسنى من عمان إلى الجزيرة (جزيرة جربة) .
وكتاب مدح العلم وأهله لأبى محمد عبد الله بن محمد بركه وهو جامعة سفر كبير ، وكتاب التقييد له أيضًا وقفت عليه .
وكتاب الدعائم الأصل ذكره لى بعض أصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين من مآتنا هذه أن عدة المثبتة عددهم فى هذا الكتاب بعمان ، وسير الشيخ أبى محمد الحسين على بن محمد لبسيوى وقفت على ثلاثة ... منها ما هو إلى أهل المغرب كلها فى النقض والردود وتسمية أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم .
وكتاب التخصيص لأبى بكر الأزكوى ، وكتاب للذكائر والحجج وهو المعروف بالحضرومى .
وكتاب الضياء يذكرون أنه وصل المغرب من النسخة الكبيرة التامة نيف وأربعون جزءًا ورأيت فيه ثلاثة أسفار كل سفر يشتمل على أجزاء فى التوحيد والصلاة والطلاق والحيض والبيوع والأحكام وغير ذلك وهو من أثر تصنيف أهل الدعوة . وكتاب النور مختصر عن كتاب الضياء .
وكتاب تفسير الخمسمائة آية فى الحلال والحرام لأبى المؤثر الصلت بن الخميس وكتاب الحل والإصابة لمحمد بن وصاف فى سفرين كبيرين أو فى أربعة صغار وسيرة الإمام عبد الله بن يحيى وما معها من خطب أبى حمزة=

وبعد هذا العرض لفرق الإباضية من وجهة نظر كتاب المقالات والملل والنحل يمكننى أن أقول بأننى لا أستطيع أن أتهم بالشطط والغلو فى آرائهم علماء أجلاء تعلمنا على كتبهم واستفدنا منها فائدة عظيمة ، لكن أستطيع أن أقول إنه إذا كان الإباضيون أنفسهم لا يعتبرون هذه الفرق من جماعتهم ، بل ويتبرءون منهم ، وهم بالطبع أدرى الناس بفرقهم فمن الأفضل لنا ألا نعتبر هذه الفرق من فرق الإباضية . كذلك يمكننا أن نفسر السبب فى إدراج كتاب المقالات لهذه الفرق ضمن الإباضية وجود ملامح ضعيفة من مبادئ الإباضية عند بعض هذه الفرق أو لأن بعض أصحابها عاشوا فى ظل حكم الدولة الإباضية مثل الدولة الرستمية ببلاد المغرب فاعتبرهم كتاب المقالات – على هذا الأساس – إباضيون – أو لأنهم تعودوا إدراج الإباضية ضمن فرق الخوارج ، وهذه الفرق – التى اعتبرها كتاب المقالات إباضية بمبادئها الخارجة عن الفكر الإسلامى الصحيح تعد إحدى إفرازات الخوارج الطبيعية .

---

=المختار بن عوف الأزدى لا أدرى من ألفه .

وكتاب أشعار الإمام عبد الله بن يحيى يذكرونه عندهم ، ويذكرون فى « الهامة » وأما أنا فلم أقف عليه .

ويذكرون من تأليف أهل العصر عندكم كتاب يكشف الغمة فى اختلاف الأمة يقال إنه لم يرد لأهل الدعوة مثله

ويذكرون المقطعات لأبى سعيد العمانى ولم أر منها شيئًا .

وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ سعيد فى كتابه عن الشيخ أبى العباس أحمد بن بكر قال كنت أقرأ على الشيخ سعيد وأحضر مجالسه فأول ما وقفت فيه المذاكرة عنده فنظرت فى أثناء ذلك هناك من الكتب التى وصلت من المشرق فإذا نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته حينئذ والله أعلم .

# المبحث الثالث

## دور أعلام الإباضية فى تطور المذهب الإباضى

### أولاً : عبد الله بن أباض :

الحقيقة أننا إذا تتبعنا المصادر غير الإباضية تتبعًا دقيقًا لوجدنا أن أغلب هذه المصادر كالبغدادى[1] والمبرد[2] وابن قتيبة[3] ، والإسفراييني[4] تذكر أن الإباضية ينتسبون إلى عبد الله بن أباض ، وأنه إمام هذه الطائفة[5] .

ولكن الإباضية أنفسهم والمصادر الإباضية تكاد تجمع على أن ابن إباض لم يكن إمامهم الحقيقى ومؤسس دعوتهم وإن كان من علمائهم ورجالهم البارزين فى التقوى والصلاح ولهذا السبب فإنها أغفلت الحديث عن كثير من جوانب حياة ابن إباض ونشاطه . ويعتبر الإباضية القدامى منهم والمحدثون ، جابر بن زيد إمامهم الأكبر ومؤسس دعوتهم . ولم يكن ابن أباض إلا واحدا من أتباع فرقته ولم يصدر فى شيء من أفعاله وأقواله إلا بأمر ذلك الإمام وإرشاده[6] .

ولا يستطيع أحد أن يغفل من القول بأن اسم الإباضية مشتق من اسم عبد الله بن أباض المرى من بنى عبيد بن مقاعس التميمى[7] .

وقد ولد عبد الله بن إباض فى عهد معاوية بن أبى سفيان وتوفى حوالى عام ٨٥هـ أى إلى زمن عبد الملك بن مروان ، وقد عاصر عبد الله بن الزبير ونافع بن الأزرق .

---

(١) البغدادى عبد القادر بن طاهر الفرق بين الفرق صفحة ٨٢ طبعة بيروت ١٩٧٣ .

(٢) المبرد ، محمد بن يزيد الكامل فى اللغة جـ ٣ ص ٢٧٥ .

(٣) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم – المعارف تحقيق ثروت عكاشة القاهرة ١٩٦٠ .

(٤) الإسفراييني : مظفر الدين – التبصير فى الدين ص ٥٦ القاهرة ١٩٦٢ .

(٥) ينتمى عبدالله بن أباض إلى قبيلة تميم بالبصرة وكانت من أقوى القبائل البصرية وأكثرهم عددا وعدة . وتتلمذ فى البداية على عدد من زعماء المحكمة الأولى منهم عبدالله بن وهب الراسى إمام المحكمة الأول وزعيمهم فى معركة النهروان. لكن عبدالله بن أباض لم يشترك فى حروب المحكمة ضد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٦) خليفات ، د . عوض ، نشأة الحركة الإباضية ص ٧٥ ، نشر الكتاب بدعم من الجامعة الأردنية ١٩٧٨ .

(٧) الدرجينى : طبقات المشائخ بالمغرب جـ ٢ ص ٢١٤ .

ويعد ابن إباض من أتباع جابر بن زيد . وقد اشترك ابن إباض فى الدفاع عن الكعبة الشريفة إلى جانب عبد الله بن الزبير ضد الجيش الأموى بقيادة الحصين بن نمير السكونى الذى خلف القائد الأموى مسلم بن عقبة عام ٦٣م - ٦٨٢م . وكان قد ذهب إلى مكة مع بعض قادة المحكمة مثل نجدة بن عامر الحنفى ونافع بن الأزرق وغيرهم مدفوعين برغبتهم وحماسهم فى الدفاع عن البيت الحرام على الرغم من اختلافهم فى المبادئ مع ابن الزبير[١] .

وتعتبر المصادر الإباضية جابر بن زيد هو مؤسس مذهب الإباضية وفقيه المذهب وتذكر أن ابن إباض كان يصدر فى كل أفعاله وأقواله عن جابر بن زيد ، ولكنها فى الوقت نفسه تذكر أن ابن إباض كان رئيس الإباضية بالبصرة[٢] .

ويرى البعض أن الأمويين كانوا لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار ، ولا يبدون فى هالة جابر المشرقة ، فتميل إليهم النفوس ، فنسبوهم إلى عبد الله بن إباض وهو أقل منزلة من جابر فى العلم وإن كان لا يقل عنه فى التقوى والورع ، والصلاح[٣] .

وقد عرف عبد الله بن إباض بالرسالة التى أرسلها إلى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) . وفيها يوضح أراءه ونظرًا لأهمية هذه الرسالة فقد ألحقناها بملحق هذا الكتاب .. والشيء الذى أخذه على ابن إباض فى هذه الرسالة هو قسوته على ذى النورين الإمام الجليل عثمان بن عفان الذى وصفه رسول الله ﷺ بأنه أشد أمته حياء ، وأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة .

ففى هذه الرسالة يقول ابن إباض للخليفة عبد الملك بن مروان [٤] « أما بعد : وكتبت إلى تحذرنى الغلو فى الدين وإنى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلت فإنه ماكان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن ، وقال الله تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ [١٧١ - النساء] كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم

---

(١) خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ٧٧ نقلا عن الطبرى ، جـ ٥ ص ٥٦٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٩ .
(٣) ديوز ، على محمد الإباضى : تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ . طبعة القاهرة ١٩٦٣ .
(٤) ابن حميد الحارثى : العقود الفضية فى أصول الإباضية ص ١٣٤ وما بعدها .

وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل : ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة – ٧٧] فهؤلاء أهل الغلو فى الدين » .

ومن خلال هذا النص نرى أن تقييمه لسيرة سيدنا عثمان جانبها الصواب ذلك أن مذهبنا التوقف فى أمر الصحابة وخصوصًا العشرة المبشرين بالجنة .

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم حين قال صلوات ربى وسلامه عليه « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وحذرنا من إيذائهم بالكلام « لا تؤذونى فى أصحابى فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » وقال أشرف الخلق ﷺ « إن الله قد اختار لى أصحابًا فجعل لى منهم أصهارًا وأختانًا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

ولقد كان عثمان بن عفان ممن يحبهم رسول الله ﷺ حبا جما ولهذا زوجه ابنتيه رقية ثم أم كلثوم بعد وفاة رقية وقال له رسول ﷺ « لو أن لى أربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة » .

وإذا اشتد بأحدنا العناد فعليه أن يقتدى بعبد الله بن عمرو حين سئل عن الإمامين عثمان وعلى رضى الله عنهما فتلا قول الله تعالى ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ . ولا أقل من أن يقتدى بقول الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز حين سئل عما شجر بين الصحابة فقال فى روعة وأدب جم « تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا » .

* * *

### ثانيا : جابر بن زيد الأزدى

يعد جابر بن زيد المؤسس الحقيقى للمذهب الإباضى فهو فقيه المذهب وإمامه وعالمه الأصيل . ويعد من المحدثين الكبار فقد روى العديد من الأحاديث النبوية الشريفة وتتلمذ على كثير من الصحابة ومنهم حبر الأمة عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وعبدالله بن مسعود وأنس بن مالك ، وأم المؤمنين عائشة . وتبعه كثير من علماء الإباضية كعبدالله بن أباض التميمى ومرداس بن حيدر وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة والإمام جابر بن زيد . كان الإمام الروحى وفقيه الإباضية ومفتيهم ، وكان بالفعل هو الشخص الذى بلور الفكر

الإباضى بحيث أصبح متميزًا عن غيره من المذاهب الإسلامية ، وكان ابن أباض المسئول عن الدعوة والدعاة فى شتى الأقطار وقد اكتسب ثقة أقرانه لعلمه ودينه ، فكانوا لا يصدرون فى شىء إلا بعد مشورته .. واتفقوا (أى الإباضية) على أن يتولى جابر بن زيد أمرهم وتنظيم دعوتهم منذ المَراحل الأولى لتطور الدعوة فى البصرة وإيمانًا منهم بذكائه واعتمادًا منهم على اطلاعه الواسع وتحصيله العميق فى العلوم الدينية وخاصة ما يتعلق بالتفسير وعلوم الحديث[١] .

وجابر هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى الجوخى[٢] البصرى من ولد عمر بن اليحمد الأزدى[٣] . ولد فى مدينة الفرق بالقرب من مدينة تزوى فى بلاد عمان وكان مولده بين عامى ١٨ ، ١٢هـ على ما تذكر المصادر الإباضية . وتوفى على أرجح الأقوال حوالى عام ٩٣هـ بالبصرة .

وكان جابر منذ صغره مولعًا بالعلم والمعرفة ولعل هذا هو سر ذهابه مع أسرته إلى البصرة حيث نهل من علمها ورحل إلى المدينة ومكة ودرس على كبار الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة حبر الأمة عبد الله بن العباس . يقول جابر أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم إلا البحر[٤] .[٥] فقد كان ملازما ملازمة تامة لعبد الله بن عباس وأخذ عنه الكثير .

وقد قال فيه ابن عباس لو أن أهل البصرة نزلوا عن قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا عما فى كتاب الله[٦] .

وكان ابن عباس يوجه سائليه إلى جابر بن يزيد ويقول لهم : « اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه »[٧] .

وقال عنه قتادة بن دعامة السدوسى إنه « عالم العرب وأعلم أهل الأرض »[٨] .

---

(١) د . عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ص ٨٠ ص ٨١ .
(٢) الجوفى نسبة إلى درب الجوف فى البصرة .
(٣) قبيلة اليحمد الأزدية من قبائل عمان الكبيرة ، وقد انتقل جابر مع أسرته من الفرق بعمان إلى درب الجوف بالبصرة ، وكانت البصرة وقتذاك من أهم مراكز العلم والمعرفة فى الدولة الإسلامية .
(٤) يقصد بالبحر عبد الله بن عباس لأنه لم يكن من أصحاب بدر .
(٥) الحارثى: (سالم بن حمد) العقود الفضية فى أصول الإباضية دار اليقظة العربية فى سوريا ولبنان ص٤٩.
(٦) البخارى : (محمد بن إسماعيل) ، التاريخ الكبير ، جـ ١ ص ٢٠٤ طبعة حيدر آباد ١٣٨٢هـ .
(٧) الشماخى : (أحمد بن سعيد) ، كتاب السير ، ص ٧٠ طبعة حجرية/ القاهرة ١٨٨٤ .
(٨) ابن حجر العسقلانى ، (أحمد بن على) ، تهذيب التهذيب جـ ٢ ، ص ٣٨ طبعة حيدر آباد (١٣٢٩هـ) .

وكان عمرو بن دينار البصرى يقول « ما رأيت أحدًا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد »[١] . وكان بعض الناس ممن يسكنون خارج البصرة يكتبون إليه مستفسرين عن مسائل ومشاكل فقهية فيجيبهم عليها »[٢] .

وتحاول بعض المصادر السنية[٣] إنكار صلة جابر بن زيد بالإباضية على أساس أن زيدًا من المحدثين الثقات ولهذا لا ينبغى إلصاق تهمة « الإباضية » به حتى لا يعد عندهم من المحدثين المجروحين لا العدول فعلى شرط أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل أنهم يرفضون روايات أصحاب المذاهب والبدع[٤] ومن أجل ذلك شكوا فى نسبته إلى الإباضية . لكن الدلائل الدقيقة تؤكد تماما أن جابر بن زيد هو مؤسس المذهب الإباضى وهذا هو السبب الذى من أجله حبسه الحجاج بن يوسف الثقفى ثم نفاه بعد ذلك — إلى عمان .

ولعل ذكاء جابر بن زيد فى كتمان مذهبه سببا فى ذلك ، لأنه أباح للاباضية سترأمرهم على سبيل التقية الدينية التى يشرع أمرها عند الإباضية فى طور السر والكتمان . وظهر ذكاؤه واضحا فى رفضه القضاء حين عرض عليه الحجاج منصب القضاء فأظهر له أنه ضعيف لا يستطيع تحمل هذه المسئولية حتى تبتعد أنظار المسئولين عنه وعن حركته فحين عرض عليه القضاء قال جابر « إنى أضعف من ذلك ، قال الحجاج وما مبلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما . قال إن هذا لهو الضعف » واستطاع بذلك أن يموه على الحجاج أمره وقدراته المتعددة .

ويرجع الفضل فى تنظيم أسلوب الدعوة الإباضية إلى جابر بن زيد .. وكانت البصرة[٥] مركزًا للدعوة ، ومنها كان الدعاة الذين عرفوا بحملة العلم ، يتوجهون إلى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على أيدى فقهاء المذهب وشيوخه ، والمعروف أن أنصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم فى طى السرية والكتمان فكانت مجالسهم

---

(١) البخارى ، التاريخ الكبير ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الذهبى (محمد بن أحمد) ، تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٦٢ حيدر آباد ، ١٣٣٤هـ .

(٣) كابن سعد فى طبقاته جـ ٧ ص ١٣١ ص ١٣٢ وابن حجر فى تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ١٣٨ ، وابو نعيم فى الحلية جـ ٣ ص ١٨٩ .

(٤) قال أبو زرعة عن جابر بن زيد « بصرى أزدى ثقة إلا أنه يورد عن جابر بن زيد حين سئل عن انتحال الإباضية له فقال : « أبرأ إلى الله من ذلك » (الجرح والتعديل : لأبى حاتم محمد بن أدريس الرازى مجلد ١ ص ٤٩٤ — ٤٩٥) .. وطبيعى أنه ليس من المعقول أن يقول جابر أنا إمامهم لسائله .

(٥) الخوارج فى بلاد المغرب د . عبد الرازق ص ٥٢ .

فى سراديب تحت الأرض . وإمعانًا فى التخفى « كان يجلس أمام باب السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها إذا ما رأى شخصا مقبلاً لينبه من الداخل إلى التزام الصمت ريثما يمر من يشتبه فى أمره »(١) .

وغالبا ما كانت هذه المجالس تقام فى بيوت النسوة العجائز منعا للشبهة بل أن روادها كانوا يتنكرون فى ملابس النساء .

وتطلق المصادر الإباضية على هذه المجالس اسم الحلقة وفيها يتلقى الأتباع الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات هذا فضلا عن تبصيرهم بفنون الحكم ، وأساليب السياسة ، وإعدادهم لتقلد المناصب والاضطلاع بأعبائها فى مرحلة الظهور . وبعد ذلك يشرعون فى المجاهرة بالعمل إذا ما توفر لهم « ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال » .

ومما يبين لنا أن جابر بن زيد كان المسئول عن التنظيم السرى الإباضى ما روى عند اعتقال أحد مشايخ الدعوة الإباضية المسمى أبو سفيان قنبر « وكان شيخا كبيرًا أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل . قال جابر بن زيد وكنت قريبًا منه . وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله »(٢) .

ويبدو أن النشاط الإباضى فى عهد جابر بن زيد كان يمثل ضعفا وقلقًا على الحجاج بن يوسف الثقفى ، ولهذا نجد أن الحجاج يعمد إلى نفيه إلى عمان مع أحد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة .

**ثالثًا : ابن أبى كريمة**

الحق أن مجهود جابر فى تنظيم الدعوة الإباضية كان مجهودا بارزًا حتى توفى سنة ٩٦هـ — ٧٢٥م . وخلفه أحد تلامذته البارزين المعروف بأبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة الذى قيل عنه إنه ظل يتلقى العلم أربعين عامًا وبعدها نصب نفسه لتعليم العلم .

وقد سجن فى عهد الحجاج ، وأفرج عنه بعد موت الحجاج ليخلف جابر بحق ويتصدى لتنظيم الإباضية وتنظيم أسلوب الدعوة إلى المذهب الإباضى ويساعده فى ذلك كبار أعوانه من أمثال أبى نوح ، وأبى مودود حاجب ، والربيع بن حبيب .

---

(١) الشماخى : السير ص ١٢٤ .
(٢) الشماخى : السير ص ٩٣ .

ولقد كان ابن أبى كريمة صاحب عقل مرتب منظم مخطط للإباضية فدبر ونظم وجمع أموالا كثيرة وتمكن من شراء الأسلحة والمعدات لتظهر في الوقت المناسب لاستخدامها في الاستعانة على ظهور المذهب الإباضى ، وقد استطاع أعوانه نشر المذهب الإباضى فى الأطراف فى اليمن وكذلك بين المغاربة[١] بل استطاعوا إعلان إمامة الظهور سنة ١٤٠هـ - ٧٥٧م .

ويبدو أن حسن التنظيم وسرية العمل والقيادة الحكيمة لرجال المذهب الإباضى ساعد على انتشار المذهب سواء كان ذلك فى مرحلة إمامة جابر أو مرحلة إمامة بن أبى كريمة .

ويجمل مهدى طالب الأسباب التى أدت إلى نجاح الدعوة الإباضية فى هذه المرحلة فيما يأتى[٢] :

أولاً : نظرة أبى عبيدة مسلم بن ابى كريمة ، ودراسته المستوعبة مشكلات المناطق التى كانت مستاءة من الحكم الأموى ، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف ، فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة أن الدولة الأموية فى طريقها إلى الزوال أوعز إلى إباضية اليمن بالتعجيل بالثورة ولم يفكروا فى الثورة من البصرة رغم أنها المراكز الأم لتنظيمها لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية ، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى .

ثانيا : القيادة الجماعية للدعوة. إذ توفرت مجموعة من المشايخ الإباضية كمجلس شورى ، من ذوى القدرات التنظيمية فى مساعدة ابن أبى كريمة ، كضمام بن السائب، وأبو الحر بن الحصين، وحاجب الذى كان مسئولا عن جميع النشاطات العسكرية . وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة ١٢٩هـ إبان ضعف الدولة الأموية وقرب نهايتها .

ثالثًا : المقدرة الفكرية التى تمتع بها الدعاة الإباضية ، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم وقد كان ابن أبى كريمة عالما بليغا وفقيها بارزا .

---

(١) بعث ابن أبى « كريمة بداعيته سلمة بن سعيد فى بداية القرن الثانى الهجرة لنشر الدعوة الإباضية بين المغاربة واستطاع أن يكسب مؤيدين فى بلاد المغرب الأدنى فى إقليم طرابلس وجبل نفوسة. وبعد أن مات سلمة بن سعيد حل محله أبو عبدالله محمد بن عبد الحميدبن مغيطر تلميذ ابن أبى كريمة بالبصرة وفى أيامه أصبح جبل نفوسة دار هجرة للمذهب الإباضى. وانتشر بعد ذلك انتشارًا سريعا بين القبائل الأخرى مثل هوارة ولماية وزناته وسدارته وزواغة ولواته وفى مطماطة انتشر المذهب بها فى عهد الداعية عبدالوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

(٢) الحركة الإباضية ص ٩٣ : ص ٩٥ .

كما كان سلفه جابر بن زيد من علماء الحديث ورجال الفقه الإسلامى الكبار .

رابعًا : الإخلاص والولاء المتناهى لهؤلاء القادة ، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة لمذهبهم دون أى دوافع أو رغبات اجتماعية أو مادية كقول الداعية سلمة بن سعيد أول داعية أباضى ببلاد المغرب « وددت أن يظهر هذا الأمر – يعنى مذهب الإباضية – بالمغرب يوما واحدا من غدوة إلى ليل ، فما أبالى ضربة عنقى » .

خامسًا : صلابة الدعاة فى مرحلة الكتمان والتخفى على التنظيم السرى رغم تعرضهم لصنوف التعذيب ، وظهر هذا واضحًا من مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم مما يجعل السلطتين الأموية والعباسية لا تعير أدنى اهتمام سياسى أو عسكرى لهذه القوة المتناهية فى السر والخفاء .

وبهذا نستطيع أن نفسر نجاح الإباضية[١] وبقائها حتى اليوم بينما اختفت جميع الفرق الخارجية الأخرى .

أما بالنسبة للشروط التى توجب إظهار الإمامة الإباضية وقيامها فيقول الإمام الإباضى أو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمى : « والذى يوجب الإمامة ثلاث خصال :

الأولى : « قوة أهل الدعوة ، وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبوا أهل الباطل » .

والثانية : « أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلاً ، أحرارًا بالغين أصحاء ليس منهم أعمى فصاعدا » .

والثالثة : « أن يكون فيهم ستة رجال فصاعدا أهل علم ، بأصول الدين والفقه من ذوى ورع وصلاح فى الدين ، فإذا اجتمعت لأهل الدعوة هذا الوصف وجب أن يعقدوا الإمامة لأفضلهم فى الدين والعلم الورع[٢] وقد أقر الفقهاء الإباضية وجود إمامين فى آن واحد[٣] .

وقد أوضح الإمام أبو اسحق الحضرمى المؤهلات الضرورية فى الإمام القائد الإباضى .

---

(١) نجحت الإباضية فى إقامة عدة دول كالدولة الإباضية فى عمان والدولة الرستمية فى تاهرت. بالمغرب .
(٢) أبى إسحق ، مختصر الخصال : مخطوط ورقة ٧٠أ – ٧٠ ب .
(٣) وذلك مسايرة – للظروف والواقع الذى عاشته الإمامتان الإباضيتان المعاصرتان : الإمامة الرستمية فى « تاهرت » ١٦٠– ٢٩٦ هـ/ ٧٧٦– ٩٠٨م فى المغرب والإمامة الإباضية بعمان ١٧٧هـ– ٢٨٠هـ/ ٧٩٣–٨٩٣م .

فقال[١] « ولا تتم الإمامة لأحد إلا بوجود إحدى عشرة خصلة :

أولها : أن يكون رجلا بالغا حرا عاقلاً .

الثانى : أن يكون ليس بأعمى ولا أصم .

الثالث : أن يكون ليس بأخرس .

الرابع : أن يكون فصيحًا بالعربية .

الخامس : أن يكون صحيحًا ليس بزمن ، ولا مقطوع اليدين ولا الرجلين .

السادس : أن يكون من أهل العلم والورع فى الدين .

السابع : أن يعقد له من أهل الولاية ستة رجال أحرار ، بالغين عاقلين ، من أفضل المسلمين فى العلم والورع فى الدين ، ليس فيهم أعمى فصاعدا .

الثامن : أن يكون أهلا لدعوة هؤلاء العلماء المسلمين بعقد الإمامة عليه .

التاسع : وأن لا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين إلا أن يكون بينه بحر فإن لم يكن بينهما بحر كان الذى قبله داعية وليس بإمام .

العاشر : أن يعقدوا له ولغيره فى وقت واحد ولا يدرى أيهما من قبل وليس بينهما بحر ، فليس للواحد منهما إمامة ، ويرجع الأمر شورى بين المسلمين .

الحادى عشر : أن يكون ممن لم يقم عليه حد من قطع ولاجلد . والحق أن هذه الخصال والشروط لم تكن أصولاً ثابتة فى اختيار الأئمة القادة عند الإباضية بل كثيرا ما تغيرت من وقت لآخر حسب الظروف السياسية والتطبيق العملى للمبادئ الإباضية كثيرًا ما كان يحدث فيه تعديل ليتلاءم مع الظروف السياسية المختلفة وهذا سر من أسرار استمرارية الإباضية حتى وقتنا الحاضر .

---

(١) مختصر الخصال : ورقة ٧٠ ب .

# ملحق

## كتاب عبد الله بن إباض
## إلى عبد الملك بن مروان

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان ، أما بعد : سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأوصيك بتقوى الله ، فإن العاقبة للتقوى والمرد إلى الله واعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين . وقد جاءني كتابك مع سنان بن عاصم ، وأنك كتبت إلى أن أكتب إليك بكتاب فكتبته إليك ، فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر ، ولكن الذى تنكره ليس عند الله بمنكر ، وأما ما ذكرت من عثمان والذى عرضت به من شأن الأمة فإن الله ليس ينكر عليه أحد شهادته فى كتابه الذى أنزل على نبيه محمد ﷺ ، أن ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [1] ، والفاسقون[2] ، والكافرون[3] ، ثم أنى لم أكن أذكر لك من شأن عثمان شيئًا إلا والله تعلم أنه حق . وسأنزع لك من ذلك البينة من كتاب الله ، وسأخبرك خبر عثمان الذى طعنا عليه فيه ، وأبين شأنه وأمره . لقد كان عثمان كما ذكرت من قدمه فى الإسلام ولكن الله لم يجز العباد من الفتنة ، وذلك أن الله بعث محمدا ﷺ وأنزل عليه الكتاب وبين فيه كل أمر ، وفصل فيه كل حكم ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وجعله هدى ورحمة لقوم يؤمنون[4] . فأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وحكم أحكامًا وفرض فرائض وحدودا . فقال : ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾[5] . وقال : ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[6] . ثم أمر نبيه باتباع كتابه وقال : ﴿واتبع

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٥ .

(٢) نص الآية : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ « سورة المائدة : آية ٤٧ » .

(٣) نص الآية : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ « سورة المائدة : آية ٤٤ » .

(٤) نص الآية:﴿ولقدجئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾«سورة الأعراف: آية ٥٢».

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٧ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٢٩ .

ما أوحى إليك من ربك﴾(١) . وقال : ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾(٢) . فعمل محمد ﷺ بأمر ربه ، ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه ، لا يرونه يتعمد أحدًا ولا يبدل حكما ولا يستحل حرامًا ولا يحرم حلالا ولا يبدل فريضة ، وكان رسول الله ﷺ يقول : ﴿إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾(٣) .

فعمر ﷺ ما شاء الله تابعًا لما جاء به من عند الله ، مبلغًا لما ائتمنه الله عليه ، معلما للمؤمنين ، مبصرا لهم حتى توفاه الله ﷺ . ثم أورث الله عز وجل المسلمين الذى جاء به محمد ﷺ وهو كتابه الذى يهتدى من اهتدى باتباعه ولا يضل من ضل إلا بتركه ، ثم قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ كتاب الله وعمل بسنة نبيه فلم يفارقه أحد من المسلمين ولم يعيبوا عليه فى حكم حكمه ولا قسم قسمه حتى فارق الدنيا وأهل الإسلام عنه راضون وله مجامعون . ثم قام من بعده عمر فكان قويًّا على الأمر ، شديدا على أهل النفاق ، يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين ويعمل بكتاب الله . وابتلاه الله بفتوح من الدنيا بما لم يبل به صاحبيه ، وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعة وشهادة المؤمنين له بالوفاء قائمة والمؤمنون شهداء الله فى الأرض . قال الله عز وجل ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾(٤) . ثم استشار المؤمنين فتركها فيهم ، فولوا عثمان ففعل ما شاء الله بما يعرف الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ، وأحدث أمورًا لم يعمل بها صاحباه قبله ، وعهد الناس يومئذ قريب . منهم . فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسُنّة من كان قبله ، فشق عليه أن ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآثار من كان قبله من المؤمنين ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾(٥) ، وأنا أبين لك يا عبد الملك بن مروان ما أنكر المسلمون على عثمان وفارقوه عليه ، عسى أن تكون غافلاً فأذكرك ، أو جاهلاً فأعرفك ، فلا يحملنك هواء عثمان يا عبد الملك أن تكذب بآيات الله وتعرض عنها فإنه لا يغنى عنك من الله شيئا ، فالله الله يا عبد الملك قبل التناوش من مكان بعيد وقبل أن تكون لزاما وإنه كان ممن طعن عليه المسلمون وفارقوه

(١) سورة الأحزاب : آية ٢ .
(٢) سورة القيامة : آية ١٨ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١٥ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٤٣ .
(٥) سورة السجدة : آية ٢٢ .

وفارقناه عليه . قال الله عز وجل : ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾[١] ، وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقضى فيها كتاب الله ، ومما نقمنا عليه وفارقناه أن الله عز وجل قال : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾[٢] فكان خيار هذه الأمة قد طردهم ونفاهم . فكان من نفى من أهل المدينة أبا ذر الغفارى ومسلم الجهنى ونافع بن الحطام ، ونفى من أهل الكوفة كعب وجندب بن زهير قاتل الساحر ، ونفى عمر بن زرارة ويزيد بن صحوان وأسود بن دويح ويزيد بن قيس الهمدانى وكردوس بن الحضرمى فى أناس كثير من أهل الكوفة . ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله ومدعور العنبرى ومن لا يستطاع عدّهم من المؤمنين . وما نقمنا عليه أنه أمر أخاه الوليد بن عقبة على الناس فكان يلعب بالسحر ويصلى بالناس سكران ، فاسق فى دين الله وإنما أمّره من أجل قرابته ومما نقمنا عليه جعل المال دولة بين الأغنياء ، وقد قال الله عز وجل ﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء﴾[٣] فبدل فيه كلام الله واتبع هواه ومما نقمنا عليه أنه منع واضع القطر وحماها لنفسه ولأهله ومنع الرزق الذى أنزل الله لعباده متاعًا لهم ولأنعامهم ، وقد قال الله عز وجل ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[٤] . ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى فى الصدقات . وقد قال الله : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. إلى قوله فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[٥] . وقال : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾[٦] . والذى أحدث عثمان منعه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأنقص أهل بدر من عطاياهم ألف ألف ، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله ، وقال الله عز وجل ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب

---

(١) سورة البقرة : ١١٤ .
(٢) سورة الأنعام : ٥٢ .
(٣) سورة الحشر : ٧ .
(٤) سورة يونس : ٥٩ .
(٥) نص الآية : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ سورة التوبة : آية ٦٠ .
(٦) نص الآية : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ الآية[١] .
مما نقمنا عليه كان يضم كل ضالة إلى إبله ولا يردها ولا يعرفها ، وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد وإن كانوا قد أسلموا عليها ، وكان لهم فى حكم الله ما أسلموا عليه وقد قال الله عز وجل : ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾[٢] . وقال : ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾[٣] ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه وأعطى منه أقاربه وكان ذلك تبديلاً لحكم الله وفرض الله الخمس ( لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .. إلى قوله .. والله على كل شيء قدير )[٤] . ومما نقمنا عليه منع أهل البرحين وأهل عمان أن يبيعوا شيئًا من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة وذلك تحريم لما أحل الله .

﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[٥] . وكان من عمل عثمان أنه يحكم بغير ما أنزل الله وقد خالف سبيل الله وسبيل صاحبيه وقال الله : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا﴾[٦] وقال : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون﴾[٧] وقال : ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[٨] . وقال : ﴿من يلعن الله فلن تجد له نصيرًا﴾[٩] . وقال : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[١٠] وقال : ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾[١١] .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٤ ﴿يأيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزو﴾ .

(٢) سورة هود : آية ٨٥ .

(٣) سورة النساء : آية ٢٩ . ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا﴾ .

(٤) نص الآية ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم إلتقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ سورة الأنفال آية : ٤١ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(٦) سورة النساء : آية ١١٥ .

(٧) سورة المائدة : آية ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٧ .

(٨) سورة هود : آية ٨ .

(٩) سورة النساء : آية ٥٢ .

(١٠) سورة هود : آية ١١٣ .

(١١) سورة يونس : آية ٣٣ .

وكل هذه الآيات تشهد على عثمان وإنما شهدنا عليه بما شهدت عليه الآيات . والله يشهد بما أنزل إليكم أنزله بعلمه والملائكة (هكذا) يشهدون وكفى بالله شهيدًا[١] . فلما رأى المسلمون الذين أتى به عثمان من معصية الله المؤمنون شهداء الله فى الأرض ناظرون فى أعمال الناس . وقال الله عز وجل : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٢] وترك الخصومة الخصمين فى الحق والباطل ، ووقع ما وعد الله من الفتن وقد قال الله عز وجل : ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٣] . وعلم المسلمون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة إبليس ، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض ، واجتمع إليه ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج النبى ﷺ ، فأتوه فذكروه بالله وأخبروه بالذى أتى من معاصى الله ، فزعم أنه يعرف الذى يقولون وأنه يتوب إلى الله عز وجل منه ويراجع الحق فقبلوا الذى أتاهم به من الاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله عز وجل ومراجعة الحق وكان حقا على أهل الإسلام إذا التقوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه ما استقام على الحق فلما تفرقوا عنه نكث الذى عاهدهم عليه وعاد إلى أعظم من الذى تاب منه . فكتب إلى عماله فى آدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهود رجعوا إليه وقتلوه بحكم الله وقد قال الله عز وجل : ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾[٤] وقد عمل بكتاب الله وجامع المسلمين زمانًا ثم ارتد على عقبيه .

وقد قال الله عز وجل ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾[٥] فهذا وأمثاله من خبر عثمان هو الذى فارقه عليه المؤمنون وفارقناه وطعنوا عليه فيه وطعنا نحن اليوم فيه . وذكرت كونه مع رسول الله ﷺ وخلته معه ، فقد كان على بن أبى طالب أقرب قرابة إلى رسول الله وأعظم خلة وأقدم هجرة وأسبق إسلاما وأنت تشهد له بذلك وأنا بعد ذلك ، فكيف كانت قرابته وخلته هل كانت نجاة إذا ترك الحق أم هلاكًا ؟ ، واعلم أن علامة كفر هذه الأمة إذا

---

(١) نص الآية الكريمة ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا﴾ سورة النساء : آية ١٦٦ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٥ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ١ - ٣ .

(٤) سورة التوبة : آية ١٢ .

(٥) سورة محمد : آية ٢٥ .

تركوا الحكم بما أنزل الله فحكموا بغير ما أنزل الله ﴿ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾[١] وقال : ﴿فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾[٢] ، فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عز نفسك ولا تسند دينك إلى الرجال فإنهم يستدرجون من حيث لا يعلمون . فإن أملك الأعمال خواتمها وكتاب الله جديد أبدا لا ينطق إلا بالحق ، أجارنا الله باتباعه أن نبغى أو نضل ، فاعتصم بحبل الله يا عبد الملك واعتصم بالله يهديك إلى صراط مستقيم . قال الله عز وجل : ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾[٣] . وكتاب الله هو حبل الله المتين الذى أمر المؤمنين أن يعتصموا به فقال : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾[٤] فأنشدك الله أن تتدبر معانى القرآن وتكون معتدًا به مخاصمًا به قال الله عز وجل : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٥] .

وأما قولك فى معاوية أن الله أقام معاوية وعجل نصره وبلج حجته وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان . فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا فإنا لا نعتبره من قبل ذلك ، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعلمون ، وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويملى الكافرين وقال : ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾[٦] وانظر ما أصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد ، وانظر كيف ظهر قتلة ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار وظهر على على أهل البصرة وهم شيعة عثمان ، وظهر المختار على زيد وأصحابه وهم شيعتهم ، وظهر مصعب على المختار ، وظهر أهل الشام على أهل المدينة وظهر الزبير على أهل الشام بمكة فلا تعتبر الدين من قبل الدولة ، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض . فقد أعطى الله فرعون ملكًا وظهر فى الأرض وأعطى الذى حاج إبراهيم فى ربه ملكًا . ثم أن معاوية إنما اشترى الإمارة من الحسن بن على ، ولم يف له بما اشترطه عليه وعاهد الله العظيم ليوفين له .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الآية[٧] . ولا تسأل

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٠ .
(٢) سورة الجاثية : آية ٦ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٠١ .
(٤) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .
(٥) سورة محمد : آية ٢٤ .
(٦) سورة آل عمران : آية ١٤٠ – ١٤١ .
(٧) سورة النحل : آية ٩١ .

عن معاوية وعن صناعته غيرى لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته ، ولا أعلم من الناس أحدًا أترك للقسمة التى قسمها الله ، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرمه الله ، منه فلو لم يصب من البلاء إلا دم ابن سمية لكان فيه ما يكفره . ثم استخلف ابنه يزيد فاسقًا لعينًا كافرًا شاربا للخمر فيكفيه من الشر فلا يخفى عمل معاوية ويزيد على كل عاقل ، فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى معاوية . فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون فى معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرًا فما (هكذا) يصنعون . فمن يتول عثمان ومن معه فإنى أشهد الله وملائكته أنى منهم برىء ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا ونحاسب بذلك عند الله . وكتبت إلى تعذرنى الغلو فى الدين . أعوذ بالله من الغلو . وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلته . والغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتاب الله الذى بين ، وسنة نبيه التى سن . وقال الله : ﴿يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾[1] وقال : ﴿يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق﴾[2] كما على عثمان[3] ، والأئمة بعده ، وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم — تجامعهم على معصية الله وتتبعهم ، وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم عليها . وقال الله عز وجل ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل﴾[4] فهؤلاء أهل الغلو فى الدين فليس من غضب لله حين عصى ورضى بحكم الله ودعا إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه وسنة المؤمنين يعد بغال فى الدين . وكتبت إلى تعرض بالخوارج وتزعم أنهم يغلون فى دين اللهو يتبعون غير سبيل المؤمنين ويفارقون أهل الإسلام . وأنا أبين لك سبيلهم[5] . هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة وفارقوه حين ترك حكم الله وهم أصحاب الزبير وطلحة حين نكثا وأصحاب معاوية حين بغى وأصحاب على حين بدل كتاب الله وحكم عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يفرقوا بحكم البشر دون حكم الله . فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة . كانوا

---

(١) سورة النساء : آية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٧ .

(٣) الحق أن ابن إباض كان قاسيا فى حكمه على ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه . ونسى أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة . وأنه يلزمنا عدم الخوض فى صحابة رسول الله ﷺ .

(٤) سورة المائدة : آية ٧٧ .

(٥) هذا هو أحد الأسباب الرئيسية فى اتهام الإباضية بأنهم من الخوارج .

يتولون فى دينهم وسنة نبى الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويدعون إلى سبيلهم ويرضون على ذلك ، كانوا يخرجون ، وإليه يدعون وعليه يفارقون . وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملاً وأشد قتالا فى سبيل الله . هذا خبر الخوارج شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا ولمن أولاهم أولياءونا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم .

وأنت كتبت إلى أن أكتب إليك بجواب كتابك وأجتهد لك فى النصيحة وذكرتنى بالله وأفضل ما ذكرتنى به أن قلت : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب﴾ الآية[١] . ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه﴾ فقد بينت لك وأخبرتك خبر الأئمة ، وكان حقا على أن أنصح لك ، فإن الله لم يتخذنى عبدًا لأكفر به ولا أن أخادع الناس بشيء ليس فى نفسى وأخالف إلى ما أنهى عنه أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لتحل (الحلال ؟) وتحرم الحرام . ولا تظلموا الناس شيئًا ، وأن يكون كتاب الله حكما بينى وبينكم فيما اختلفنا فيه ، وأن نتولى من تولى الله وأن نبرأ ممن تبرأ الله منهُ ، وأن نطيع من أمر الله بطاعته ، ونعصى من أمر الله بمعصيته فى كتابه فهذا الذى أدركنا عليه نبينا ﷺ وأن هذه الأمة لم تسفك دما إلا حين ترك كتاب الله وسنة نبيه وقد قال الله عز وجل : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب﴾[٢] والقرآن هو السبيل الواضح الذى هدى الله به من كان قبلنا محمدًا وأصحابه الخليفتين الصالحين ولا يضل من اتبعه ولا يهتدى من تركه وقال : ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[٣] ، فاحذر أن تتفرق بك السبل وتتبع هواك ، فإن الناس إنما يتبعون فى الدنيا ، والآخرة إمامين : إمام هدى وإمام ضلالة ، فإمام الهدى الذى يتبع كلام الله ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله وهو الذى قال عز وجل : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[٤] وهؤلاء هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم .

وأما أئمة الضلالة فهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويقسمون بغير قسمة الله

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٩ .
(٢) سورة الشورى : آية ١٠ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ٧٣ .

ويتبعون أهواءهم بغير سنة من الله فهؤلاء الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾[١] ، وفيهم قال : ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا﴾[٢] وقال : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾[٣] وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . فماذا بعد الحق إلا الضلال . فلا تضربن عنك الذكر صفحًا ، ولا تشكن فى كتاب الله وقد كتبت إلى بمرجوع كتابك فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتتدبر معانيه وتنظر فيه بعين البصيرة . واكتب إلى جواب كتابى إن استطعت وانزع إلى الشواهد من كتاب الله والبينة منه ، فاصدق بذلك قولك ، ولا تعرض لى بالدنيا فإنه لا رغبة لى فى الدنيا ، وليست من حاجتى ، ولكن لتكن نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت . فإن ذلك أفضل النصيحة . والله قدير أن يجمع بيننا على الطاعة فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله . وبالله التوفيق وفيه الرضا .

والسلام عليك[٤] .

(١) سورة القصص : آية ٤١ .
(٢) سورة الفرقان : آية ٥٣ .
(٣) سورة الكهف : آية ٢٨ .
(٤) البرادى ، الجواهر المنتقاه ، ص ١٥٦ — ١٦٧ .

# مراجع الجزء الثانى
# « الإباضية وأهم فرقها »


- الإباضية : « معمر » : [على يحيى معمر الإباضى] المطبعة العربية .
- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والجديد .
- [معمر] : على يحيى معمر الإباضى – المطبعة العربية – عزداية الجزائر ١٩٨٧ .
- الأدلة المرضية فى دحض ما نُسِبَ إلى الإباضية [اليحمدى] : [بدر الدين هلال حمود اليحمدى الإباضى] طبعة مطابع النهضة بمسقط ١٩٨٨ .
- الأصول التاريخية للفرق الإباضية د. عوض خليفات–نشر وزارة التراث والثقافة عمان ١٩٨٢.
- أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج تأليف سالم بن حمود السيبانى تحقيق (سيدة إسماعيل الكاشف) – مطابع سجل العرب ١٩٧٩ – نشر وزارة التراث القومى والثقافة – عمان .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى : « فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ » نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٨ بمراجعة الدكتور النشار .
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : [عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ] طبعة القاهرة .
- البداية والنهاية لابن كثير : [عماد الدين أبى « الفدا إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤ هـ] – طبعة بيروت ١٩٦٦ .
- تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين للدكتور على مصطفى الغرابى طبعة المكتبة الحسينية .بالقاهرة ١٩٤٨ .
- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧١ .
- تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ لديوز [على محمد ديوز الإباضى] مطبعة القاهرة ١٩٦٣ .
- التبصير فى الدين للإسفراينى : [أبو مظفر الإسفراينى ٤٧١ هـ] طبع مطبعة الأنوار – ١٩٤٠ ، وطبعة القاهرة ١٩٥٥ .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى : [أبى الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى – الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ] طبعة المثنى ببغداد .
- الحركة الإباضية فى المشرق العربى لمهدى طالب هاشم طبعة القاهرة . ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
- الخوارج فى بلاد المغرب للدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق طبعة الدار البيضاء .

- الخوارج الحروريون للدكتور أحمد حجازى السقا مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ .
- دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية [أعوشت] (بكير بن سعيد أعوشت - الإباضى) الطبعة الأولى ١٩٨٢ مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .
- السير للشماخى : [أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى ت٩٢٨هـ - القاهرة - طبعة حجر] .
- سنن أبى داود [سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى المتوفى ٢٧٥ هـ - طبعة التجارية بمصر] .
- طبقات المشايخ بالمغرب لأبى العباس أحمد بن سعيد الدرجينى جـ ١ تحقيق إبراهيم طلاى طبعة مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- صحيح البخارى [الجامع المسند الصحيح] للبخارى : (أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن الأحنف يزدزيه البخارى ت ٢٥٦ هـ) طبعة الشعب .
- طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الإباضى طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م عمان .
- فجر الإسلام ٣ جـ ١ للأستاذ أحمد أمين طبعة القاهرة ١٩٢٨ .
- الفرق بين الإباضية والخوارج لأبى اسحق إبراهيم أطفيش الإباضى .
- الفرق بين الفرق للبغدادى [عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٠ هـ] تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله نشر مكتبة صبيح .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ طبعة القاهرة ١٣١٧ وطبعة السلام العالمية .
- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد [أبوالعباس محمدبن يزيد ت ٨٩٨ م] طبعة مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .
- الكامل فى التاريخ لابن الأثير [محمد بن محمد بن عبد الكريم بعد عبد الواحد الشيبانى المتوفى ٦٣٠ هـ] طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ .
- كتاب السير : الشماخى [أحمد بن سعيد] طبعة حجرية القاهرة ١٨٨٤ .
- مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرّسعنى : [عبد الرازق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرّسْعنى] . طبعة مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ .
- مختصر تاريخ الإباضية: أبوربيع سليمان بن عبدالله البارونى ط٣ مطابع العالمية روى سلطنة عمان .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعرى [أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠هـ] طبعة النهضة المصرية ١٩٥٠ م بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
- الملل والنحل للشهرستانى [محمد بن عبد الكريم ت ٥٣٥٤٨] طبعة القاهرة ١٩٥٦ وبهامش كتاب الفصل طبعة السلام العالمية .

# الجزء الثالث

# الشيعة . .
# وإمامة علىّ

# توطئة

موضوع الشيعة وإمامة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من الموضوعات التى شغلت بال كثير من المسلمين . وفى هذا الجزء من الكتاب « مذاهب الإسلاميين » نتناول موضوع الشيعة والإمامة ، واعتبار الشيعة أنها أصل من أصول الدين وركن من أركانه ، وإن الأئمة هم أبواب الله والأدلاء عليه فطاعتهم طاعة لله وأمرهم أمره ،ولهذا فإن الإمامة عند الشيعة منصب إلهى من اختيار الله سبحانه وتعالى..

وموضوعنا حول الشيعة الاثنى عشرية .

وقد غالى الشيعة الاثنى عشرية فى أئمتهم غُلوا كبيرًا . صحيح أنه ليس كغلو الشيعة الإسماعيلية أو الدروز أو النصيرية ولكنهم كفّروا كل من جحد إمامة أمير المؤمنين وبقية الأئمة الاثنى عشر من بعده ، وأعظموا مشاهد وقبور أئمتهم تعظيمًا شديدًا ، وقالوا بوجوب عصمة أئمتهم ، والنص على إمامة على وبقية الأئمة الاثنى عشر ، وفى سبيل ذلك وضعوا العديد من الأحاديث ، وأولوا النصوص القرآنية الشريفة لصالح أقوالهم فى النص على أئمتهم ، وغالوا فى ذلك غلوًا كبيرًا .

وإننى فى هذا الجزء من الكتاب ناقشتُ ما ذهب إليه الشيعة فى ذلك الشأن مناقشة علمية هادئة أبتغى منها وجه الله تعالى وأسأله أن يجنبنا سوء الجدل ، وأن يرينا الحق حقًا فنتبعه ، والباطل باطلاً فنتجنبه .. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ، وإليك المصير .. هذا وبالله التوفيق والسداد .

# مدخل إلى تعريف الشيعة

## الشيعة فى القرآن الكريم.

ذُكر الفعل « شيع » فى القرآن الكريم فى سبع مواضع[1]

١ – تشيع : فى قول الله تعالى : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [النور : ١٩] وشاع : أى انتشر وقوى ، يقال : شاع الخبر ، وشاع القوم .

٢ – الشيعة : الفرقة من الناس يتابع بعضها بعضًا ، وشيعة الرجل : أولياؤه وأنصاره ومن كان على منهجه ورأيه ، والجمع شيع وأشياع .

يقول تعالى : ﴿ثم لَنَنزِعَنَّ من كل شيعة أَيُّهم أَشَدُّ على الرحمن عِتِيا﴾ [مريم : ٦٩] وشيعة هنا بمعنى الفرقة .

٣ – شيعته : ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ، وهذا من عَدُوِّه﴾ [القصص : ١٥] ، من شيعته : أى من أوليائه وأنصاره .

٤ – شِيع: ﴿ولقد أرسلنا من قَبْلِك فِى شِيَعِ الأولين﴾ [ الحجر:١٠] أى : فِرق الأولين.

٥ – شِيَعًا : ﴿أو يَلْبِسكُمْ شِيعا﴾ [الأنعام : ٦٥] أى فِرَقا .

٦ – أشياعكم :﴿ولقد أهلكنا أشياعكم فهل مِن مُدَّكِرٍ﴾ [القمر : ٥١] ؛ أى أولياءكم وأنصاركم ، أو من كان على منهجكم ورأيكم .

٧ – بأشياعهم : ﴿وحِيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فُعِل بأشياعهم مِن قبل﴾ [سبأ : ٥٤] أى من كان على منهجهم ورأيهم .

## الشيعة فى اللغة :

يقول ابن منظور[2] فى لسان العرب : « الشيعة : القوم الذين يجتمعون على الأمر .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ جـ ١ ص ٦٦ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب طبعة دار المعارف جـ ٤ صفحة ٢٣٧٧ .

وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ رأى بعض فهم شيع ، قال الأزهرى : ومعنى الشيعة الذين يتبعُ بعضهم بعضًا وليس كلهم متفقين ، قال الله عز وجل :﴿الذين فَرّقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ كلٌّ فرقة تكَفّر الفرقة المخالفة لها ، يعنى به اليهود والنصارى ، لأن النصارى بَعْضُهُمْ يكفر بعضا ، وكذلك اليهود ، والنصارى تكفر اليهود ، واليهود تكفرهم ، وكانوا أُمِروا بشيءٍ واحد .

والشيعة : أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شِيَع ، وأشياع جمع الجمع . ويقال شايعه كما يقال والاه من الوَلِيّ .

وأصل الشيعة : الفرقة من الناسِ ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظٍ واحد ومعنى واحد ؛ وقد غَلَبَ هذا الاسم على من يتوالى عليا وأهلَ بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، حتى صار لهم اسْمًا خاصًا، فإذا قيل : فلان من الشيعةِ عُرِف أنه منهم » .

ويذكر صاحب كتاب الفهرست وهو شيعى عن السبب في تسمية الشيعة بهذا الاسم هو عليّ رضى الله عنه قال ابن النديم « قال محمد بن اسحق لما خالف طلحة والزبير عليًّا رضى الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما عليّ عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جلّ اسمه تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتى »(١) .

وهذا الرأى يحتاج إلى نظر خصوصا إذا عرفنا أن معاوية رضى الله عنه كان يسمى أتباعه شيعته ، فقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه أن معاوية حين بعث بشر بن أرطأة إلى اليمن قال له : « امعن حتى تأتى صنعاء فإن لنا بها شيعة »(٢) .

وإن كان الإمام الأشعرى يرى أيضا إنما قيل لهم : الشيعة لأنهم شيعوا أى شايعوا عليًّا ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ(٣) .

فالشيعة كمصطلح يقصد به الذين ناصروا عليا وشايعوه وقدموه على غيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست نشر دار المعرفة بيروت بدون تاريخ طبع صفحة ٢٤٩ .

(٢) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر تاريخ اليعقوبى - نسخة بمكتبة الأزهر تاريخ - رقم خاص (٤٥٦) على (٦٧٥٠) جـ ٤ ص ١٥ .

(٣) أبو الحسن الأشعرى ، على بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق هلموت ريتر طبعة استنبول ١٩٢٩ ص ٥

**تعريف الشيعة :**

يعرف الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل الشيعة « بأنهم هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصا ووصية ، إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجتْ فبظلم يكون من غيره ،أو بتقية من عنده ، قالوا : وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية . هو ركن الدين .. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر »(١) .

ونفس المعنى يذكره الجرجانى عن الشيعة فيقول : « هم الذين شايعوا عليًّا رضى الله عنه ، وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ .واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده »(٢) .

**متى بدأ التشيع ؟**

يرى الشيعة أن بداية بذرة التشيع كانت مع الإسلام . ويقول أحدهم وهو الإمام كاشف الغطاء « إن بذرة التشيع وُضِعتْ مع بذرة الإسلام ، جنبا إلى جنب ، وسواء بسواء ، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمتْ وأزهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته »(٣) .

ونفس الرأى يراه الدكتور كامل الشيبى وهو شيعى أيضا فيقول : « إن التشيع بمعناه الذى حددناه من نصرة علىّ والتشيع له ، قد كان قديمًا قِدم الإسلام ، وظهر على شكلْ دعوة سياسية فى أول لحظة بدا من المناسب أن يظهر للناس ، وقد كان الأربعة الأوائل من شيعة علىّ وهم ، سلمان الفارسى ، وأبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والمقداد بن أسود يتصرفون فى حياة النبى باعتبارهم شيعة ، تصرفهم فى نهاية الأمر حين انكشف تشيعهم واضحًا ، وكان ذلك يُعرف عنهم »(٤) والخطأ الأكبر فى محاولة الشيعة تأكيد قولهم بأن بذرة التشيع بدأت مع الإسلام أنه – كما يقول الدكتور النشار – « لم يكن بين يدى

---

(١) الشهرستانى الإمام أبى الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠ جـ ١ صفحة ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) الجرجانى ، السيد الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسينى الحنفى ، التعريفات طبعة مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ صفحة ١١٤ .

(٣) الإمام آل كاشف الغطاء ، محمد الحسين ، أصل الشيعة و أصولها ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة بمصر طبعة ١٩٨٢ ص ٤٣ .

(٤) الشيبى ، كامل مصطفى الصلة بين التصوف والتشيع ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩ صفحة ١٩ .

الرسول شيعة وسُنة ، وقد أعلن القرآن ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ، لا التشيع ، ولا التسنن ، وأتى الإسلام لكى يرفع الحجز بين الناس ، فلا هاشمى ولا قرشى ولا تيمى ولا غيره ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. فلم يكن هناك شيعة لا روحية ولا سياسية بين النبوة ، ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الإطلاق إبّان ذلك الوقت »[١] .

ويكاد علماء الشيعة يؤكدون على مقولتهم بأن التشيع ابتدأ مع بداية الإسلام ، فها هو السيد الزنجانى يقول فى كتابه عقائد الإمامية الاثنى عشرية .

(إن الدعوة إلى التشيع ابتدأتْ من اليوم الذى هتف فيه المنقذ – صلواتِ الله وسلامه عليه وآله – بكلمة : « لا إله إلا الله » فى شعاب مكة وجبالها ، فإنه لما نزل عليه قول الله تعالى : ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾ جمع رسول الله ﷺ بنى هاشم وأنذرهم وقال : « أيكم يؤازرنى ليكون أخى ، ووارثى ، ووزيرى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم بعدى ؟فلما لم يجبه إلى ما أراد غير أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، قال النبى ﷺ وآله وسلم : هذا أخى ووارثى ووزيرى ووصيى وخليفتى فيكم بعدى ، فاسمعوا وأطيعوا »[٢] .

والعالم الشيعى محمد جواد مغنية يذكر هذا الرأى فى كتابه الشيعة فى الميزان فيقول « إن النبى هو الذى بعث عقيدة التشيع وأوجدها ، ودعا إلى حب علىّ وولائه ، وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ، ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر »[٣] .

وهذا غلو ظاهر فى التشيع فلم يحدث قط أن رسول الله ﷺ هو الذى بعث عقيدة التشيع وأوجدها كما ادعى بعض علماء الشيعة ، فإنه أتى بالإسلام نقياً صافيا ولم يأت بعقائد الشيعة .

ويرى النوبختى الشيعى أن التشيع لعلى « حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ »[٤] .

---

(١) النشار ، على سامى ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ ١ طبعة دار المعارف بالقاهرة ط ٣ ١٩٦٦ صفحة ١٤ ، ١٥ .

(٢) الزنجانى ، السيد إبراهيم الموسوى ، عقائد الإمامية الاثنى عشرية مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٣ هـ ص ٢٧١ .

(٣) مغنية ، محمد جوادن ، الشيعة فى الميزان ، دار التعارف للمطبوعات بيروت ، ص ١٧ .

(٤) النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى ، فرق الشيعة جـ ١ النجف ١٩٣٦ ص ٢ .

وممن يرى هذا الرأى الأستاذ أحمد أمين الذى يقول فى فجر الإسلام « كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبى ﷺ إن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه ، وأولى أهل البيت العباس عم النبى ، وعلىّ ابن عمه ، وعلىّ أولى من العباس »[١] .

ويحاول بعض مؤرخى الشيعة أن يجدوا أى تبرير ليبرهنوا على صحة وجهة نظرهم فيقول اليعقوبى « إنه تخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين مالوا مع على بن أبى طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر الغفارى ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبىّ بن كعب »[٢] .

لكن التاريخ يؤكد لنا أنه لم يكن أحد من هؤلاء الصحابة أو غيرهم كان يعتقد بعقائد الشيعة ، وليس معنى أنهم كانوا يميلون إلى علىّ رضى الله عنه ، أنهم شيعة ، أو أنهم بذروا بذرة التشيع والفكر الشيعى فى الإسلام ، فالغلو فى هذا الرأى واضح لكل ذى لُبّ سليم .

وفى رأينا أن الشيعة كمصطلح لم يظهر إلاّ بعد استشهاد الحسين بن على رضى الله عنهما .

يقول المسعودى « وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين الحسين فلم يغيثوه ورأوا أنهم أخطئوا بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه ، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه »[٣] فشعورهم بالندم والأسى لخذلانهم سبطا رسول الله ﷺ جعلهم يغالون فى حبهم لآل البيت ، ويتعاطفون معهم ويضعون أسس تشيعهم ، ويكونون أصل مبدئهم القائم على اعتبارهم أن الإمامة أصل من أصول الدين فنص الرسول ﷺ — عندهم — على إمامة علىّ ، ولا تخرج الإمامة من أولاده . إننا نميل بقوة إلى أن مقتل الحسين — رضى الله عنه — هو الذى أذكى عاطفة الشيعة بقوة نحو أبناء فاطمة الزهراء والتشيع لهم .

---

(١) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة ١٩٦٥ ص ٢٦٦ .

(٢) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبى دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٠هـ–١٩٧٠ م جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٣) المسعودى ، أبى الحسن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ ٢ صفحة ١١٠ .

# المبحث الأول
# فى مسألة الإمامة

**الإمامة – تعريفها اللغوى والاصطلاحى :**

يقول ابن منظور فى لسان العرب « الإمام كلُّ من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين .. والجمع : أئمة ، وإمام كل شىء قيّمه والمصلح له ، والقرآن إمام المسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرعية »[1] .

ويقول صاحب القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادى الإمامة فى اللغة : مصدر من الفِعل « أمّ » تقول أمهم وأمّ بهم : تقدمهم ، وهى الإمامة ، والإمام : كل ما ائتم به من رئيس أو غيره »[2] .

ومن ناحية الاصطلاح فقد عرفها ابن خلدون فى مقدمته بأنها حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به »[3] .

ويقول الإمام الماوردى « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به »[4] .

**الخلافة .. والإمامة :**

هناك تقارب وترادف بين لفظى الخلافة والإمامة فمعناها واحد وقد سميت الخلافة خلافة « لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى ﷺ فى إدارة

---

(١) ابن منظور « جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم » : لسان العرب مادة أم ٢٤/١٢ . نشر دار صادر ودار بيروت ط ١٣٨٨ هـ .

(٢) الفيروز آبادى « مجد الدين محمد بن يعقوب » : القاموس المحيط تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، ٧٨/٤ . نشر دار الجيل بيروت . بدون تاريخ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٠ . طبعة دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .

(٤) الماوردى « على بن محمد » : الأحكام السلطانية ص ٥ . طبعة الحلبى القاهرة ١٣٩٣ هـ .

شئون المسلمين ، وتسمى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إمامًا ، ولأن طاعته واجبة ، ولأن الناس يسيرون وراءه كما يصلون وراء مَنْ يَؤمهم للصلاة »[١] .

وفى القرآن الكريم نجد لفظ إمام وأئمة .. قال تعالى : ﴿قال إنى جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريّتى قال لا ينال عهدى الظالمين﴾ (البقرة : ١٢٤) .

وقال عز من قائل : ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ (الأنبياء : ٧٣) .

وقال أيضًا : ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ (القصص : ٤١) أى من سار على نهجهم ودربهم فهو معهم فى النار يوم الدين .

والحقيقة أن الصحابة والتابعين لم يفرقوا أبدًا بين لفظ خليفة وإمام ، وعلى ذلك فإن كثيرًا من العلماء رادفوا بين اللفظين . يقول العلامة ابن خلدون : « وإذا قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام »[٢] . ومنذ ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه استخدمت الرعية لفظ أمير المؤمنين » . ولهذا يقول الإمام النووى رحمه الله : « يجوز أن يقال للإمام : الخليفة والإمام وأمير المؤمنين »[٣] .

وروى أن لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم رضى الله عنهما لما قَدِما إلى المدينة ، قالا لعمرو بن العاص : استأذن لنا أمير المؤمنين ، فقال : أنتما والله أصبتما اسمه ، فهو الأمير ونحن المؤمنون ، فدخل عمرو على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر ما هذا ؟ فقال : أنت الأمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب من يومئذ »[٤] .

وإننا نتفق مع الرأى الذى يقول بالترادف بين ألفاظ : الإمام والخليفة وأمير المؤمنين ، ولا نتفق مع رأى الشيعة الذين يحاولون دائمًا التفريق بين الإمامة والخلافة لأن الخلافة عندهم سلطة زمنية والإمامة سلطة دينية ، وزمنية ، بل ركن من أركان الدين الإسلامى .

يقول الزنجانى فى كتابه « عقائد الإمامية الاثنى عشرية » : « تعتقد الشيعة الإمامية

---

(١) أبو زهرة ، الشيخ محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية ٢١/١ طبعة دار الفكر العربى القاهرة .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٠ طبعة دار الباز بمكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .

(٣) النووى ، يحيى بن شرف الدين : روضة الطالبين ٤٩/١٠ نشر المكتب الإسلامى بيروت .

(٤) رواه الطبرانى والهيثمى عنه فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦١/٩ رجاله رجال الصحيح - ط . ٢ ، ١٤٠٢ هـ دار الكتاب العربى بيروت .

الاثنى عشرية أن الإمامة رئاسة فى الدين والدنيا ، ومنصب إلهى يختاره الله تعالى بسابق علمه ، ويأمر النبى ﷺ بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه »[1] .

فالإمامة عند الشيعة أصل من أصول الدين ومنصب إلهى يتولى فيه الإمام رئاسة الدين ورئاسة الدنيا معًا ، والإمام عندهم مختار من الله ولا دخل للناس فى اختياره ومن هنا وجبت عندهم طاعته .

## الإمامة .. والخلافة عند أهل السنة والجماعة :

يخالف الشيعة الإمامية أهل السنّة والجماعة فى مسألة الإمامة والخلافة ، ذلك أن الإمامة والخلافة عند جمهور المسلمين ليست من أركان الدين الإسلامى بل هى من الواجبات .

يقول الإمام ابن تيمية : « إن الخلافة والإمامة » من الأمور الواجب على المسلمين إقامتها ديانة فلا تبرأ ذِمّتهم إلا إذا قام على مجتمعهم خليفة أو حاكم ... ويجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين إلا بها ، فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا باجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد عند رأس حتى قال ﷺ : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمّروا واحدًا » [2] . وروى الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله ابن عمر : « لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم » .

فأوجب رسول الله ﷺ تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر تنبيهًا على سائر أنواع الاجتماع ... فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله . فإن التقريب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات »[3] . فالإمامة والخلافة عند أهل السنة والجماعة من الواجبات وليست أصلاً من أصول الدين أو ركنًا من أركانه كما يدعى الشيعة .

## مسألة وجوب الإمامة :

هناك إجماع بين المسلمين وعلمائهم وفقهائهم على وجوب نصب الإمام عدا رأى شاذ لفرق النجدات من الخوارج ، وقولٍ لهشام بن عمر الفوطى البصرى من الطبقة السادسة من المعتزلة وأبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم وهو أيضًا من الطبقة السادسة

---

(١) الزنجانى ، السيد إبراهيم الموسوى : عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، ص ٧٢ .
(٢) أبو داود : سنن ٣٦/٢ ، رواه أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة .
(٣) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص ١٨٥ ، ١٨٦ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

من المعتزلة قال الإمام القرطبى : « ولا خلاف فى وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة ، إلا ما رُوِى عن الأصم ، حيث كان عن الشريعة أصم . وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه »[1] .

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسى : « اتفق جميع أهل السنّة وجميع المرجئة ، وجميع الشيعة ، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل ، يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها – رسول الله ﷺ – حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة ، وإنا عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم »[2] .

من ذلك نعلم أن علماء المسلمين يجمعون على وجوب الإمامة ليقيم العدل بين الناس ويحكم بينهم بكتاب الله وسنته . ولم يخالف جماعة المسلمين إلا بعض شذاذ الآراء والمواقف كالأصم والفوطى من المعتزلة والنجدات من الخوارج . وهذا رأى لا يؤبه به ولا يحسب على الاتجاه العام لدى المسلمين وفقهائهم وعلمائهم .

## الأدلة من القرآن الكريم والسُّنة على وجوب الإمامة :

يقول الله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾[3] . والمقصود بأولى الأمر هم الحكام والأمراء وأئمة المسلمين ، وإن الأمر بطاعة أولى الأمر لدليل واضح على وجوب وجود الأئمة ونصبهم فالله سبحانه وتعالى لا يأمر بطاعة أناس لا وجود لهم . وهذا يعنى دليلاً على وجوب وجود الأئمة .

ثم إن سائر آيات الحدود والقصاص وغيرها من آيات الأحكام تستلزم وجود إمام حاكم يستطيع تنفيذ حدود الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

يقول الأستاذ عبد الله الدميجى : « الواقع أن جميع الآيات القرآنية التى نزلتْ بتشريع حكم من الأحكام التى تتعلق بموضوع الإمامة وشئونها جاءت على أساس أن قيام الإمامة الشرعية والقيادة العامة فى المجتمع الشرعى شىء مفروغ من إثباته ولا نقاش فى لزومه ،

---

(١) القرطبى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى : الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/١ طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧ .

(٢) ابن حزم الأندلسى ، أبى محمد على بن أحمد : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٨٧/٤ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٥ هـ .

(٣) النساء : ٥٩ .

ذلك لأن الأحكام المشار إليها من الأمور التى يتوقف امتثالها وتنفيذها على وجود الإمام لأنها من مسئولياته ووظائفه ، فتشريع مثل هذه الأحكام يلزمه مسبقًا المفروغية من تشريع حكم لزوم الإمامة وقيام الدولة الإسلامية فى المجتمع المسلم ، وهذا ينهينا إلى أن لزوم الإمامة وإقامة الدولة فى المجتمع الإسلامى من بديهيات وضروريات الشريعة الإسلامية »[(١)] .

ومن أدلة السُّنَّة على وجوب نصب الإمام الحديث الذى رواه مسلم فى كتاب الإمارة « من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » [(٢)] ومن المعلوم أن البيعة لا تكون إلا لإمام ، ولذا فإن نصب الإمام واجب . والله سبحانه وتعالى يأمرنا بقوله : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[(٣)] .

وبعد فقد أجمع الصحابة والتابعون من بعدهم على وجوب الإمامة . يقول العلامة ابن خلدون : « نصب الإمام واجب ، وقد عرف وجوبه فى الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، وتسليم النظر إليه فى أمورهم ، وكذا فى كل عصر من الأعصار ، واستقر ذلك إجماعًا دالاً على وجوب نصب الإمام »[(٤)] .

وقال الإمام الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية « وعقدها – يقصد الإمامة – لمن يقوم بها واجب بالإجماع ، وإن شذّ عنهم الأصم »[(٥)] .

هذا ولقد دلت الظروف وتجارب الأمم والشعوب والناس أنه لابد من إمام يقود الناس ويحميهم ويدفع عنهم غائلة الأيام فكانت الإمامة واجبة لدفع الأضرار عن الناس يقول أبو حامد الغزالى : « إن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع ، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة ، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهرج وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواشى

---

(١) الدميجى ، عبد الله بن عمر بن سليمان : الإمامة العظمى عند أهل السُّنّة والجماعة ، نشر دار طيّبة للنشر الرياض ط . ثانية ١٤٠٩ هـ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة باب « وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء » حديث رقم ١٨٥١ ١٤٧٨/٣ . ترقيم وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية مصطفى البابى الحلبى ١٣٧٤ هـ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة : دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة ١٣٩٨ .

(٥) الماوردى ، القاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى : الأحكام السلطانية ص ٥ تحقيق محمد حامد الفقى نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٣٨٦ هـ .

وتعطلت الصناعات وكان كل من غلب سلب ، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقى حيا ، والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف .. فبان أن السلطان ضرورى فى نظام الدين ونظام الدنيا ونظام الدنيا ضرورى فى نظام الدين ، ونظام الدين ضرورى فى الفوز بسعادة الآخرة ، وهو مقصود الأنبياء قطعًا ، فكان وجوب الإمام من ضروريات الشرع الذى لا سبيل إلى تركه »[1] .

ولهذا فإن الإمامة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع ولم يشذ عن ذلك الرأى إلا كل صاحب رأى شاذ ومعتقد غريب عن الفكر الإسلامى الصحيح .

* * *

(١) الغزالى ، الاقتصاد فى الاعتقاد ، طبعة مصر ١٣٩٣ .

## الإمامة أصل من أصول الدين
## وركن من أركانه عند الشيعة

الإمامة عند الشيعة أصل من أصول الدين فلا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بالإمامة ، بل إنّ إنكار الإمامة عندهم شرّ من إنكار النبوة .

يقول عالمهم الحِلِّيّ : « الإمامة لطف عام ، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبيّ حيى بخلاف الإمام .. وإن إنكار اللطف العام شرّ من إنكار اللطف الخاص » !(١) .

والأئمة عند الشيعة هم أبواب الله والأدلاء عليه والشهداء على الناس ، فطاعتهم طاعة لله ، وأمرهم أمره ، ونهيهم نهيه ، وعصيانهم عصيان له تعالى ، فيجب الائتمار بأمرهم والتسليم لقولهم وفعلهم فهم الطريق إلى الله ولهذا يجب ألا يخلو عصر من الأعصر من إمام يهدى الناس ويخل النبى ﷺ فى سائر وظائفه فالإمامة إستمرار للنبوة وذكر المجلسى أن علامتهم المفيد قال : « اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار »(٢) .

ويعتبر الشيعة كما قلنا أن الإمامة منصب إلهى فإن الله يأمر نبيه ليدل على الإمام ويأمرهم باتباعه على ما يقولون ، يقول الزنجانى أحد كبار علمائهم « تعتقد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن الإمامة رئاسة فى الدين والدنيا ، ومنصب إلهى يختاره الله تعالى بسابق علمه ، ويأمر النبى ﷺ - بأن يدل الأمة عليه ، ويأمرهم باتباعه .

والإمام حافظ الدين وتعاليمه من التغيير والتحريف ، وحيث أن الإسلام دين عام خالد كلف به جميع عناصر البشر ، وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقاءه إلى آخر الدنيا فلابد أن ينصب الله إمامًا لحفظه فى كل عصر وزمان ، لكى لا يتوجه نقض المستحيل على الحكيم - تعالى - ومن أجله أمر الله نبيه بأن ينص على علىّ - رضى الله عنه -

---

(١) الحلىّ : الحسن بن يوسف بن المطهر : الألفين فى إمامة أمير المؤمنين ٣/١ ، تعليق محمد حسين المظفر المطبعة الحيدرية فى النجف سنة ١٣٧٢هـ .

(٢) المجلسى ، المولى محمد باقر : بحار الأنوار ٢٣/٢٧٠ نشر دار الكتب الإسلامية - ظهران سنة ١٣٨٥هـ .

بقوله : ﴿يأيها الرسول بَلغ ما أُنزلَ إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ ثم أحد عشر إمامًا من ولد عليّ ، ظاهرا مشهورا ، أو غائبًا مستورًا ، وهذه سُنَّة الله فى جميع الأزمان ، فى جميع الأنبياء ، من لدن آدم – إلى الخاتم – صلى الله عليهم أجمعين »[١] .

ويجمع الشيعة على هذا المبدأ ، وهو أن الإمامة ركن من أركان الدين ، وهذا بخاريهم الكلينى فى الكافى يروى بسنده عن أبى جعفر قال : « بُنى الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه – يعنى الولاية »[٢] .

وهذا الحديث عندهم موثق صحيح . وذلك كذب واضح على رسول الله ﷺ فهم يعتبرون الولاية أى إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه وبقية الأئمة الاثنى عشر ركن الإسلام الخامس . وأكثر من ذلك قول أبى جعفر : « ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية » مع أن أحدًا من الصحابة أو التابعين لم يرد عنه مثل هذا الإفك والافتراء على أبى جعفر وعلى رسول الله ﷺ .

بل إن الشيعة تعتبر أن الولاية أفضل أركان الإسلام الخمسة فيروى الكلينى فى « كافيهم »[٣] أو « كافية » عن زرارة عن أبى جعفر قال : « بنى الإسلام على خمسة أشياء ، على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ، قال زرارة وأى شىء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل »[٤] . وهذا الحديث عندهم درجته درجة الصحيح . ومعنى ذلك الحديث أن ولاية الاثنى عشر أفضل عند الله من الصلاة والزكاة والصوم والحج . وهذا ما لم يقل به مسلم خالص الإسلام لله تعالى .

وقال المجلسى فى كتابه (بحار الأنوار) : « وقد وردت أخبار متواترة أنه لا يقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية »[٥] .

وهذا كلام عجيب فهل مسألة ولاية علىّ وباقى الأئمة الاثنى عشر أهم من الإيمان بالله تعالى ورسول الله ﷺ . فكيف لا يقبل عمل من أعمال المؤمنين إلا بولاية أئمة

---

(١) الزنجانى ، السيد إبراهيم الموسوى : عقائد الإمامية الاثنى عشرية ص ٧٢ .
(٢) الكلينى : « الكافى » ، كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائم الإسلام : ١٨/٢ ، رقم ٣ .
(٣) أى « الكافى » وأقصد كافى الشيعة .
(٤) الكلينى : « الكافى » كتاب الإيمان والكفر ، باب دعائم الإسلام ١٨/٢ .
(٥) المجلسى ، محمد باقر : بحار الأنوار ٣٦٩/٨ . دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٧هـ .

الشيعة ، لو كان هذا صحيحا لعلمه الصحابة والتابعون ولأُثِرَ عنهم ذلك . لكن لم يعرف عن الثقات العدول مثل هذا القول على الإطلاق ، وكيف يقول مؤمن عاقل بأن الإيمان بولاية عليّ وأئمة الشيعة الاثنى عشرية أهم من الإيمان بالله ورسوله ﷺ .

وفي الحديث الذى أشرت إليه « .. قال زرارة : فقلت : وأى شىء أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل . لأنها مفتاحهن .. والوالى هو الدليل عليهن ، قلت : ثم الذى يلى ذلك فى الفضل ؟ فقال : الصلاة عمود دينكم » (١)

هكذا .. فإن الشيعة يؤكدون على أن الولاية أى الإمامة أفضل من أركان الإسلام الأخرى . مع أن رسول الله ﷺ لم يذكر الإمامة لا فى أركان الإسلام أو الإيمان أو الإحسان طبقاً لحديث جبريل حينما أتى رسول الله ﷺ فى صورة أعرابى وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وهو حديث متفق عليه .

فرسول الله ﷺ لم يشترط في الإيمان معرفة الإمام .

ومع ذلك فإن صاحب الكافى وهو بخارى الشيعة يذكر حديثًا بإسناده عن أبى جعفر عليه السلام .. قال : « مَنْ مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وكان رسول الله ﷺ وكان عليًا عليه السلام »(٢) . وهذا كذب آخر على رسول الله ﷺ .

فالحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه يخالف هذا المعنى تمامًا فقد روى عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر « الحرّة » ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة . فقال : إنى لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله ﷺ يقوله . سمعته يقول : من خلع يدًا من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية »(٣) وهذا الحديث فى صحيح مسلم تحت باب وجوب جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وأنه لا يجوز مخالفة الأمراء والخروج عليهم بالسيف فإن يزيد بن معاوية مع شدته وقسوته مع أهل الحرّة ، لكن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما نصح عبد الله بن مطيع بن الأسود بألا يخلع يده من طاعته وبيعته لأن « من خلع يدًا من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة ، مات ميتة

(١) الكلينى : الكافى كتاب الإيمان والكفر حديث رقم ١٨/٥ .
(٢) الكلينى : الكافى ١٧/٢ حديث رقم ٢ بإسناده عن أبى جعفر .
(٣) صحيح مسلم : جـ ٣/ حدث رقم ١٤٧٨ .

جاهلية » . وفرق شاسع بين حديث مسلم ، وحديث الكليني « من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وكان رسول الله ﷺ ، وكان عليًّا عليه السلام » . ويقصد أن من مات منكرًا لإمامة عليّ رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ مات ميتة جاهلية . أى كافرًا .

يقول الإمام الشيعى الطوسى في تلخيص الشافى : « دَفعُ الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حدٍّ واحد »(١) .

ويرد الإمام ابن تيمية على زعم الشيعة بأن الإمامة ركن الدين بقوله : « إن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وهذا هو الذى قاتل عليه الرسول ﷺ الكفار اولا ، كما استفاض عنه فى الصحاح وغيرها أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله » . وفى رواية « ويقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها »(٢) .

ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال ، ولا نقل هذا عن رسول الله ﷺ أحد من أهل العلم : لا نقلا خاصا ولا عامًا . بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول فى دينه الإمامة لا مطلقًا ، ولا معينًا ، فكيف تكون أهم المطالب فى أحكام الدين »(٣) .

**الإمامة والنبوة عند الشيعة الاثنى عشرية :**

نذكر دائما أن الشيعة يؤكدون على أن الإمامة ركن من أركان الدين الإسلامى ، وأنها منصب إلهى من اختيار الله سبحانه وتعالى ، فكما يختار سبحانه وتعالى رسله فإنه يختار للإمامة من يشاء وينصبه إماما للناس(٤) .

يقول أحد علماء الشيعة محمد الحسين كاشف الغطاء فى كتابه أصل الشيعة وأصولها :

---

(١) الطوسى أبو جعفر محمد بن الحسن : تلخيص الشافى : تعليق حسين بحر العلوم ، دار الكتب الإسلامية قم ط ٣ ، ١٣٩٤هـ ، ١٣١/٤ .

(٢) الحديث رواه البخارى ١٠/١ كتاب الإيمان ، باب « فإن تابوا وأقاموا الصلاة » .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة : ٧٥/١ ، ٧٧ باختصار .

(٤) سنبين إن شاء الله قولهم بعصمة أئمتهم عن المعاصى وعن الخطأ والنسيان واعتقادهم بإحاطة الإمام بعلم كل شىء .

« إن الإمامة منصب إلهى كالنبوة فكما أن الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه »(١) .

فالإمامة عندهم استمرار للنبوة ، ولهذا فإن للإمام الشيعى حق التشريع لأنه معين ومنصوص عليه من قبل الله تعالى ، فالإمامة امتداد للنبوة ومن هنا وجبت طاعة أئمة الشيعة فيما يأمرون به ، والانتهاء عن كل ما ينهون عنه ، ومنزلة الإمام عندهم كمنزلة النبى .

يقول عالمهم محمد رضا المظفر فى كتابه عقائد الإمامية « نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى فلابد أن يكون فى كل عصر إمام هادٍ يخلف النبى فى وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه من الصلاح والسعادة فى النشأتين وله ما للنبى من الولاية العامة على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم .. ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى سواء أبى البشر أم لم يأبوا وسواء ناصروه أم لم يناصروه ، وأطاعوه أم لم يطيعوه سواء كان حاضرًا أم غائبًا عن أعين الناس »(٢) .

فالإمامة ليست باختيار الناس وإنما باختيار الله تعالى فكما يختار رسله يختار أئمته ، والدليل الذى يوجب إرسال رسله هو نفسه يوجب كذلك اختيار ونصب الأئمة بعد الرسول ﷺ .

وإذا كانت الإمامة عند الشيعة منصب إلهى كالنبوة فما هو الفرق عندهم بين الرسول والنبى والإمام ؟ يجيب الكلينى فيذكر عن إمامهم الإمام الرضا : « الفرق بين الرسول والنبى والإمام : أن الرسول الذى ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى ، وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص »(٣) وفى الشافى شرح أصول الكافى « الحديث صحيح إسناده »(٤) .

ومعنى ذلك أن الوحى يصل إلى الإمام كالرسول والنبى مع اختلاف فى الوسيلة ،

---

(١) كاشف الغطاء ، « أصل الشيعة وأصولها » ، صفحة ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ص ٤٩ ، ٥٠ ، دار الغدير للطباعة ١٣٩٣ هـ .
(٣) الكلينى : الكافى : ١٧٦/١ .
(٤) الشافى شرح أصول الكافى : ٢٩/٣ .

وإن كان هناك بعض علماء الشيعة لا يجدون فرقًا فى الوسيلة فإن فى قدرة الإمام رؤية الملك كالرسول والنبى .

فينقل عالمهم المجلسى عن الصادق أنه قال : « إن الملائكة لتنزل علينا فى رحالنا وتتقلب على فرشنا ، وتحضر موائدنا وتأتينا فى وقت كل صلاة لتصليها معنا »(١) .

ومعنى ذلك أنه ليس هناك فرق بين الإمامة والنبوة . بل إن المجلسى يشير إلى ذلك حين يقول : « ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة – أى الأئمة – إلا رعاية خاتم الأنبياء ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامية »(٢) . بل إن درجة الأئمة أحيانًا تفوق درجة الأنبياء حتى أن الأنبياء استشفعوا بهم فَشفّعوا فيروى المجلسى عن على بن الحسن عن فضال عن أبيه عن الرضا (ع) قال : « لما أشرف نوح « ع » على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق ، ولما رمى إبراهيم فى النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردًا وسلاما . وإن موسى « ع » لما ضرب طريقا فى البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسًا ، وإن عيسى « ع » لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجى من القتل فرفعه إليه »(٣) .

ويصف الدكتور السالوس أئمة الشيعة الاثنى عشرية بأنهم « هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم وهم الشهداء على الناس ، وأبواب الله ، والسبل إليه والأدلاء عليه . فأمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه . وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليّه ، وعدوهم عدوّه، ولا يجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على الرسول ، والرد على الرسول كالرد على الله تعالى ، فيجب التسليم لهم ، والانقياد لأمرهم ، والأخذ بقولهم . ولذا فإن الجعفرية (الشيعة الاثنى عشرية) يعتقدون أن الأحكام الشرعية الإلهية لاتستقى إلا من نمير أئمتهم ، ولا يصح أخذها إلا منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولايطمئن بينه وبين الله تعالى إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم .. وحكمها فى ذلك حكم النبوة بلا فرق ، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديًا ومرشدًا لعامة البشر ، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أوانتخابه »(٤) .

---

(١) المجلسى : بحار الأنوار : ٣٥٦/٦ .

(٢) المجلسى : بحار الأنوار : ٢٦/ ٢٨ .

(٣) المجلسى : بحار الأنوار ٢٦/ ٣٢٥ .

(٤) د/ السالوس ، على : « أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله » دار وهدان للطباعة والنشر القاهرة ص٣٢ ، ط ثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م .

الإمامة لطف فى الدين عند الشيعة الاثنى عشرية :

يقول الشريف المرتضى على الموسوى الشيعى فى كتابه الشافى فى الإمامة « الإمامة عندنا لطف فى الدين ، والذى يدل على ذلك أنا وجدنا أن الناس متى خلوًا من الرؤساء ومن يفزعون إليه فى تدبيرهم وسياستهم اضطربتْ أحوالهم ، وتكدرت عيشتهم وفشا فيهم فعل القبيح ، وظهر منهم الظلم والبغى ، وأنهم متى كان لهم رئيس أو رؤساء يرجعون إليهم فى أمورهم كانوا إلى الصلاح أقرب ، ومن الفساد أبعد ، وهذا أمر يعم كل قبيل وبلدة وكل زمان وحال ، فقد ثبت أن وجود الرؤساء لطفٌ بحسب ما نذهب إليه »[١] .

وبالطبع فإنه يقصد بقوله بأن الإمامة لطف فى الدين أى أنها لطف من الله تعالى واجب عليه .

والحقيقة أن دليل الشيعة وقولهم بأن اللطف على الله تعالى واجب ، ووجود الإمام فى كل زمان لطف من الله تعالى بعباده إنما هو دليل فاسد لا أساس له من الصحة لأن الله سبحانه وتعالى لا يجب شىء عليه تعالى الله عز وجل عن وجوب شىء عليه علوا كبيرًا .

كذلك قوله بأن العقل دل على أنه يجب على الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو الأصلح له ولا يتم ذلك إلا بنصب الإمام فهذا دليل باطل اساسا لأنه كما أشرنا من قبل فإنه لا يجب على الله شىء مثل فعل اللطف والأصلح للناس . فهو الله سبحانه وتعالى عما يصفون . فإن من سوء الأدب مع الله تعالى أن يقول الإنسان يجب على الله فعل الأصلح أو أن اللطف واجب عليه . فالله سبحانه وتعالى ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[٢] . لأن الله سبحانه وتعالى ﴿يفعل ما يشاء﴾[٣] .

الحقيقة أن هذا الأسلوب فيه جفاء مع الله ﴿ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز﴾[٤] .

---

(١) الموسوى ، الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى . الشافى فى الإمامة ، جـ١ تحقيق السيد عبد الزهراء الحسينى الخطيب ، زاجعه السيد فاضل الميلانى ، نشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشرطهران إيران ١٣١٠هـ .

(٢) الأنبياء : ٢٣ .

(٣) إبراهيم : ٢٧ .

(٤) الحج : ٧٤ .

وقول أحد أئمة الشيعة وهو الطوسى « وإنما يجب على الله خلق الإمام ، وإيجابه علينا طاعته ليتمكن من التصرف »[١] قول فيه سوء أدب واضح مع الله سبحانه وتعالى الذى لا يجب عليه شىء أبدًا كما أشرنا من قبل .

ويردد الشيعة دائما قولا معروفا هو أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماما معصومًا ليكون لطفًا ومصلحة فى التكليف – ومن المعروف أنه لم يوجد من بينهم حتى الآن وإلى أن يرث الأرض ومن عليها – إمام معصوم جاء معه لطف أو مصلحة فى التكليف ، وهاهم الشيعة الاثنى عشرية ينتظرون منذ أكثر من ألف عام إمامهم المنتظر ، الذى لم ينتفع به القوم ولا حصل باعتقادهم به لطف لهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ولقد أكد القرآن الكريم على أنه لا معصوم سوى رسول الله ﷺ حين قال الله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فَرُدُّوه إلى الله والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا﴾[٢] .

فعند التنازع أمرنا سبحانه وتعالى بالرّد إلى الرسول ﷺ الذى يحصل باتباعه كل مصلحة ولطف . أما هذا المنتظر المفقود الغائب أو أجداده الذين سبقوه فى الإمامة فلم يحصل بهم مصلحة أو لطف .

* * *

(١) الطوسى ، محمد بن الحسن : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، منشورات جمعية منتدى النشر ، النجف الأشرف ، طبعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢) النساء : ٥٩ .

# المبحث الثانى
## غلو الشيعة فى الإمام علىّ وأئمتهم

يروى الشيعة فى كتبهم مئات الأحاديث الموضوعة فى أفضلية علىّ فيروى شيخهم « المفيد » فى « الأمالى » عن أبى إسحق عن أبيه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس فى جماعة من أصحابه ، إذ أقبلَ علىّ بن أبى طالب عليه السلام نحوه ، فقال رسول الله ﷺ من أراد أن ينظر إلى آدم فى خلقه ، وإلى نوح فى حكمته وإلى إبراهيم فى حلمه فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب »[1] .

وروى الكلينى فى كافيهم وصحيحهم تحت باب « أن الأرض كلها للإمام » عن أبى عبد الله أنه قال : « إن الدنيا كلها للإمام » عن أبى عبد الله أنه قال : « إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء »[2] .

وروى الكلينى أيضًا فى صحيحه عن عبد الرحمن بن كثير عن جعفر بن الباقر أنه قال : « نحن ولاة أمر الله ، وخزنة عِلم الله »[3] .

وذكر الكلينى أيضًا فى « كافيه » قال : كان المفضل عند أبى عبد الله فقال له : جعلت فداك ، أيفرض الله طاعة عبد على العباد ، ويحجب عنه خبر السماء ؟ فقال له أبو عبد الله : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده ، من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحًا ومساءً[4] .

وهذا يعنى أن أئمة الشيعة فرض الله على المسلمين طاعتهم ، وأنهم يتساوون مع الأنبياء المرسلين سواء بسواء فهم على ما يقول إمامهم أبو عبد الله يوحى إليهم ويتلقون خبر السماء صباحًا ومساءً دون أى حجاب ، وهذا غلو كبير فى أئمتهم .

---

(١) الشيخ المفيد ، « الأمالى » ، المجلس الثانى ص ١٥ ، ١٦ طبعة النجف .
(٢) الكلينى ، « الكافى فى الأصول » ٤٠٩/١ ، ط . إيران .
(٣) مرجع سابق ص ١٩٣ .
(٤) الكلينى ، « الكافى » فى الأصول ، كتاب الحجة ص ٢٢٨ .

ويروى الكليني في أصول الكافي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال :

« ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها » . وعن الإمام موسى ابن جعفر الصادق أنه قال : « ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوةِ محمد ﷺ ووصية عليّ رضي الله عنه »[١] .

(١) الكليني : أصول الكافي ص ٢٧٦

## غلو الشيعة فى مسألة تكفير من جحد إمامة أمير المؤمنين وبقية الأئمة الاثنى عشر من بعده

يقول ابن بابويه القمى فى الاعتقادات :

« اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء .

واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة مَنْ آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد ﷺ . وقال النبى صلى الله عليه وآله : « الأئمة من بعدى اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب وآخرهم القائم ، طاعتهم طاعتى ومعصيتهم معصيتى فمن أنكر واحدًا منهم فقد أنكرنى »[1] .

وهذا حديث موضوع لا أساس له من الصحة وافتراء على رسول الله ﷺ كعهدنا دائمًا بوضاع الحديث من أئمة الشيعة ومراجعهم وعلمائهم .

---

(١) المجلسى ، محمد باقر : بحار الأنوار : ٦٢/٢٧ .. ويرى الرافضة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن الأئمة من بعده اثنا عشر نص عليهم بأسمائهم ثم نص المتقدم منهم على من يخلفه من بعده وهم :

١ – علىّ بن أبى طالب (المرتضى) ١٠ قبل الهجرة : ٤٠ هـ

٢ – الحسن بن علىّ (الزكى) ٣ : ٥٠ هـ

٣ – الحسين بن علىّ (سيد الشهداء) ٤ : ٦١ هـ

٤ – علىّ بن الحسين (زين العابدين) ٣٨ : ٩٥ هـ

٥ – محمد بن علىّ بن الحسين (الباقر) ٥٧ – ١١٤ هـ

٦ – جعفر بن محمد بن علىّ (الصادق) ٨٣ – ١٤٨ هـ

٧ – موسى بن جعفر بن محمد (الكاظم) ١٢٨ – ١٨٣ هـ

٨ – علىّ بن موسى (الرضا) ١٤٨ – ٢٠٣ هـ

٩ – محمد بن علىّ بن موسى (الجواد) ١٩٥ – ٢٢٠ هـ

١٠ – علىّ بن محمد بن علىّ (الهادى) ٢١٢ – ٢٥٤ هـ

١١ – الحسن بن علىّ بن محمد (العسكرى) ٢٣٢ – ٢٦٠ هـ

١٢ – محمد بن الحسن بن علىّ (المهدى الغائب) ٢٥٦ – قيل غاب سنة ٢٦٠ هـ :

ويقولون إنه سيظل حيًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حتى لا تخلو الأرض من حجة

ويقول شيخهم المفيد « اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار »[١] .

والشيعة يعتبرون الأئمة الثلاثة خلفاء رسول الله ﷺ أصحابه والذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة يعتبرونهم كفارًا ، وذلك فى رأيهم لأنهم اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

يقول الإمام الشيعى المجلسى « إنهم - أى الثلاثة - لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين لعنة الله عليهم وعلى مَنْ اتبعهم فى ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين »[٢] .

إن كتاب المجلسى « بحار الأنوار » يعتبر عمدة من عمد الشيعة فى الحديث النبوى الشريف ، ومرجعًا يستقى منه الشيعة حديث رسول الله ﷺ ، ولهذا ليس عجبًا أن يعتبر الشيعة سائر الأئمة والحكام غير الأئمة الاثنى عشر حكامًا جائرين مغتصبين الولاية التى نص رسول الله ﷺ على أصحابها الأئمة الاثنى عشر .

ولذلك فإن مصير كل الحكام والخلفاء والأئمة غير الاثنى عشر النار .

يقول الكلينى فى الكافى « عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : « لأعذبن كل رعية فى الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله[٣] ، وإن كانت الرعية فى أعمالها برّة تقية ، ولأعفون عن كل رعية فى الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية فى أنفسها ظالمة مسيئة »[٤] .

وهكذا نص الشيعة فى كتبهم المعتمدة والمعتبرة عندهم على كفر الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الحكام غير الشيعة .

والشيعة يؤكدون دائمًا على أن من رأى للشيخين العظيمين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الإسلام نصيبًا فسيعذب عذابًا شديدًا يوم القيامة .

فقد روى الكلينى عن أبى عبد الله قال : ( ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

---

(١) المجلسى : بحار الأنوار : ٣٦٦/٨ .
(٢) المجلسى : بحار الأنوار : ١١٠/٢٥ .
(٣) الشيعة يقولون بالنص الإلهى على أئمتهم الاثنى عشر .
(٤) الكلينى : الكافى : ٣٧٦/١ .

ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من ادّعى إمامة من الله ليست له ، ومن جحد إمامًا من الله ، ومن زعم أن لهما – أى الشيخين العظيمين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما – فى الإسلام نصيبًا )(١) .

إن أهل الإمامة عند الشيعة هم أئمتهم الاثنا عشر فعن أبى عبد الله عليه السلام قال : « مَنْ ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر »(٢) .

إن الطعن فى الخليفتين العظيمين طعن فى الإسلام ذاته ، فقد نشرا الدين الحنيف فى الشرق والغرب ، وأعز الله تعالى الإسلام بهما إعزازًا كبيرًا ، فعلى كتفيهما وأكتاف الصحابة الأجلاء قامت دولة الإسلام الكبرى ، ومع ذلك فإن الشيعة يكفرون الصحابة إلا قلة قليلة منهم لا تتجاوز سبعة نفر .

يقول الشيخ محمد عرفه فى تصديره لكتاب الوشيعة لموسى جار الله (٣) « إننا إذا رجعنا إلى كتب العقائد عندهم وجدناها توافق الروايات التى قيلت [أى فى مسألة تكفير غير الشيعة] . وها نحن أولاء – نهرع إليها فننقل منها مذاهبهم فى أشد ما ذكرناه خطورة ، وهى الإمامة وما يتعلق بها من تكفير الصحابة والخلفاء الراشدين الثلاثة ، ومن تكفير المسلمين من يوم توفى النبى ﷺ إلى يومنا هذا ، لأنهم لم يقولوا بإمامة علىّ وإمامة الاثنى عشر . ننقله عن رئيس المحدّثين عندهم أبى جعفر الصدوق محمد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمى المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، صاحب كتاب « من لا يحضره الفقيه » أحد الكتب الأربعة التى يعتبرها الشيعة أصول مذهبهم فى رسالة الاعتقادات ، قال : قال النبى ﷺ : من جحد عليًّا إمامته بعدى فقد جحد نبوتى ، ومن جحد نبوتى فقد جحد الله ربوبيته .

وقال النبى ﷺ : « يا علىّ أنت المظلوم بعدى ، ومن ظلمك فقد ظلمنى ، ومن أنصفك فقد أنصفنى ، ومن جحدك فقد جحدنى » .

وقال الصادق – عليه السلام – : المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا .

وقال النبى ﷺ : « الأئمة من بعدى اثنا عشر : أولهم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب

---

(١) الكلينى : الكافى : ٣٧٣/١ .

(٢) المرجع السابق : ٣٧٢/١ .

(٣) موسى جار الله : الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ، التصدير للشيخ محمد عرفه عضو جماعة كبار علماء الأزهر ، طبع مطبعة الكيلانى بالقاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٠ – ١١ .

(عليه السلام) ، وآخرهم المهدى القائم ، طاعتهم طاعتى ومعصيتهم معصيتى ، من أنكر واحدًا منهم فقد أنكرنى » .

وقال الصادق : من شك فى كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر .

وقال فى « رسالة الاعتقاد » أيضًا : فى باب الاعتقادات فى الظالمين ص ١١١ : اعتقادنا فيهم أنهم ملعونون ، والبراءة منهم واجبة .

قال الله عز وجل : ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ . قال : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ، أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا ، وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ .

وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : إن سبيل الله فى هذه المواضع : علىّ بن أبى طالب والأئمة – عليهم السلام .

وفى كتاب الله عز وجل إمامان : إمام الهدى وإمام الضلالة ، قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ ، وقال : ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ .

فلما نزلت هذه الآية : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ قال النبى ﷺ : « من ظلم عليًّا مقعدى هذا بعد وفاتى فكأنما جحد نبوتى ونبوة الأنبياء من قبلى ، ومن تولى ظالمًا فهو ظالم » . قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ ، وقال عز وجل : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ ، وقال عز وجل : ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان﴾ ، وقال : ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ ، وقال : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ .

والظلم وضع الشيء فى غير موضعه . فمن ادعى الإمامة وهو غير إمام فهو الظالم الملعون ، ومن وضع الإمامة فى غير أهلها فهو ظالم ملعون .

والكلام فى الظلم وذم الظالمين سائغ مقبول ، ولكن الذى لا يسوغ ولا يقبل إدخال

الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين فى الظالمين ، بل إدخال الأمة كلها إلى يومنا هذا فيهم ، لأنها تدين بإمامة غير أهل البيت الذين فيهم الإمامة .

إن ما يردده علماء الشيعة فى مسألة تكفير من جحد إمامة علىّ رضى الله عنه وبقية الأئمة الاثنى عشر من بعده ، وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم رأى ظالم لا أساس له من الصحة كما سنبين إن شاء الله .

**الدليل على عدم النص على إمامة علىّ رضى الله عنه :**

يذكر صاحب نهج البلاغة وهو من أهم كتب الشيعة أنه لما أراد الناس بيعة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد استشهاد ذى النورين رضى الله عنه وقال الناس لعلىّ : « مُدّ يدك نبايعك على خلافتك فقال : دعونى والتمسوا غيرى ، وإن تركتمونى فأنا كأحدكم ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيرًا خير لكم منى أميرًا »[١] .

وهذا يعنى أنه لو كانت إمامة علىّ رضى الله عنه منصوص عليها من عند الله تعالى ما اعتذر أولاً هذا الاعتذار عن الإمامة ، وكذا تنازل الحسن بن علىّ رضى الله عنه عن الإمارة لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بل بايعه وفوض الأمر إليه .

وهذا يبين خطأ ما ذكره الكلينى فى باب فرض طاعة الأئمة من أصول الكافى حيث ذكر عن أبى الصباح قال : أشهد أنىٍّ سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : أشهدُ أنّ عليًّا إمام فرض الله طاعته وأن الحسن إمام فرض الله طاعته ، وأن الحسين إمام فرض الله طاعته ، وأن علىّ بن الحسين إمام فرض الله طاعته ، وأن محمد بن علىّ إمام فرض الله طاعته »[٢] .

**غلو الشيعة فى أئمتهم :**

لقد غالت بعض فرق الشيعة فى أئمتهم غلوًّا زائدًا وابتدعوا فى الدين ما لا أصل له ، فاعتبر الشيعة أن أئمتهم أفضل من الصحابة والتابعين بل غالى الإسماعيلية من الرافضة فى أئمتهم واعتقدوا فيهم الألوهية وتشبهوا بالنصارى بغلوهم فى عيسى عليه السلام .

يقول الإمام ابن تيمية « إن النصارى يزعمون أن الحواريين الذين اتبعوا المسيح أفضل

---

(١) نهج البلاغة : ١٨٣/١ .
(٢) الكلينى ، أصول الكافى ص ١٠٩ .

من إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ، ويزعمون أن الحواريين رسل شافههم الله بالخطاب ، لأنهم يقولون : إن الله هو المسيح ، ويقولون أيضًا : إن المسيح ابن الله .

والرافضة تجعل الأئمة الاثنى عشر أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وغاليتهم يقولون : إنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يعتقدون فيهم الإلهية كما اعتقدته النصارى فى المسيح .

والنصارى يقولون : إن الدين مسلّم للأحبار والرهبان ، فالحلال ما حللوه ، والحرام ما حرّموه ، والدين ما شرعوه .

والرافضة تزعم أن الدين مسلّم إلى الأئمة ، فالحلال ما حللوه والحرام ما حرّموه ، والدين ما شرعوه »[١] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن غالية الشيعة ، ما رواه ابن باويه القمى عن محمد الباقر أنه قال : « نحن جنب الله ، ونحن صفوته ، ونحن حوزته ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء الله عز وجل ، ونحن حجج الله ، ونحن أركان الإيمان ، ونحن دعائم الإسلام ، ونحن من رحمة الله على خلقه ، ونحن مَنْ بنا يفتح وبنا يختم ، ونحن أئمة الهدى ، ونحن مصابيح الدجى ، ونحن منار الهدى ، ونحن السابقون ، ونحن الآخرون ، ونحن القلم المرفوع للخلق ، من تمسّك بنا لحق ، ومن تأخر عنا غرق ، ونحن مصدق النبوة ، ونحن موضع الرسالة ، ونحن الذين إلينا تختلف الملائكة ، ونحن الهداة إلى الجنة ، ونحن الذين بنا ينزل الله عز وجل الرحمة ، وبنا يسقون الغيث ، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب ، فمن عرفنا وأبصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا »[٢] .

ويقول شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية رحمه الله عن غالية الشيعة : « وأما من دخل فى غلو الشيعة كالإسماعيلية الذين يقولون بإلهية الحاكم ونحوه من أئمتهم ، ويقولون : إن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله وغير ذلك من المقالات التى هى من مقالات الغالية من الرافضة ، فهؤلاء شر من أكثر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، وهم ينتسبون إلى الشيعة يتظاهرون بمذاهبهم »[٣] .

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة : ٤٨١/١ ، ٤٨٢ .
(٢) ابن بابويه القمى ، كتاب كمال الدين وتمام النعمة : ٢٠٦/١ – ط . طهران ثانية ١٣٩٥ هـ .
(٣) ابن تيمية : منهاج السنة : ٤٨٢/١ .

لقد ابتدع الشيعة فى الدين بدعًا خطيرة ، وأحدثوا فى الإسلام رتقًا كبيرًا ، وأخذوا عن مذاهب الكفر غلوهم فى رجالهم ، ومعالمهم وآثارهم .

وصدق شيخ الإسلام حين قال فى الشيعة : « وفيهم من الشرك والغلو ما ليس فى سائر طوائف الأمة ، ولهذا أظهر ما يوجد الغلو فى طائفتين : فى النصارى والرافضة . ويوجد أيضًا فى طائفة ثالثة من أهل النسك والزهد والعبادة الذين يغلون فى شيوخهم ويشركون بهم »(١) .

لقد بلغ بهم الغلو فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أن يصفوه بأنه عين الإله – تعالى الله عما يصفون – وأنه محيط بعلم الغيب ولا تخفى عنه خافية وأنه عِلّة إيجاد الكائنات ، وأنه بيده النجاة ، ورمى أعدائه فى النار . يقول حجتهم آية الله عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم العاملى مشطرًا أبيات السيد حسين القزوينى فى مدح الأمير (عليه السلام) :

| | |
|---|---|
| أبا حسين أنت عين الإله | وعنـوان قدرتــه السامية |
| وأنت المحيط بعلم الغيـــوب | فهل عندك تعـزب من خافية |
| وأنت مدبر رحى الكائنات | وعِلّــــة إيجادهــا الباقيـة |
| لك الأمر إن شئت تنجى غدًا | وإن شئت تسفع بالناصيـة(٢) |

ومن العجيب أن تقول الاثنا عشرية بعد ذلك : إننا نبرأ من ابن سبأ والسبئية وهى تحمل عين غلوها فى علىّ رضى الله عنه . بل إن أحد مراجعهم الكبرى وأحد أعلامهم البارزة محمد حسين آل كاشف الغطاء يكشف عن حقيقة مذهبه دون أن يدرى حين قال فى أئمة الشيعة :

| | |
|---|---|
| يا كعبة للهِ إن حجت لها الـ | أملاك مِنه فعرشـــه ميقاتهــا |
| أنتم مشيئته التى خلقت بها الـ | أشياء بل ذرئت بهـا ذراتهــــا |
| أنا فى الـورى قال لكم إن لم أقل | ما لم تقله فى المسيح غلاتهـا(٣) |

وهكذا قال آل كاشف الغطاء ما قاله النصارى فى عيسى بن مريم ، وزاد على ذلك بأن جعلهم المركز والكعبة التى يحج إليها الأملاك ، وأنهم مشيئة الله التى خلقت بها الأشياء فتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

(١) المرجع السابق ص ٤٨٦ .
(٢) محمد باقر النجفى : ديوان شعراء الحسين ص ٤٨ ، طبعة طهران ١٣٧٤ هـ .
(٣) مرجع سابق ص ١٢ .

وقد أدى غلو الشيعة فى أئمتهم إلى إقامة المشاهد لهم ، ويعظم الشيعة مشاهد وقبور أئمتهم تعظيمًا شديدًا ويقدسونها أكثر من قداستهم لبيت اللهالحرام وهم فى ذلك يتشبهون باليهود والنصارى كما أشار إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ .

فعن جندب بن عبدالله رضى الله عنه قال ، سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك »[1] .

لقد نهانا رسول الله ﷺ عن بناء المساجد على القبور . ولكن لم تكتف الشيعة بذلك ، بل أقاموا على هذه الأضرحة والمقابر المساجد الفاخرة والمشاهد المتلألئة ، ويعظمون هذه المشاهد المبنية على القبور ، مع أن رسول الله ﷺ نهانا عن ذلك .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت ، قال رسول الله ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[2] .

والشيعة كانوا أكثر من اليهود والنصارى غلوا فإنهم يعتبرون « كربلاء » و « الكوفة » و« قم » أماكن مقدسة لا تقل قداسة عن بيت الله الحرام فيذكرون أن الصادق قال : « إن لله حرمًا هو مكة ولرسوله حرمًا وهو المدينة ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة ولنا حرمًا وهو (قم) ستدفن فيه امرأة من ولدى تسمى فاطمة من زارها وجبت له الجنة »[3] .

وقم تلك المدينة الإيرانية الشهيرة يوجد بها قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر إمام الشيعة الاثنى عشرية السابع ويقدسون قبرها تقديسًا شديدًا .

وكربلاء لها قداسة خاصة عند الشيعة فيروى أبى عبدالله حديثًا : « إن الله أوحى إلى الكعبة لولا تربة كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذى به افتخرت فقرّى واستقرّى ذنبًا متواضعًا ذليلاً مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بكِ فى نار جهنم »[4] .

---

(١) رواه مسلم : ١/ ٣٧٧ – ٣٧٨ ، كتاب المساجد ، باب « النهى عن بناء المساجد على القبور » .
(٢) البخارى : ٢/ ٨٨ ، كتاب الجنائز ، باب « ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور » .
(٣) المجلسى محمد باقر ، بحار الأنوار ص ٢٦٧ .
(٤) مرجع سابق ص ١٠١ .

ويقول صاحب كتاب تاريخ كربلاء : « أعطيتْ كربلاء حسب النصوص الواردة بأكثر مما أعطي لأى أرض أو بقعة أخرى من المزية والشرف فى الإسلام فكانت أرض الله المختارة ،وأرض الله المقدسة المباركة ، وحرمًا آمِنًا مباركًا ، وحرمًا من حرم الله وحرم رسوله ، وقبة الإسلام ، ومن المواضع التى يحب الله أن يعبد ويدعى فيها .. فإن هذه المزايا وأمثالها التى اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأى بقعة من بقاع الأرض حتى الكعبة »[١] . فكربلاء عند الشيعة أفضل من الكعبة المشرفة وبيت الله الحرام .

وللكوفة كذلك قداسة كبرى عندهم فيقول عنها الفيض الكاشانى« إن الكوفة حرم الله وحرم رسوله صلى اللهعليه وآله وحرم أمير المؤمنين وأن الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم بألف درهم »[٢] .

ويحج الشيعة أفواجًا وجماعات إلى هذه البقاع المقدسة عندهم بل إنهم يعتبرون الحج إليها أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام .

فعن ابن أبى يعفور قال سمعت أبا عبدالله يقول : « والله لو أنى حدثتكم بفضل زيارته – أى قبر الحسين – وبفضل قبره ، لتركتم الحج رأسًا وما حج منكم أحد . أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتخذ مكة حرمًا . قال ابن أبى يعفور فقلت له : قد فرض الله على الناس حج البيت ، ولم يذكر زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ، فقال :إن كان كذلك فإن هذا شيء جعله الله هكذا »[٣] .

إن قبر الحسين عند الشيعة له محله في عقائد الشيعة الإمامية ، فعن الصادق « من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة من القائم (عليه السلام) وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى اللهعليه وآله وعتق ألف ألف نسمة وحمل ألف ألف فرس فى سبيل الله ، وسمّاه الله عز وجل عبدى الصدّيق آمن بوعدى وقالت الملائكة فلان الصديق وزكاه الله من فوق عرشه »[٤] .

بل إن الله تعالى عندهم ينظر إلى زوار قبر الحسين بن علىّ قبل نظره إلى أهل الموقف بعرفة فعن أبى عبدالله : « إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علىّ (عليه السلام)

(١) آل طعمة ، د . عبد الجواد : تاريخ كربلاء ص ١١٥ ، النجف ١٣٨٧ هـ .
(٢) الكاشانى ، الفيض . « الوافى » : ٢/ ٢١٥ . المكتبة الإسلامية ، طهران .
(٣) المجلسى : بحار الأنوار : ١٠١/ ٣٣ .
(٤) الفيض الكاشانى : الوافى : ٢٢٣/٢ .

عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف ، قال « الراوى » وكيف ذلك قال أبو عبدالله : لأن فى أولئك أولاد زِنا وليس فى هؤلاء أولاد زِنا »[١] .

وأولاد الزنا عند الشيعة هم كل من ليس بشيعى من أهل الإسلام فعن أبى جعفر قال : « والله إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا »[٢] .

وثواب الصلاة عند قبر الحسين وفى حرمه جزاؤه أوفى وأعظم يذكر الفيض الكاشانى فى « وافيهم » : « الصلاة فى حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة ، واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة ، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مَرّة مع نبى مرسل »[٣] .

أما قبر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقد غالى الشيعة فيه غلوًا عميقًا ، يرقى إلى مرقى الكفر بالله تعالى فقالوا : « إن الله سبحانه وتعالى – عما يشركون – يزور قبره هو والملائكة والأنبياء . فيقول المجلسى فى « بحارِهم » : « إن قبر أمير المؤمنين يزوره مع الملائكة ، ويزوره الأنبياء ، ويزوره المؤمنون »[٤] .

والشيعة ينتظرون نزع الحجر الأسود من مكانه في الحرم المكى الشريف ليوضع فى رحاب الكوفة المقدسة عندهم فقد ذكروا أن عليًا بن أبى طالب رضى الله عنه قال لأهل الكوفة : « يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحبُ أحدًا من فضل ، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ، ومصلى إبراهيم ... ولا تذهب الأيام والليالى حتى ينصب الحجر الأسود فيه »[٥] .

لقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « اللّهم لا تجعلْ قبرى وثنًا يُعبد ، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٦] ، وعن أبى مرثد الغنوى رضى الله عنه قال قال ﷺ : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »[٧] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٢ .
(٢) الكلينى : الفروع من الكافى كتاب الروضة ص ١٣٥ طبعة لكنوء ١٨٨٦ .
(٣) الفيض الكاشانى : الوافى ص ٢٣٤ .
(٤) المجلسى ،بحار الأنوار ص ٢٥٨ .
(٥) الكاشانى ، الفيض الوافى : ٢/ ٢١٥ .
(٦) أحمد بن حنبل ، المسند : ١٣/ ٨٧ ، طبعة دار المعارف تحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله .
(٧) مسلم : ٢/ ٦٦٨ ، كتاب الجنائز ، باب « النهى عن الجلوسّ على القبر والصلاة عليه » .

بل إن عليًّا نفسه يروى عن رسول الله ﷺ النهى على تشييد القبور حتى لا تعبد فعن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى علىّ بن أبى طالب : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ، أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته »[١] .

وهنا نلاحظ أن رسول الله ﷺ ربط ربطًا قويا بين طمس التماثيل وتسوية القبور البارزة المشرفة لأنهما وسيلة إلى الإشراك بالله تعالى .

والله سبحانه وتعالى أمرنا بعمارة المساجد ، لا عمارة المشاهد والقبور والأضرحة ، وقال عز وجل : ﴿وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ [الجن : ١٨] .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : « لقد عُلِم بالنقل المتواتر ، بل عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسول الله ﷺ شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات ، والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبى ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم ، لا مسجدًا ولا مشهدًا . ولم يكن على عهده ﷺ مشهد مبنى على قبر ، وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلىّ بن أبى طالب ، ومعاوية ، لم يكن على عهدهم مشهد مبنى لا على قبر نبى ولا غيره ، لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره ... فهذا وأمثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذى أرسل الله به الرسول إليهم ، ويتبعون فى ذلك سنته ﷺ .. والإسلام مبنى على أصلين : أن لا نعبد إلا الله ، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع فالنصارى خرجوا عن الأصلين ، وكذلك المبتدعون من هذه الأمة من الرافضة وغيرهم »[٢] .

لقد ابتدع الشيعة أمورًا لا أصل لها فى الدين ، واعتبروها من أصوله ليشوشوا على المسلمين عقيدتهم النقية الصافية ويطفئوا أنوار الحق ، وأشعة التوحيد بما ابتدعوه من مزارات ومشاهد ومقابر مشرفة بارزة نهانا رسول الله ﷺ عن إقامتها وتشييدها لتظل عقيدة التوحيد بعيدة عن أدران الشرك ، لكنهم ابتعدوا كثيرًا عن عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى .

### غلو الشيعة فى علم الأئمة :

يجب أن يكون الإمام عند الشيعة « عالمًا بتدبير ما هو إمام فيه من سياسة رعيته ،

(١) مسلم : ٢/ ٦٦٦ – ٦٦٧ ، كتاب الجنائز ، باب « الأمر بتسوية القبر » .
(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة : ١/ ٤٧٩ : ٤٨١ .

والنظر فى مصالحهم ، وغير ذلك بحكم العقل ، ويجب أيضًا أن يكون بعد الشرع عالمًا بجميع الشريعة لكونه حاكمًا من جميعها »[(١)] .

وتحت باب « أن الأئمة أعلم من الأنبياء عليهم السلام » يذكر المجلسى الشيعى ثلاثة عشر حديثًا نذكر منها هذا الحديث . عن عبدالله التمار قال : كنا مع أبى عبدالله عليه السلام فى الحجر فقال :علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويُسرة وقلنا : ليس علينا عين فقال :ورب الكعبة – ثلاث مرات – أن لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أَعْلَمُ منهما ولأنبأتهما بما ليس فى أيديهما » [(٢)] .

ومعنى ذلك أن أبا عبدالله أعلم من موسى والخضر عليهما السلام .

بل إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا فعن أبى عبدالله قال : « إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم »[(٣)] .

وتحت باب « أنهم لا يحجب عنهم علم » يذكر المجلسى حديثًا عن أبى عبدالله قال : « إنى لأعلم ما فى السموات وأعلم ما فى الأرضين ، وأعلم ما فى الجنة وأعلم ما فى النار ، وأعلم ما كان وما يكون »[(٤)] .

وهذه مزاعم خطيرة ، وتجرؤ كبير على الله وعلى علمه الذى يُعد من خصائص الألوهية فهو وحده تعالى الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء . وهذا باب عظيم للكفر والزندقة .

**أئمة الشيعة يعلمون علم الغيب :**

أثبت الشيعة إلى أئمتهم – بالإضافة إلى القول بعصمتهم – علم الغيب . ولهذا ليس غريبًا أن يقول العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله : « إنهم – أى الشيعة – يزعمون لأئمتهم ما يتبرأ منه أولئك الأئمة . وقد سجل الكليني في كتابه « الكافى » الذى هو عندهم بمنزلة (صحيح البخارى) عند المسلمين نعوتًا وأوصافًا للأئمة الاثنى عشر ، ترفعهم من منزلة البشر إلى منازل معبودات اليونان فى العصور الوثنية ، ولو شئنا أن ننقل ذلك عن (الكافى) وكتبهم الأخرى المعتبرة عندهم فى الدرجة الأولى لملأ ذلك مجلدًا ضخمًا ، لذلك نكتفى بنقل عناوين الأبواب فقط بنصها وبالحرف عن كتاب الكافى .

---

(١) الطوسى ، محمد بن الحسن : الاقتصاد ص ٣١٠ .
(٢) المجلسى ، بحار الأنوار :٢٦/ ٢٩٤ .
(٣) الكلينى ، الكافى : ١/ ٢٥٨ .
(٤) المجلسى ، بحار الأنوار : ٢٦/ ١١١ .

منها : باب أن الأئمة يعلمون ، جميع العلوم التى خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل ، وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء . باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها ، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم يعلمون علمه كله . باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء . باب أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود ؟ ! وآل داود ؟ ! ولا يسألون البينة ، باب أنه ليس شيء من الحق فى أيدى الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل . باب أن الأرض كلها للإمام »[١] .

فمثلاً يروى الكلينى تحت باب « أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا » . عن جعفر أنه قال : « إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم » . وفى رواية عن جعفر قال : « إن الإمام الذى لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير إليه فليس ذلك بحجة الله على خلقه »[٢] .

وفى رواية قال إن لله عز وجل علمين : علم لا يعلمه إلا هو وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه »[٣] .

إن رسول الله ﷺ وهو أعظم خلق الله تعالى يعلنها صريحة مدوية أنه لا يعلم الغيب ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى مَلَك﴾[٤] .

ومعنى ذلك أنهم أضفوا على أئمتهم صفات أعلى من صفات الرسول ﷺ وهذا غلو كبير لأن علم الغيب من صفات الله تعالى وحده ﴿قل لا يعلم مَنْ فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[٥] .

ويقول تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾[٦] .

وقد وصل بهم الأمر أن جعلوا علم أئمتهم أعظم وأفضل من علم الأنبياء . فيروى الكلينى عن يوسف الثمار قال : « كنا مع أبى عبد الله عليه السلام فى جماعة من الشيعة

(١) الخطيب ، محب الدين : الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ص ٢٨ ، ٢٩ . الناشر دار طيبة الرياض .
(٢) الكلينى ، الكافى مع الشافى : ٢/ ٢٣١ ، ٢٣٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٦ .
(٤) سورة الأنعام : آية ٥٠ .
(٥) سورة النمل : آية ٦٥ .
(٦) سورة الأنعام : آية ٥٩ .

في الحجر فقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا فقلنا : ليس علينا عين . فقال : ورب الكعبة ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعْلَمُ منهما ولأنبئنهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة »[1] .

وهذا من أشد الغلو في مذهب الشيعة ودينهم .

**غلو الشيعة في صلة الأئمة بالله :**

يرى الكليني أن الأئمة هم نور الله عز وجل ، وخلفاء الله تعالى في أرضه وأن الله تعالى فرض طاعة الأئمة ، لأنهم ولاة أمر الله وخزنة علمه وهم أركان الأرض ، وأن من اصطفاه الله من عباده ، وأورثهم كتابه هم الأئمة .

وقد عرض الدكتور أحمد السالوس في كتابه القيم « أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله »[2] بعض هذه الأحاديث التي رواها الكليني في الجزء الأول من أصول الكافي منها ما ذكره في باب فرض طاعة الأئمة يذكر الكليني سبع عشرة رواية ، منها ما نسبه للإمام الصادق : « نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس إلا معرفتنا ، ولا يعذر الناس بجهالتنا من عرفنا كان مؤمنًا ، ومن أنكرنا كان كافرًا ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً » ، وفي باب « في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه » (ص ١٩٠ - ١٩١) يذكر خمس روايات ، ويحرف معاني بعض آيات القرآن الكريم ، ليجعل أئمة الجعفرية هم الشهداء على الناس .

وفي باب « أن الأئمة هم الهداة » (ص ١٩١ - ١٩٢) يذكر أربع روايات ويحرف معنى الآية السابعة من سورة الرعد : ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ﴾ فيؤول كلمة هاد بأنها الإمام عليّ ، ثم أئمة الجعفرية من بعده .

وفي باب « أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه » (ص ١٩٢ - ١٩٣) يذكر ست روايات منها :

« عن أبي جعفر عن الرسول ﷺ قال تبارك وتعالى : « استكمال حجتي على الأشقياء

---

(١) عبد المحسن عبد الله : الشافي في شرح أصول الكافي : ٢٤٠/٢ ، مطبعة النعمان ، النجف ، وقد سبق لنا الإشارة إلى أن المجلسي في بحار الأنوار : ٢٩٤/٢٦ ذكر هذا القول .

(٢) السالوس : أثر الإمامة .. ص ٢٩٨ إلى ص ٣٠١ .

من أمتك من ترك ولاية علىّ والأوصياء من بعدك ؛ فإن فيهم سنتك وسُنة الأنبياء من قبلك ، وهم خزانى على علمى من بعدك . ثم قال الرسول : لقد أنبأنى جبريل عليه السلام بأسمائهم ، وأسماء آبائهم » .

وفيها : « عن أبى عبد الله أن الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خزانة فى سمائه وأرضه « ولنا نطقت الشجرة ، وبعبادتنا عبد الله عز وجل ، ولولانا ما عبد الله » .

وفى باب « أن الأئمة خلفاء الله عز وجل فى أرضه ، وأبوابه التى منها يؤتى » (ص ١٩٣ – ١٩٤) يذكر الكلينى ثلاث روايات ويذكر أن الأئمة هم المراد من قول الله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ (النور : ٥٥) .

وفى باب « أن الأئمة نور الله عز وجل » (ص ١٩٤ – ١٩٦) يذكر هذه الروايات : عن أبى خالد الكابلى ، عن أبى جعفر : ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا﴾ (التغابن : ٨) .

قال : يا أبا خالد ، النور والله نور الأئمة من آل محمد ﷺ إلى يوم القيامة ، وهم والله نور الله الذى أنزل ، وهم نور الله فى السموات والأرض . والله يا أبا خالد لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار ، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ، ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم . والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلما لنا ، فإذا كان سلمًا لنا سلمه الله من شديد الحساب ، وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر .

وعن أبى عبد الله فى تفسير النور فى (الآية ١٥٧) من الأعراف : « النور فى هذا الموضع على أمير المؤمنين والأئمة » .

وعن أبى جعفر فى ﴿نورًا تمشون به﴾ (الحديد : ٢٨) يعنى إمامًا تأتمون به .

وعن صالح بن سهل الهمدانى قال : قال أبو عبد الله فى قول الله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ فاطمة عليها السلام ﴿فيها مصباح﴾ الحسن ﴿المصباح فى زجاجة﴾ الحسين ﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ فاطمة كوكب درى

بين نساء أهل الدنيا ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يكاد زيتها يضىء﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ يهدى الله للأئمة من يشاء ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ (النور : ٣٥) قلت : ﴿أو كظلمات﴾ قال : الأول وصاحبه ﴿يغشاه موج﴾ الثالث ﴿من فوقه موج ظلمات﴾ الثانى ﴿بعضها فوق بعض﴾ معاوية لعنه الله وفتن بنى أمية ﴿إذا أخرج يده﴾ المؤمن فى ظلمة فتنتهم ﴿لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا﴾ إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فما له من نور﴾ إمام يوم القيامة[1] .

وقال فى قوله تعالى : ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ (الحديد : ١٢) أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدى المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة . وعن علىّ بن جعفر عن أخيه موسى مثله .

وعن أبى الحسن ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ (الصف : ٨) .

قال : يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم ..﴿والله متم نوره﴾ قال : والله متم الإمامة ، والإمامة هى النور وذلك قوله عز وجل : ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا﴾ (التغابن : ٨) . قال : النور هو الإمام .

وفى باب « أن الأئمة هم أركان الأرض » (ص ١٩٦ — ١٩٨) يروى الكلينى :

عن أبى عبد الله : ما جاء به على آخذ به ، وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد ﷺ ، ولمحمد ﷺ الفضل على جميع من خلق الله عز وجل ، المتعقب عليه فى شىء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله ، والراد عليه فى صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله كان أمير المؤمنين باب الله الذى لا يؤتى إلا منه ، وسبيله الذى من سلك بغيره هلك ، وكذلك يجرى لأئمة الهدى واحدًا بعد واحدٍ ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها ، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى ،

---

(١) يقصد بالأول والثانى والثالث الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم ، الآية التى ذكرها من (سورة النور : ٤٠) ، ولكنه ذكر أجزاء منها ونصها ﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾ . الدكتور السالوس هامش ص ٣٠٠ .

وكان أمير المؤمنين كثيرًا ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار ، وأنا الفارق الأكبر ، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد أقرت لى جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد عليه السلام ، ولقد حملت على مثل حمولته وهى حمولة الرب ، وإن رسول الله ﷺ يدعى فيكسى ، وأدعى فأكسى ، ويستنطق وأستنطق فأنطق على حد منطقه ، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقنى إليها أحد قبلى : علمت المنايا والبلايا والأنساب ، وفصل الخطاب ، فلم يفتنى ما سبقنى ، ولم يعزب عنى ما غاب عنى ، أبشر بإذن الله وأؤدى عنه ، كل ذلك من الله مكننى فيه بعلمه[1] .

## عصمة الإمام عند الشيعة :

يرى الشيعة وجوب عصمة الإمام فيقول عالمهم الطوسى المتوفى سنة (٤٦٠ هـ) فى صفات الإمام « يجب أن يكون معصومًا من القبائح والإخلال بالواجبات ، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت علة الحاجة قائمة فيه إلى الآخر لأن الناس إنما احتاجوا إلى الإمام لكونهم غير معصومين ، ومحال أن تكون العِلّة حاصلة والحاجة مرتفعة لأن ذلك نقض للعِلّة ، ومتى احتاج إلى إمام لكان الكلام فيه كالكلام فى الإمام الأول ، وذلك يؤدى إلى وجود أئمة لا نهاية لهم ، أو الانتهاء إلى إمام معصوم ليس من ورائه إمام وهو المطلوب[2] .

ونقل محمد بن يعقوب الكلينى فى أصول الكافى قال : « قال الإمام جعفر الصادق : نحن – أى الشيعة – خزان علم الله ، نحن تراجمة أمر الله ، نحن قوم معصومون – أمر الله تعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا ، نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض »[3] .

ونقل أيضًا الكلينى ، قال الإمام محمد الباقر : « إنما يأتى بالأمر من الله تعالى فى

---

(١) مما جاء فى الحاشية .
صاحب العصا : أى عصا موسى التى صارت إليه من شعيب ، وإلى شعيب من آدم يعنى هى عندى أقدر بها على ما قدر عليه موسى .
الميسم : المكواة ، لما كان بحبه وبغضه يتميز المؤمن من المنافق ، فكأنه كان يسم على جبين المنافق بكى النفاق .
د . السالوس ص ٣٠١ .
(٢) الطوسى ، محمد بن الحسن : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ، ص ٣٠٥ منشورات جمعية منتدى النشر ، النجف الأشرف ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
(٣) الكلينى ، محمد بن يعقوب : أصول الكافى ص ١٦٥ .

ليالى القدر إلى النبى وإلى الأوصياء : افعلْ كذا وكذا الأمر قد كانوا علموه أمره كيف يعملون فيه »[١] .

وذكر الكلينى كذلك قال : « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبى فأمَّا ما خلا ذلك فهُمْ بمنزلة رسول الله ﷺ »[٢] .

**عصمة الأئمة عن السهو والنسيان :**

يؤكد عالم الشيعة المعاصر رضا المظفر أن « الإمام يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان »[٣] مع أن إمام الشيعة الثامن على الرضا قال لمن يقولون بنفى السهو والنسيان عن الأئمة « كذبوا لعنهم الله إن الذى لا يسهو هو الله لا إله إلا هو »[٤] .

لقد وصف بعض علماء الشيعة أئمتهم بعدم جواز السهو والنسيان مع أن هذه صفة من صفات الله تعالى ، فأضافوا إلى أئمتهم صفة من الصفات الإلهية ، وهذا لون من ألوان الشرك الأكبر على أن بعض علماء الشيعة القدامى جوزوا السهو والنسيان على الأئمة فيقول الطبرسى فى مجمع البيان « أن الأئمة يجوز عليهم السهو والنسيان فى غير ما يؤدونه عن الله » . وهذا قول فيه شىء من الاعتدال .

**ما يترتب على القول بالعصمة :**

في اعتقاد الشيعة أن أقوال الأئمة الاثني عشر هى كأقوال الله ورسوله ، يقول عالمهم عبد الله فياض فى كتابه « تاريخ الإمامية وأسلافهم » : « إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التى تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبى ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة »[٥] .

ومن قبل قال المازندرانى « إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف فى أقوالهم كما لا اختلاف فى قوله تعالى »[٦] .

---

(١) مرجع سابق ص ١٥٤ .

(٢) مرجع سابق .

(٣) المظفر ، محمد رضا : عقائد الإمامية ص ٩٥ ، دار الغدير للطباعة ١٣٩٣ هـ .

(٤) المجلسي ، محمد باقر : بحار الأنوار : ٢٥/ ٣٥٠ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٨٧ هـ .

(٥) عبد الله فياض : « تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة » ص ١٤٠ ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ١٣٩٥ هـ .

(٦) المازندرانى، محمد صالح: «شرح جامع على الكافى الأصول والروضة»: ٢٧١/٢ المكتبة الإسلامية طهران .

وقد بنى المازندرانى هذا الرأى من خلال شرحه للكافى حيث نقل الكلينى فى « كافيهم » عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا سمعنا أبا عبد الله يقول حدثنى حديث أبى وحديث أبى حديث جدى وحديث جدى حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل »[١] .

## الرد على قولهم بعصمة الأئمة :

يقول الشيعة أنه لو لم يكن الإمام معصومًا لزم التسلسل . بمعنى أنه إذا جاز الخطأ على الأمة ، فلا يجوز على الإمام كذلك ، لأنه لو جاز الخطأ عليه لافتقر إلى آخر وهكذا فيتسلسل وهذا هو المحوج على ما ذكروا . .

ويجاب « بمنع أن المحوج ما ذكر ، بل المحوج تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد وحفظ بيضة الإسلام مثلاً ، ولا حاجة فى ذلك إلى العصمة ، بل الاجتهاد والعدالة كافيان »[٢] وهذا يعنى أنه لا حاجة إلى عصمة الإمام .

ومما يفند قولهم بعصمة الأئمة ما رُوى فى الكافى للكلينى مما قاله علىّ بن أبى طالب لأصحابه ونقله عن الكافى صاحب مختصر « التحفة الاثنى عشرية » « لا تكفوا عن مقالةٍ بحق ، أو مشورةٍ بعدل ، فإنى لست آمن أن أُخْطِئُ » والحمل على المشورة الدنيوية يأباه الصدر كما لا يخفى ، وأيضًا روى صاحب الفصول عن أبى مخنف أنه قال : كان الحسين يبدى الكراهة من صلح أخيه الحسن مع معاوية ويقول : لو جَزّ أنفى كان من أحب إلىّ مما فعله أخى ، وإذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة ، لامتناع اجتماع النقيضين »[٣] .

إن قول الشيعة بأن الإمام ينبغى أن يكون معصومًا حتى يمكنه حفظ شرع الله ، فإن لم يكن معصومًا احتجنا إلى حافظ آخر ، ويتسلسل ، قول باطل فالإمام ليس حافظًا للشريعة ، وإنما هو منفذ لها ، وحفظة الشرع هم علماء الدين ، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهم الذين يرشدون الحكام والأمراء إلى شرع الله تعالى . ولهذا أُثِر

---

(١) مرجع سابق : ٢/٢٧١ – ٢٧٢ .

(٢) الدهلوى ، شاه عبد العزيز حكيم : مختصر التحفة الاثنى عشرية . الناشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية بنارس ، الهند ١٤٠٣ هـ –١٩٨٣ م .

(٣) الدهلوى : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٣٥ .

عن عليّ بن أبي طالب قوله عقب توليه الخلافة « لا تكفوا عنى مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإنى لست آمن أن أخطئ »(١) ، وهذا أكبر دليل على عدم عصمته ولا عصمة بقية أئمة الشيعة الاثنى عشرية .

ويرد الإمام ابن تيمية على قول الشيعة بأنه لو لم يكن الإمام معصومًا لافتقر إلى إمام آخر ، لأن العِلّة المحوجة إلى الإمام هى جواز الخطأ على الأمة ، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر .. فيرد شيخ الإسلام قائلاً : « لِمَ لا يجوز أن يكون إذا أخطأ الإمام كان فى الأمة من ينبهه على الخطأ ، بحيث لا يحصل اتفاق المجموع على الخطأ ، لكن إذا أخطأ بعض الأمة ، ينبهه الإمام أو نائبه أو غيره ، وإن أخطأ الإمام أو نائبه ينبهه آخر كذلك ، وتكون العصمة ثابتة للمجموع ، لا لكل واحدٍ من الأفراد ، كما يقوله أهل الجماعة ؟

وهذا كما أن كل واحد من أهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ ، وربما جاز عليه تعمد الكذب ، لكن المجموع لا يجوز عليهم ذلك فى العادة ... ومن المعلوم أن ثبوت العصمة لقومٍ اتفقت كلمتهم ، أقرب إلى العقل والوجود من ثبوتها لواحد ، فإن كانت العصمة لا تمكن للعدد الكثير ، فى حال اجتماعهم على الشيء المعين ، فإن لا تمكن للواحد أوْلى . وإن أمكنت للواحد مفردًا ، فلأن تمكن له ولأمثاله مجتمعين بطريق الأوْلى والأحرى . فَعُلِمَ أن إثبات العصمة للمجموع أوْلى من إثباتها للواحد ، وبهذه العصمة يحصلُ المقصود المطلوب من عصمة الإمام ، فلا تتعين عصمة الإمام(٢) .

ثم يتابع شيخ الإسلام رده قائلاً بشدة « وَمِنْ جهل الرافضة إنهم يوجبون عصمة واحدٍ من المسلمين ، ويجوّزون على مجموع المسلمين الخطأ إذا لم يكن فيهم واحد معصوم . والمعقول الصريح يشهد أن العلماء الكثيرين مع اختلاف اجتهاداتهم ، إذا اتفقوا على قولٍ كان أوْلى بالصواب من واحد ، وأنه إذا أمكن حصول العِلم بخبرٍ واحدٍ ، فحصوله بالأخبار المتواترة أوْلى ، ومما يبين ذلك أن الإمام شريك الناس فى المصالح العامة ، إذ كان هو وحده لا يقدر أن يفعلها ، إلا أن يشترك هو وهم فيها ، فلا يمكنه أن يقيم الحدود ، ويستوفى الحقوق ، ولا يوفيها ، ولا يجاهد عدوًا إلاّ أن يعينوه ، بل لا يمكنه

(١) أشرت إلى هذا القول فى نفس الصفحة لتأكيد المعنى .
(٢) ابن تيمية : منهاج السنة : ٤٠٨/٦ و ٤٠٩ .

أن يصلى بهم جمعة ولا جماعة إن لم يصلوّا معه ، ولا يمكن أن يفعلوا ما يأمرهم به إلا بقواهم وإرادتهم . فإذا كانوا مشاركين له فى الفعل والقدرة ، لا ينفرد عنهم بذلك ، فكذلك ، العلم والرأى لا يجب أن ينفرد به ، بل يشاركهم فيه ، فيعاونهم ويعاونونه ، وكما أن قدرته تعجز إلا بمعاونتهم ، فكذلك علمه يعجز إلا بمعاونتهم »[١] .

ويسأل شيخ الإسلام ابن تيمية الرافضة فى قولهم بالعصمة الثابتة للإمام عندهم : « أهى فعله للطاعات باختياره ، وتركه للمعاصى باختياره ، مع أن الله تعالى عندكم [أى عند الشيعة] لا يخلق اختياره ؟ أم هى خلق الإرادة له ؟ أم سلبه القدرة على المعصية ؟

فإن قلتم [أى الشيعة] بالأول ، وعندكم أن الله لا يخلق اختيار الفاعلين لزمكم أن الله لا يقدر على خلق معصوم .

وإن قلتم بالثانى بطل أصلكم الذى ذهبتم إليه فى القدرة .

وإن قلتم : سُلِبَ القدرة على المعصية ، كان المعصوم عندكم هو العاجز عن الذنب . كما يعجز الأعمى عن نقط المصاحف ، والمقعد عن المشى . والعاجز عن الشىء لا يُنهى عنه ولا يُؤمر به ، وإذا لم يُؤمر ويُنه لم يستحق ثوابًا على الطاعة ، فيكون المعصوم عندكم لا ثواب له على ترك معصية ، بل ولا على فعل طاعة . وهذا غاية النقص .

وحينئذ فأى مسلم فُرِض كان خيرًا من هذا المعصوم ، إذا أذنب ثم تاب ، لأنه بالتوبة محيت سيئاته ، بَلْ بُدِّل بكلِّ سيئةٍ حسنة مع حسناته المتقدمة ، فكان ثواب المكلفين خيرًا من المعصوم عند هؤلاء ، وهذا يناقض قولهم غاية المناقضة »[٢] .

وبالنسبة لقول الشيعة بعصمة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه لم يُنْقل عن علىّ قط أنه قال إنى معصوم « فلا يمكن أحدٌ أن ينقل عنه بإسنادٍ ثابت أنه قال ذلك ، بل النقول المتواترة عنه تنفى اعتقاده فى نفسه العصمة ، فإن إقراره لقضاته على أن يحكموا بخلاف رأيه ، دليل على أنه لم يعد نفسه معصومًا .

وقد ثبت بالإسناد الصحيح أن عليًّا قال : « اجتمع رأيى ورأى عمر فى أمهات الأولاد أن لا يُبعن . وقد رأيت الآن أن يُبَعْن » . فقال له عبيدة السلمانى قاضيه : « رأيك مع عمر فى الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك فى الفرقة » ، وكان شريح

---

(١) مرجع سابق ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٢) ابن تيمية : منهاج السنة : ٤٢٦/٦ .

يحكم باجتهاده ولا يراجعه ولا يشاوره ، وعَلِيٌّ يُقِرُّه على ذلك . وكان يقول : « اقضوا كما كنتم تقضون » . وكان يفتى ويحكم باجتهاده ، ثم يرجع عن ذلك باجتهاده ، كأمثاله من الصحابة وهذه أقواله المنقولة عنه بالأسانيد الصحاح موجودة(١) .

من هذا كله يتضح لنا أنه لم يرد عن علىّ رضي الله عنه نص صريح أو غير صريح يقول فيه بعصمته ، وإنما القول بعصمته وعصمة أئمة الشيعة الاثنى عشرية من عمل الرافضة وقولهم .

أما على نفسه فهو برىء تمامًا من هذا القول ، لكن الرافضة وهم من أكذب خلق الله تعالى وضعوا على لسانه ولسان أئمتهم القول بالعصمة والله يشهد أن الرافضة لكاذبون فى هذا القول وذاك الفعل .

إن العصمة للأنبياء فقط ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ لأنه لا نبى بعده فهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وقد انقطع الوحى بوفاة رسول الله ﷺ بعد أن اكتمل دين الله تعالى ودعا الله اتباعه إلى اتباع تعاليم رسوله ﷺ فقال على لسان نبيه : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فليس هناك حجة بعد الرسل ﴿لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرسل﴾ (النساء : ١٦٥) فلا يمكن مضاهاة الإمامة بالنبوة على ما يدعى الشيعة ، فلا عصمة إلا لنبى من أنبياء الله تعالى .

* * *

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة : ٤٤٠/٦ .

## المبحث الثالث

# أدلة الشيعة من الحديث فى مسألة التنصيص على إمامة علىٍّ بن أبى طالب رضى اللَّه عنه

أولاً – تمهيد :

يرى الشيعة أن عليًّا أحق الناس بالإمامة بعد رسول الله ﷺ ، ويقولون : إن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة لعلىّ بن أبى طالب لكن الصحابة اغتصبوا حقه ولم يعملوا بوصية رسول الله ﷺ بل تركوها وانقلبوا على أعقابهم .

يقول بخاريهم الكلينى فى كتابه الكافى[1] وهو مرجع الشيعة الأكبر :

عن أبى جعفر عليه السلام قال : بُنى الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم ينادِ بشىءٍ كما نودى بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعنى الولاية .

فالإسلام عند الشيعة « بُنى على خمس : الصلاة والزكاة والحج والولاية ، ولم يناد بشىء ما نودى بالولاية يوم الغدير »[2] .

وعندهم كما يزعم البحرانى الشيعى : « إن تمام الإسلام باعتقاد ولاية على عليه السلام ، ولا ينفع الإقرار بالنبوة على جحد إمامة علىّ لما لا ينفع الإقرار بالتوحيد من جحد بالنبوة »[3] .

وكذب على علىّ أنه قال :

« من لم يقربولايتى لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد ﷺ »[4] .

---

(١) الكلينى ، محمد بن يعقوب : الكافى ، كتاب الإيمان والكفر/ باب « دعائم الإسلام » : ١٥/٢ حديث ٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

(٣) البحرانى ، البرهان فى تفسير القرآن ، طبعة طهران ١٣٧٥ هـ ، مقدمة ص ٢٤ هامش ، ظهير ، إحسان إلهى ، الشيعة والقرآن ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ص ٥١ و ٥٢ نقلاً عن البرهان مقدمة ص ٢٥ .

ونقل عن محمد بن الحسن الصفار فى بصائره عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما بعث الله نبيا إلا وقد دعاه إلى ولايتك – أى علىّ – طائعًا أو كارهًا »[1] .

وروى الصدوق[2] فى الأمالى أنْ رسول الله ﷺ قال لعلىّ : « لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملى »[3] .

معنى ذلك أن رسول الله ﷺ أُمِرَ وبُعِث لتبليغ أمرٍ واحد وهو الإبلاغ عن ولاية علىّ رضى الله عنه .. وهذا أمر لا يمكن تصديقه أبدًا فدلائل الكذب فيه واضحة ، وبراهين الافتراء فيه على رسول الله ﷺ جلية واضحة .

ورووا عن ابن بابويه القمى عن جعفر أنه قال : عرج بالنبى ﷺ إلى السماء مائة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وقد أوحى الله فيها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالولاية لعلى أكثر مما أوصاه فى سائر الفروض »[4] .

وكل هذه الأحاديث موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ .

فالشيعة معروفون بأنهم أكثر الفِرَق وضعًا للأحاديث النبوية خصوصًا فى ولاية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه والغلو فى مناقبه لدرجة تفضيله أحيانًا على الأنبياء والرسل . بل يصل التطاول لدى بعضهم إلى رفع مقامه عن مقام نبى الهدى صلى الله عليه وسلم الذى فضله الله تعالى على سائر الأنبياء والرسل والخلق أجمعين .

جاء فى الأصول من الكافى[5] : « إن عليًّا وازن بينه وبين نفسه فقال : « أنا قسيم الله بين الجنة والنار ، وأنا الفاروق الأكبر ، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد أقرّت لى جميع الملائكة والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله ، ولقد حملت على مثل حمولة الرب ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى ، وأدعى فأكسى ، ويستنطق واستنطق – إلى هذا نحن سواء وأما أنا – ولقد أوتيت خصالاً ما سبقنى إليها

(١) المرجع السابق ص ٥١ و ٥٢ نقلاً عن البرهان مقدمة ص ٢٥ .
(٢) الصدوق هو ابن بابويه القمى أحد كتاب الصحاح الأربعة الشيعية .
(٣) الحويزى ، تفسير « نور الثقلين » جـ ١ ص ٦٥٤ .
(٤) البحرانى ، البرهان فى تفسير القرآن ، المقدمة ص ٢٢ .
(٥) الكلينى : « الأصول من الكافى » كتاب الحجة جـ ١٩ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

أحدٌ قبلي . علمت المنايا والبلايا والأنساب[١] وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني »[٢] .

وهذا النص ينطق بالغلو والتطرف في مقام عليّ رضي الله عنه وهو موجود في بخاريهم الأصول من « الكافي » الذي يعتقدون فيه اعتقادًا كبيرًا ، وفي هذا تجرؤٌ كبير على مقام النبوة وتطاول على رسول الله ﷺ .

و ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[٣] .

وزاد الطين بلّة افتراؤهم على الله تعالى أنه قال : « عليّ بن أبي طالب حجتي على خلقي ، ونوري في بلادي ، وأميني على علمي .لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني ، ولا أدخل الجنة من أنكره ولو أطاعني »[٤] .

وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه هو عند الشيعة خليفة الله في أرضه ها هو صاحب كتاب كشف الغمة يقول : ينادي منادٍ يوم القيامة :

« أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، فيأتي النداء من عند الله عز وجل : لسنا إياك أردنا ، وإن كنت لله خليفة ، ثم ينادي مناد أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، فيأتي النداء من قِبل الله عز وجل : يا معشر الخلائق ! هذا عليّ بن أبي طالب خليفة الله في أرضه ، وحُجته على عباده »[٥] .

ووصل الأمر بمفسرهم الحويزي أن يقول في تفسيره المعروف بـ « نور الثقلين » ، « دخل عبدالله بن عمر على زين العابدين »[٦] فقال :

يا ابن الحسين ! أنت الذي تقول : إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي ،

---

(١) يقول الله تعالى : ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان :٣٤] .
(٢) يقول تعالى عن نفسه : ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ [سبأ : ٣] .
(٣) سورة النمل : ٦٥ .
(٤) البرهان في تفسير القرآن للبحراني المقدمة ص ٢٣ .
(٥) كشف الغمة للأربلي الشيعي : ١/ ٢٣ .
(٦) زين العابدين (٣٨ – ٩٤ هـ) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين ، وليس للحسين بن علي عقب إلا من ولد زين العابدين . وهو أحد أئمة الشيعة الإثني عشر .

لأنه عرضت عليه ولاية جدى ، فتوقف عندها ؟ قال : بلى ! ثكلتك أمك ، قال : فأرنى آية ذلك إن كنت من الصادقين ؟

فأمر بشدّ عينيه بعصابة ، وعينى بعصابة ، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا ، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه ، فقال ابن عمر : يا سيدى ! دمى فى رقبتك ، الله الله فى نفسى ، فقال : هنيئة ، واريه إن كنت من الصادقين ؟ ثم قال : يا أيها الحوت ! قال : فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول : لبيك لبيك يا ولى الله ! فقال : مَنْ أنت ؟ قال : حوت يونس يا سيدى ! قال : إيتنا بالخبر ، قال : يا سيدى ! إن الله تعالى لم يبعث نبيا من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولا يتكلم أهل البيت ، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ، ومن توقف عنها وتتعتع فى جملها لقى ما لقى آدم من المصيبة ، وما لقى نوح من الغرق ، وما لقى إبراهيم من النار ، وما لقى يوسف من الجب ، وما لقى أيوب من البلاء وما لقى داود من الخطيئة ، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه أن يا يونس ! تول أمير المؤمنين »[1] وهذه الأسطورة لا تحتاج إلى تعليق فهى مذكورة فى واحد من أهم كتب التفسير لدى الشيعة تفسير « نور الثقلين » .

ولاشك أن الشيعة أرادوا أن يعمقوا مسألة الوصاية بعلىّبن أبى طالب رضى الله عنه خصوصًا فى عقول العامة والدهماء وغيرهما فاخترعوا مثل هذه الأساطير والخرافات التى يسهل على مثل هؤلاء الناس اعتقادها طالما أن الذى يذكرها مفسر من مفسريهم البارزين .

والحقيقة أن هذه عقيدة الشيعة المعقودة فى أفئدتهم وقلوبهم ، وهى النص على ولاية علىّ وفى سبيل ذلك يخترعون الأقاويل ، وينحتون الأساطير ويكذبون ويخدعون الناس ، فإذا ما ووجهوا بالحقائق الناصعة الباهرة النيّرة تلوّوْا وقالوا هذه القصص مكذوبة علينا ودست إلى كتبنا دَسا مع أنها منصوص عليها فى أشهر كتبهم المعتمدة .

ولقد وجدوا فى عقيدة التقية عندهم ملجأ وحصنًا يتحصنون به كلما افتضح أمرهم ، وكشف زيف دعاويهم وأغاليطهم .

فعلىّ عند الشيعة جميعًا ليس بعد النبى ﷺ أفضل منه »[2] .

---

(١) الحويزى ، تفسير نور الثقلين : ٣/ ٤٣٥ .

(٢) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، عنى بتصحيحه هلموت ريتر الطبعة الثالثة نشر فراز شتايز بفيسبادن ١٤٠٠هـ-١٩٨٠ ، ص ٧٥ .

ولقد وضع الشيعة العديد من أحاديث الوصاية بعليّ ومدحه وتفضيله عن كل الصحابة وقد عرف عن الشيعة ضعفهم فى الحديث وعلومه ومعظم رجالهم غير ثقات ومراتب الحديث عندهم قليلة(١) .

---

(١) يقول الأستاذ عبدالله الأمين فى كتابه دراسات فى الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ص ٣٣-٣٤ - نشر دار الحقيقة بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م :

١ : «مراتب الحديث عندهم: الإخباريون منهم قلة قليلة لاعلم لهم بمصطلح الحديث فهم يتلقون بالقبول كل ما يُنقل إليهم عن أئمتهم، وبقوا كذلك طيلة ثلاثة قرون. وفى القرنين الرابع والخامس دونت أربعة كتب فى علم الحديث، يعتقد أصحابها صحة ما أثبتوا فى كتبهم من أحاديث. وإن أول من كتب علم مصطلح الحديث عندهم : الحسن بن المطهر الحلى الملقب بالعلامة، والحديث عند جمهورهم ينقسم إلى متواتر وأخبار آحاد .

وفى المتواتر يظهر أثر عقيدة الإمامة حين يشترطون أن لا يكون ذهن السامع مشوبًا بشبهة أو تقليد يوجبُ نفى خبر الإمامة ومدلوله مع أنهم يرفضون الأخذ بالحديث المتواتر والمرفوع إلى مرتبته إذا كان الخبر متعلقاً بعقيدة الإمامة وعدم إثبات صحتها ، وعلى عكس ذلك نراهم يذهبون إلى تواتر حديث الغدير وحديث الثقلين .

أما أخبار الآحاد عندهم : ما اتصل بسنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامى عن مثله فى جميع الطبقات ، حيث تكون متعددة « نقلاً عن كتاب : مقياس الهداية » فشروط الصحة هى :

١ - اتصال السند إلى المعصوم . ٢ - أن يكون الرواة إماميين فى جميع الطبقات .

٣ - أن يكونوا عدولاً ضابطين ، ويبدو أثر الإمامة جليًا باشتراطهم العصمة ، وإمامية الراوى ، فالحديث لا يصح عندهم ما لم يكن رواته جميعًا من الجعفرية (الاثنى عشرية الإمامية) يقول الماقانى الشيعى : « الموافق للتحقيق هو أن العدالة لا تجامع فساد العقيدة ، وأن الإيمان شرط فى الراوى لأنهم يشكون فى غير الجعفرى » .

( أ ) والحسن عندهم: هو ماتصل سنده إلى المعصوم بإمامى ممدوح مدحًا مقبولاً معتقدًا به غير معارض بذمٍ من غير نص على عدالته مع تحقيق ذلك فى جميع مراتب رواة طريقه أو فى بعضها، وفيه لاتشترط عدالة الراوى

(ب) وأما الموثق عندهم : هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بمن نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته ، إن كان من أحد الفرق المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة مع تحقيق ذلك فى جميع رواة طريقه أو بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح - « نقلا عن مقياس الهداية » . فتأخر مرتبة الحديث يرجع لوجود غير جعفريين فى سنده يقول صاحب الدراية « توثيق المخالف لا يكفينا بل الموثق عندهم ضعيف عندنا أو المدار فى التوثيق إنما توثيق أصحابنا من الجعفريين » .

(جـ) والضعيف : هو ما لم يجتمع فيه شرط أحد الأقسام السابقة ، بأن اشتمل طريقه على مجروح ونحوه أو على مجهول الحال أو دون ذلك الوُضّاع .

٢ - مقولة ابن حنظلة عند الجعفرية هى العمدة فى الترجيح لأن راويها صفوان بن يحى الذى يعتبر من أصحاب الإجماع الذين يصححون ما يصح عنهم وهى تقوم على الأسس التالية :

( أ ) أنها اعتبرت كل حاكم أو قاضٍ غير جعفرى طاغوتًا أُمِروا أن يكفروا به بنص القرآن .

(ب) مَنْ أخَذَ حقه عن طريق حاكم غير جعفرى كان كمن أخذ سُحْتًا (مالاً حرامًا) .

(جـ) يعتبر حكم الحاكم الجعفرى كحكم الله تعالى وَمَن رفضه فقد أشرك بالله تعالى .

( د ) أنها تدعو إلى مخالفة جمهور المسلمين حتى حين موافقتهم للكتاب والسنّة مؤيدين رأيهم بما نسبوه للإمام الصادق زوراً قوله : (ما خالف العامة فيه الرشاد ، لأن المشهور عندهم مقدمًا على غيره حتى ولو كان راويه أصدق وأعدل وكان موافقًا للكتاب والسنّة : وفى ذلك تعميق للهوة بين أهل السنّة والجماعة وبين=

وبسبب اعتقادهم في عصمة أئمتهم جعلهم ذلك يؤمنون إيمانًا راسخًا في صدق ما روى عنهم من أحاديث مهما كان ظاهرها باطلاً ، فأحاديث الأئمة عندهم مقدسة . يقول صاحب (تاريخ الإمامية) : « إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة »(١) .

وإن أقوال أئمتهم الاثنى عشرية هي كأقوال رسول الله ﷺ ، بل يقرر أكبر أئمتهم الكليني بأنها كقول الله عز وجل ..يقول في بخاريهم « الكافي » « عن حماد بن عثمان وغيره قالوا سمعنا أبا عبدالله أي جعفر الصادق يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله قول الله عز وجل »(٢) .

ويعلق مرجعهم وإمامهم المازندراني على كلام الكليني فيقول في كتابه شرح جامع على الكافي « إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى »(٣) .

يقول شاه عبد العزيز الدهلوي « من مكايد الشيعة أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة ، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه ، فمن لا وقوف له من أهل السنّة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته ، كالسدى : فإنهما رجلان ، أحدهما السدى الكبير ،

---

=الجعفريين ، وهذا ما يسعى إليه علماء الشيعة . يروى الكليني في كتابه الكافي (٦٥/١) « أن زرارة بن أعين سأل أبا جعفر في مسألة وسأله آخران من شيعتهم نفس السؤال ، فأجاب كل واحد بخلاف جواب الأول ، ولما سُئل عن سبب تعدد الإجابة على السؤال الواحد قال : يازرارة إن هذا خير لنا ، وأبقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم » .

وأشهر كتب السنّة عند الجعفرية :

١ – الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني .
٢ – فقيه من لا يحضر الفقيه لمحمد بن بابويه القمي الملقب بالصدوق .
٣ – التهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة .
٤ – الاستبصار للطوسي أيضا .

(١) عبدالله فياض : « تاريخ الإمامية » ص ١٤٠ .
(٢) الكليني : مع شرح جامع للمازندراني : ٢/ ٢٧١ – ٢٧٢ .
(٣) المازندراني : نفس المرجع ، ونفس الصفحتين .

والثانى السدى الصغير . فالكبير من ثقات أهل السنّة ، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضى غال . وعبد الله بن قتيبة رافضى غال ، وعبدالله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السّنة وقد صنّف كتابًا سماه بالمعارف ، فصنف ذلك الرافضى كتابًا وسماه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال .

ومن مكايدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنّة مشتملة على مطاعن فى الصحابة ، وبطلان مذهب أهل السنّة ، وذلك مثل كتاب « سر العالمين » فقد نسبوه إلى الإمام محمد الغزالى عليه الرحمة وشحنوه بالهذيان ، وذكروا فى خطبته عن لسان ذلك الإمام وصيته بكتمان هذا السر وحفظ هذه الأمانة ، وما ذكر فى هذا الكتاب فهو عقيدتى ، وما ذُكر فى غيره فهو المداهنة . فقد يلتبس ذلك على بعض القاصرين »[1] .

إن الشيعة أكذب الفرق وأقل العلماء معرفة بالنصوص والآثار والأحاديث النبوية الشريفة وأسانيدهم ضعيفة أو منقطعة الإسناد أو ينقلون عمن عُرِف عنه الجرح والكذب والافتراء على رسول الله ﷺ ، ووضع الأحاديث عندهم أمر سهل للغاية ، والكذب على رسول الله ﷺ لا يخشون عاقبته فلفقوا أخبارًا عجيبة ورووْا روايات موضوعة وإن أحوال معظم رجال مسانيدهم لا تخفى على علماء الجرح والتعديل[2] ولم يسلم من شرّهم أعظم رجالات الحديث فى الإسلام صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل الإمام البخارى رضى الله عنه حيث يقول فيه ميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى صاحب روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ص ٤٣٣ : « ونقل عن الذهبى الناصبى أنه قال فى كتاب ميزانه ، عند ذِكره وبيانه ، لمرتبة إمام الأنام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أحد الأئمة الأعلام ، بَرٌّ صادق كبير الشأن ، لم يحتج به البخارى ، بمعنى أنه لم يستند فى كتابه الجامع من كل غثّ غير ثمين ، وغثاء مهين .. بما أخبره به الصادق المصدق الأمين وفيه ما لا يخفى من الدلالة على غاية جهل الرجل وغوايته ، وعماه الشديد فى طريق هوايته ، بل الإشارة إلى خبث أصله وسوء ولادته .. مثل سائر

---

(١) شاه الدهلوى : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٣٥ ، ٣٦ اختصره علامة العراق السيد محمود شكرى الألوسى نشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة بالجامعة السلفية بنارس الهند ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م .

(٢) يقول الإمام ابن تيمية فى منهاج السنة جـ ١ ص ٦٦ و ٦٧ « إن العلماء كلهم متفقون على أن الكذب فى الرافضة أظهر منه فى سائر طوائف أهل القبلة . وَمَنْ تأمّل كتب الجرح والتعديل المصنفة فى أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم – مثل كتب يحى بن سعيد القطان ، وعليّ بن المدينى ، ويحيى بن معين ، والبخارى وأبى زرعة ، وأبى حاتم الرازى والنسائى وأبى حاتم بن حبان ... وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة ونقاد وأهل معرفة بأحوال الإسناد – رأى المعروف عندهم بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف » .

أعداء الله وأعداء أهل بيت رسالته .. وقال بعض علمائنا : وإنما شاع[١] كتابه لتظاهره بعداوة أهل البيت عليهم السلام فلم يرو حديث الغدير ، وكتم حديث الطائر[٢] وجحد آية التطهير[٣] ، مع إجماع المفسرين على نزولها فيهم من غير نكير ، إلا ما كان من عكرمة الخارجي ، والكذاب الكلبي ، وثالثهما البخاري » .

وهذه قمة الإساءة إلى صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل إمام الحديث والسنة الإمام محمد بن إسماعيل البخارى رضى الله عنه[٤] كذبوا على جعفر الصادق وعلى والده محمدالباقر رضى الله عنهما ونسبوا إليهما بل إلى جعفر الصادق بالذات ما لم يقله .

يقول صاحب كتاب الشيعة وأهل البيت« وأما محمد الباقر وابنه جعفر فهما المظلومان الحقيقيان لأنه لا يوجد فضيحة ولا قبيحة إلا وقد نسبوها إليهما من الجبن والنفاق والغدر والخيانة والكذب ، وباسمهما اخترعوا مذهبًا ، واختلقوا مسلكًا وهما لا يدريان عنه وعنهم شيئًا[٥] ، فلقد قالوا إن الباقر كان يحل ما حرّمه الله خوفًا وجبنًا ... وقالوا عن جعفر أيضًا إنه مدح أبا حنيفة أمامه ، وذمه بعد ما خرج من عنده[٦] .

---

(١) موسى جار الله : الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة . مطبعة الكيلانى بمصر ١٩٨٢ .

(٢) سيأتى الإشارة إلى حديث الغدير وحديث الطائر فى هذا الكتاب إن شاء الله ، وسنبين خطأ استدلال الشيعة بهذين الخبرين على أحقية علىّ رضى الله عنه فى خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته .

(٣) سنبين بإذن الله تعالى خطأ الشيعة فى استدلالهم بآية التطهير ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] على أحقية علىّ رضى الله عنه فى الخلافة عقب وفاة رسول الله ﷺ .

(٤) البخارى : هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل – (٨٠٩ م – ٨٦٩ م) صاحب أصح كتب الحديث « الجامع الصحيح » الذى قضى ست عشرة عامًا – فى جمع أحاديثه ، ورحل إلى البلدان والأقطار طالبًا رواة الحديث وحفاظه ، وبفضل حافظته النادرة العجيبة ومعرفته الدقيقة بتاريخ الرجال واتجاهاتهم المذهبية والعقدية والفكرية والسياسية استطاع أن يميز بين صحيح الحديث من ضعيفه وموضوعه . وجمع فى « الجامع الصحيح » الأحاديث الصحيحة التى يتصل سندها من الراوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل راوٍ عدل ضابط .

(٥) إحسان إلهى ظهير : الشيعة وأهل البيت ص ٢٨٦ الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م نشر إدارة ترجمان السنة بلاهور – باكستان .

(٦) روى الكلينى فى كتاب الروضة من « الكافى » جـ ٨ ص ٢٩٢ تعبير منامات عن محمد بن مسلم أنه قال : دخلت على أبى عبدالله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤيًا عجيبة فقال لى : يا ابن مسلم ! هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبى حنيفة ،قال : فقلت : رأيت كأنى دخلتُ دارى وإذا أهلى قد خرجتْ على فكسرت جوازًا كثيرًا ونثرته علىّ ، فتعجبت من هذه الرؤيا ، فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لئامًا فى مواريث أهلك ، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : أصبت والله يا أبا حنيفة ، قال : ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت : جعلت فداك إنى كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : يا ابن مسلم ! لا يسوءك الله ، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا . ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبّره ، قال : فقلت له : جعلت فداك فقولك : أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ ؟ ! قال : نعم ! حلفت عليه أنه أصاب الخطأ ؟ ! » . (ظهير : الشيعة وآل البيت ص ٢٨٧) .

ونسبوا إليه أنه قال : « إنى لأتكلم على سبعين وجهًا لى فى كلها المخرج »[١] .

وكان أبو عبدالله جعفر الصادق رضى الله عنه يعلم جيدًا أن الشيعة نسبت إليه ما هو منه براء ، واختلقت حوله الأساطير والافتراءات .. وكثيرًا ما اشتكى من هذه الافتراءات والأكاذيب . وها هى كتب الشيعة تنضح بشكوى إمامهم الصادق فيقول الكشى فى كتابه الرجال المعروف بـ « رجال الكشى »[٢] ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ تحت ترجمة أبى الخطاب « عن ابن سنان أنه قال أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام : إنّا أهل البيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس – ثم عدّ واحدًا بعد واحد من الكذابين – كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة ، وكان مسيلمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله ، وكان الذى يكذب عليه من الكذب عبدالله بن سبأ لعنه الله ، وكان أبو عبدالله الحسين بن علىّ عليه السلام قد ابتلى بالمختار[٣] ، ثم ذكر أبو عبدالله الحارث الشامى والبنان فقال : كانا يكذبان على علىّ بن الحسين عليه السلام ، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسرى وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الأشعرى وحمزة اليزيدى وصائب النهدى – أى أصحابه – فقال : لعنهم الله ، إنّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا – كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد »[٤] .

الحقيقة أن الشيعة غالوا فى الكذب على جعفر الصادق رضى الله عنه ونسبوا إليه كتبًا لم يكتبها قط مثل كتاب « الجفْر » وفيه التنبؤ بالغيب حتى قيام الساعة ، عن طريق

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٧ .

(٢) الكشى : أبى عمر محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشى « الرجال » ، تعليق أحمد الحسين ط مؤسسة الأعلمى ، مطبعة الآداب ، النجف بدون تاريخ .

(٣) المختار بن أبى عبيد الثقفى ، كان أبوه من جملة الصحابة ، وولد المختار عام الهجرة ، وليست له صحبة ، وهو ضال مضل كذاب كان يزعم أن جبريل ينزل عليه ، كان خارجيًا . ثم صار زبيريًا ثم صار شيعيًا وكيسانيًا ، وكان ممّن خرج على الحسن بن على رضى الله عنهما فى المدائن ، ثم صار مع ابن الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها ، ثم أخذ يطلب بدم الحسين وثأره واجتمع عليه كثير من الشيعة ، وقتل قتلة الحسين ، وقد سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فى جمع كثير من أهل الكوفة وأهل البصرة فقتل المختار بالكوفة سنة سبع وستين (أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٣٦/ ملل ونحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٤٦) .

(٤) إحسان ظهير : الشيعة وأهل البيت ص ٢٥٥ .

النجوم والآثار ويزعمون أن هارون بن سعيد العجلى رواه عن جعفر الصادق ، والكتاب موضوع وضعًا ، وكتب بعد وفاة جعفر الصادق بأكثر من قرنين من الزمان .. ويقول الكلينى فى « كافى » الشيعة ، و « بخاريهم » « إن الجفر فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء ، ومن مضى من علماء بنى إسرائيل ، وعلم الحلال والحرام ، وعلم ما كان وما يكون »[1] .

إن جعفر الصادق برىء تمامًا من غالب ما نسبه إليه الشيعة لكن الكذب دينهم ، وعقيدتهم ، وتقيتهم .

ولا يستطيع الشيعى إلا أن يتنفس الكذب ويعيش على الافتراء حتى على أئمتهم الصادقين[2] .

ولم يكتف الشيعة بالكذب على الباقر وابنه الصادق بل من قبلهم وضعوا الأحاديث فى وجوب ولاية جدهما علىّ رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ وأنه من والى عليًّا فقد سبقت له الرحمة وإن الكذب على رسول الله ﷺ سمة مميزة فى معظم كتابات الشيعة .. وها هو الصدوق عندهم ابن بابويه القمى يقول فى كتابه الخصال :

قال رسول الله ﷺ لعلىّ : يا علىّ ! من أحبك ووالاك سبقت له الرحمة ، ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة ، فقالت عائشة : يا رسول الله ﷺ ! ادع الله لى ولأبى لا نكون مِمن يبغضه ويعاديه ، فقال صلى الله عليه وآله : اسكتى . إن كنت أنت وأبوك مِمّن يتولاه ويحبه فقد سبقت لكما الرحمة ، وإن كنتما ممن يبغضه ويعاديه فقد سبقت لكما اللعنة »[3] .

لقد أصبح حب علىّ عندهم فرضًا ينفك منكره عن ربقة الإسلام ويستندون فى ذلك

---

(١) الكلينى : الكافى : ٢٣٨/١ .

(٢) كان الإمام أبى عبدالله جعفر يتبرأ مما كان ينسبه إليه شيعته « ولعنهم ، وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة ، ومن حماقاتهم ، ومن القول بالغيبة ، والرجعة ، والبداء ، والتناسخ والحلول ، والتشبيه ، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبًا ، وأراد أن يروجه على أصحابه ، ونسبه إليه ، وربطه به ، والسيد برىءَ من ذلك ، ومن الاعتزال ، والقدر أيضا ، هذا قوله فى الإرداة ، إن الله تعالى أراد بنا شيئًا ، وأراد منا شيئًا ، فما أراد بنا طواه عنا ، وما أراد منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراد بنا ، عمّا أراده منا ، وهذا قوله فى القدر هو أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض وكان يقول فى الدعاء « اللّهم لك الحمد إن أطعتك ، ولك الحُجّة إن عصيتك ، لا صنع لى ولا لغيرى فى إحسان ، ولا حُجّة لى ولا لغيرى فى إساءة » الشهرستانى : ملل ونحل جـ ١ ص ١٦٧ تصحيح أحمد فهمى محمد دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠ هـ .

(٣) كتاب الخصال للصدوق جـ ٢ ص ٥٥٦ مطبعة الحيدرى طهران .

إلى بعض الأحاديث الضعيفة التى تضمنتها بعض كتب أهل السنة فابن مطهر الحِلىّ يذكر أن الإمام أحمد بن حنبل روى في مسنده أن رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين ، فقال : مَنْ أحبنى أحب هذين وأباهما وأمهما فهو معى فى درجتى »[1].

وهذا كذب آخر على رسول الله ﷺ ، ونقل غير أمين من « المسند » .

وقد رد ابن تيمية[2] رحمه الله تعالى على زعم ابن مطهر الحلىّ فى منهاج الكرامة فقال : « أما قوله : « رواه أحمد » فيقال : أولا : أحمد له المسند المشهور ، وله كتاب مشهور فى « فضائل الصحابة » روى فيه أحاديث ، لا يرويها فى المسند لما فيها من الضعف ، لكونها لا تصلح أن تُرْوى في المسند ، لكونها مراسيل أو ضعافًا بغير الإرسال . ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات ، ثم إن القطيعى – الذى رواه عن ابنه عبد الله – زاد عن شيوخة زيادات ، وفيها أحاديث موضوعه –باتفاق أهل المعرفة وهذا الرافضى وأمثاله من شيوخ الرافضة جُهّال ، فهم ينقلون من هذا المصنف ، فيظنون أن كل ما رواه القطيعى أو عبد الله قد رواه أحمد نفسه ، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعى . ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه فى المسند ، فقد رأيتهم فى كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط ، كما فعل ابن البطريق ، وصاحب « الطرائف » منهم ، وغيرهما بسبب هذا الجهل منهم . وهذا غير ما يفترونه من الكذب ، فإن الكذب كثير منهم .

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث ، فمجرد رواية أحمد لا توجب أن يكون

---

(١) علق الأستاذ الدكتور محمود رشاد سالم رحمه الله تعالى على هذا الحديث فى هامش منهاج السنّة النبوية لابن تيمية (جـ ٧ ص ٣٩٧ – ٣٩٨ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ – ١٩٨٦) .

فقال : « الحديث عن علىّ بن حسين عن أبيه عن جده في كتاب « فضائل الصحابة » ٢/ ٣٩٣ رقم ١١٨٥ بألفاظ مقاربة وقال المحقق فى تعليقه : « فى إسناده علىّ ابن جعفر بن محمد الصادق ، لم يُذْكر بجرح ولا تعديل ، والباقون ثقات . قال الذهبى فى الميزان (٣ : ١١٧) فى ترجمة علىّ : « ما هو من شرط كتابى ، لأنى ما رأيت أحدًا ليّنه ، نعم ، ولا من وثقه ، ولكن حديثه منكر جدًا ، ما صححه الترمذى ولا حَسَّنه ، ثم ذكر هذا الحديث » . وقال فى سير النبلاء (٤ : ل ١٠٨) : إسناده ضعيف والمتن منكر ، وأخرجه الترمذى (٥ : ٦٤١) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه . وقد رأينا أن الذهبى أنكر أن يكون الترمذى حَسَّنه . قال أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٢ : ٢٥) : والتحسين ثابت في بعض نسخ الترمذى دون بعض . وذكر فى التهذيب (١٠ : ٤٣) أنه لما حدّث نصر بن على هذا الحديث أمر المتوكل بضربه ألف سوط » .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٧ ص ٣٩٩ و٤٠٠ – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

صحيحا يجب العمل به ، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها .

وهذا فى كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط ، لا سيما فى مثل هذا الأصل العظيم » .

والحقيقة أن الشيعة تخصصوا تخصصا واضحا فى التقاط النصوص التى تؤيد نزعاتهم ، ومع أن بعضهم يعرف درجة الحديث من الضعف فى متنه والجرح والقدح فى رجاله ، إلا أنه يصر دائما على نقل الضعيف والموضوع والمكذوب على رسول الله ﷺ بدعوى حب علىّ وحب آل البيت وآل البيت كم قاسوا من هذا الحب الخبيث .. ولا زالت صرخة علىّ بن الحسين رضى الله عنهما ترن فى أذهاننا . « يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار عارًا علينا » .

وقول رسول الله ﷺ لعلىّ « إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى صحيحه(١) .

وأهل السُّنَّة أكثر الناس حبا لعلىّ ولآل بيت رسول الله ﷺ ولصحابته أكثر من الشيعة لكن حب أهل السُّنة ليس فيه غلو كما غالى فيه الغلاة منهم فجعلوا مرتبته أعلى من مقام النبوة .

وهذا الحديث لا يوجب لعلىّ بن أبى طالب الخلافة من بعد رسول الله ﷺ وإلا لأوجب من باب أولى الخلافة للأنصار فقد ذكر رسول الله ﷺ مثل هذا الحديث فيهم فقد ذكر البخارى فى مناقب الأنصار عن زيد بن حارثة الأنصارى ، قال : كنا جلوسًا حول سرير معاوية فخرج علينا فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أحبَّ الأنصار أحبَّه الله ، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله »(٢) .

وقال عدى بن ثابت سمعت البراء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول للأنصار :

---

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، باب ٣٣ الدليل على أنه حب الأنصار وعلىّ رضى الله عنهم من الإيمان وعلاماته ، وبغضهم من علامات النفاق جـ ١ ص ٨٦ حديث رقم ١٣١ عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

(٢) البخارى مناقب الأنصار . باب ٢ حب الأنصار من الإيمان ، فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر جـ٧ ص ١١٣ حديث ٣٧٨٣ .

« لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبَّهُ الله ، ومَن أبغضهم أبغضه الله »[1] .

فهذا الحديث لا يخص عليًّا فقط وإنما يشترك معه فيه خلق كثير هم الأنصار فقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار »[2] .

* * *

(١) البخارى ، كتاب مناقب الأنصار ، ٤ حب الأنصار من الإيمان ، فتح البارى جـ ٧ ص ١٣ حديث رقم ٣٧٨٣ .

(٢) البخارى : (كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار) : ٣٢/٥ . ومسلم (كتاب الإيمان ، باب « الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان » جزء صفحة ٨٥ .

## ثانيا : علىّ ينفي أحاديث الوصاية وتخصيصه بشىء

من العجيب أنه مع أن الشيعة وضعوا كما رهيبًا من الأحاديث تفيد النص على علىّ فإن عليًّا ذاته ينفي وجود مثل هذه الأحاديث .

فقد روى مسلم بسنده إلى أبى الطفيل قال : سُئل علىّ : أَخَصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلاّ ما كان فى قراب سيفى هذا . فأخرج صحيفة مكتوبًا فيها : « لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله مَنْ سَرَق منار الأرض ، ولعن الله مَنْ لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثًا »[1] .

وهنا نلاحظ أن عليًّا نفسه يعترف بأن رسول الله ﷺ لم يخصه بشيء ، ولم يوص له بالخلافة أو الإمامة . على عكس ما ادعى الشيعة وأذاعوه بين الناس .

وذكر ابن سعد فى طبقاته : أخبرنا وكيع بن الجراح عن أبى بكر الهذلى عن الحسن قال : قال علىّ لما قُبض النبى ﷺ نظرنا فى أمرنا فوجدنا النبى ﷺ قد قدَّم أبا بكر فى الصلاة فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله ﷺ لديننا ، فقدمنا أبا بكر »[2] .

وروى أحمد فى مسنده عن قيس بن عباد قال : كنا مع علىّ فكان إذا شهد مشهدًا أو أشرف على أكمة أو هبط واديًا ، قال : سبحان الله ، وصدق الله ورسوله .. إلى أن قال : فسألناه فقلنا : فَهَلْ عهد رسول الله ﷺ إليك شيئًا من ذلك ؟ قال : فأعرض عنا ، وألححنا عليه ، فلما رأى ذلك قال : والله ماعهد إلىّ رسول الله ﷺ عهدًا إلا شيئًا عهده إلى الناس ، ولكن الناس وقعوا على عثمان رضى الله عنه فقتلوه ، فكان غيرى فيه

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى كتاب الأضاحى ، باب « تحريم الذبح لغير الله » حديث رقم ١٩٧٨ . ترقيم وتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، ط : أولى ١٣٧٤هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

(2) الطبقات الكبرى لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى — نشر دار بيروت للطباعة والنشر ط ١٣٩٨ ، جـ ٣ ص ١٨٣ . وإسناد هذا الحديث لا يصح لأن فيه أبو بكر الهذلى ، متروك الحديث .

أسوأ حالاً وفعلاً منى ، ثم إنى رأيت أنى أحقهم بهذا الأمر فوثبت عليه ، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا »[١] .

والشاهد فى هذا الحديث قول علىّ وهو يقسم بالله تعالى قسمًا شديدًا « والله ما عهد إلىّ رسول الله ﷺ عهدًا إلا شيئًا عهده إلى الناس » ، وفى هذا القول دلالة قوية على أن رسول الله ﷺ لم يعهد إليه بشىء ، ولم يخصه بشىء ، ولم يوص له بشىء . فما بال القوم يكذبون على رسول الله ﷺ مع أن صاحبهم فى أصح كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين ينفى ذلك تمامًا .

والحقيقة أن دعوى النصيّة على علىّ والوصاية به مقالة ابتدعها عبد الله بن سبأ اليهودى وأذاعها بين القوم ووجدوها مناسبة تمامًا لهواهم ، وموافقة لآرائهم فأخذوها عنه دون سند صحيح وجعلوها أصلاً من أصول الإيمان عندهم وركنًا من أركان الإسلام مع أنه أصل لا أساس له ، وركن لا وجود له لأن صاحبهم رضى الله عنه يكشف عن افترائهم وكذبهم فقد سئل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فيما رواه عنه أبو جحيفة : هل خصّك رسول الله ﷺ بشىء ؟ فقال : ما هو إلا كتاب الله وفَهْمٌ يُؤتيه الله من شاء فى الكتاب »[٢] .

فلم يَدّعِ النص عليه ، ولم يفتر كذبًا على رسول الله ﷺ كما ادّعى هؤلاء القوم عليه .

يؤكد ذلك الرأى الذى نقول به ، ويدعمه ، أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، وهو صحيح البخارى ، فمن طريق الزهرى قال : أخبرنى عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى أن عبد الله بن عباس أخبره أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئًا ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت واليه بعد ثلاث وإلا ستكون عبد العصا ، وإنى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت .

اذهبْ بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده . وصححه المحقق أحمد شاكر، المسند حديث رقم ١٢٠٦ الجزء الثانى ص٢٨٧ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب « كتابة العلم » حديث رقم ١١١ حـ ١ ص ٢٠٤ . طبعة السلفية القاهرة .

وإن كان فى غيرنا علمناه ، فأوصى بنا فقال علىّ : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله ﷺ »[١] .

وهذا الحديث دليل واضح وبرهان ساطع على أن رسول الله ﷺ لم يستخلف عليًا من بعده ولم يوص به .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما ترك رسول الله ﷺ درهما ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشىء »[٢] .

إن رسول الله ﷺ مات ولم يستخلف أحدًا ولو استخلف أحدًا لا ستخلف أبا بكر . ففى حديث صحيح أخرجه مسلم وفيه : وسئلت - عائشة - من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبى بكر ؟ قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح . ثم انتهت إلى هذا »[٣] .

ولم يكتف الشيعة بذلك بل قالوا كما ذكر ابن المطهر الحلىّ الشيعى فى منهاج الكرامة أن رسول الله ﷺ أمر الصحابة بأن يسلموا على علىّ بإمرة المؤمنين ، وقال : إنه سيد المرسلين وإمام المتقين ، وقائد الغُرّ المحجلين » .

وإن أىّ دارس لعلوم الحديث ومصطلحه يتبين له ببساطة مدى افتراء الشيعة وتجرئهم على رسول الله ﷺ فإنه غير موجود لا فى الكتب الستة ، ولا الكتب التسعة المتداولة عند أهل السنة والجماعة ، ثم إن رسول الله ﷺ بإجماع العلماء والفقهاء وجمهور المسلمين هو سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغُرّ المحجلين وليس علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

ويستند الشيعة فى دعم موقفهم من مسألة وصاية رسول الله ﷺ بعلىّ إلى بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة فى بعض كتب السنة . ومنها ما رواه الإمام الجليل أحمد بن حنبل فى مسنده عن أنس بن مالك قال : قلنا لسلمان سل النبىّ ﷺ مَنْ وصيّة ،

٦ - ...

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى المغازى : باب « مرض النبى صلى الله عليه وسلم » جـ ٨ ص ١٤٢ حديث ٤٤٤٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الوصية ، باب « ترك الوصية لمن ليس له شىء يوصى فيه » جـ ٣ ص ١٢٥٦ حديث ١٨ .

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب « من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه » جـ ٤ ص١٨٥٦ .

فقال سلمان : يا رسول الله من وصيك ؟ فقال : « يا سلمان ، مَنْ كان وصىّ موسى فقال : يوشع بن نون فقال : فإن وَصيِّى ووارثى يقضى دينى ، وينجز موعدى علىّ بن أبى طالب » .

وهذا الحديث موضوع بإجماع الثقات من رجال الحديث الشريف ، لكن الكذب الذى هو دينهم وديدنهم جعلهم يفترون على رسول الله ﷺ ويقولون : إنه حَكَم بكفر من ناصب عليًّا الخلافة .

فقد ذكر ابن مطهر الحلىّ الشيعى فى « منهاج الكرامة » :

« روى أخطب خوارزم بإسناده عن أبى ذر الغفارى قال . قال رسول الله ﷺ : من ناصب عليًّا الخلافة فهو كافر ، وقد حارب الله ورسوله ، ومن شك فى علىّ فهو كافر » .

سبحانك هذا بهتان عظيم وإفْكٌ مبين فالصناعة والوضع بادية واضحة فى التأليف ، ونجد فى اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطى حديثًا موضوعًا قريبًا من بهتانهم الكبير ، وفيه عن جابر رضى الله عنه « علىّ خير البشر فمن أبى فقد كفر »[1] .

وذكر ابن الجوزى فى الموضوعات عن علىّ بن قرين « مَنْ مات وفى قلبه بغض لعلىّ ابن ابى طالب فليمتْ يهوديا أو نصرانيًّا »[2] .

وعلىّ بن قرين هذا لا يؤخذ منه الحديث لأنه عرُف بالكذب فهو من المجروحين الذين لا يُؤبَهُ لقولهم .

* * *

(١) السيوطى : اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة جـ ١ ص ٣٢٨ ، طبعة المكتبة الحسينية بالأزهر ١٣٥٢هـ .

(٢) ابن الجوزى : الموضوعات جـ ١ ص ٣٨٥ . ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ .

## ثالثًا : أدلة الشيعة من الحديث فى مسألة التنصيص على علىّ رضى الله عنه ومناقشتها

### الدليل الأول

من أبرز الأدلة التى يعتمد عليها الشيعة فى أحقية علىّ فى الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ الحديث الصحيح الذى ورد ذِكره فى البخارى وهو قول رسول الله ﷺ لعلىّ : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، وفى رواية : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى »[1] .

وهذا الحديث لا يدل على أفضلية علىّ ، ولا يُعطى لعلىّ فضلاً على غيره من الصحابة .

فإن لهذا الحديث مناسبة قيل فيها ، فقد ذكره رسول الله ﷺ لسببٍ وهو أنه لما استخلف النبى ﷺ عليًا على المدينة فى غزوة « تبوك » فى سنة تسع من الهجرة ، شعر علىّ بشىء فى نفسه لأنه لم يشارك فى الغزوة محاربًا ، وإنما استخلفه الرسول على النساء والصبيان والأرامل فى المدينة المنورة ، فأراد رسول الله ﷺ أن يطيب نفسه وخاطره فقال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » . ومن المعروف أن رسول الله ﷺ قد استخلف غيره قبله فاستخلافه لعلىّ رضى الله عنه على المدينة لا يعد من خصائصه ، ففى كل غزوة من غزواته كان يستخلف على المدينة أحد أصحابه ، فاستخلف ابن أم مكتوم ، وزيد بن حارثة ، والوعيد بن رواحة ، وعثمان بن عفان ، وأبا لبابة وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .

ثم إن هناك أمر آخر أشار إليه ابن حزم فى الفصل وهو أن استخلافه « لا يوجب فضلاً على من سواه ، واستحقاق الإمامية بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يَلِ أمْرَ بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وإنما وَلِى الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضْر »[2] .

فالرسول ﷺ شبَّه عليًا بهارون فى مسألة الاستخلاف كما استخلف غيره من قبل

(١) البخارى : مناقب على : ٨/٧١ ، ومسلم/ فضائل على : ١٥/١٧٥ .
(٢) ابن حزم : الفصل : ٤/٩٤ – طبعة المثنى بغداد .

« يبين ذلك أن موسى لما ذَهَبَ إلى ميقات رَبِّه لم يكن معه أحدٌ يشاركه فى ذلك ، فاستخلف هارون على جميع قومه ، والنبى ﷺ لمّا ذهب إلى غزوة تبوك أخذ معه جميع المسلمين إلا المعذور ولم يستخلفْ عليًّا إلا على العيال وقليل من الرجال ، فلم يكن استخلافه كاستخلاف موسى لهارون ، بل ائتمنه فى حال مغيبه ، كما ائتمن موسى هارون فى حال مغيبه ، فبيَّن له رسول الله ﷺ أن الاستخلاف ليس لنقص مرتبة المستخلف ، بل قد يكون لأمانته كما استخلف موسى هارون على قومه ، وكان علىّ خرج إليه يبكى وقال : أتذرنى مع النساء والصبيان ؟ كأنه كره أن يتخلف عنه . فبين له رسول الله ﷺ أن هذه المنزلة ليست لنقص المستخلف ، إذ لو كان كذلك ما استخلف موسى هارون »[1] .

والحقيقة أن هارون كما ذكرنا لم يكن خليفة بعد أخيه موسى ، لأن هارون توفى قبل موسى بسنوات طويلة .

من ذلك كله يتضح لنا أن قول رسول الله ﷺ لعلىّ « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى » لا يعد ذلك من خصائص علىّ بل منقبة من مناقبه . والتشبيه أمر معروف فى اللغة العربية . وقد سبق لرسول الله ﷺ أن شبّه أبا بكر رضى الله عنه بإبراهيم عليه السلام ، وعيسى عليه السلام ، وشبَّه عمر رضى الله عنه بنوح عليه السلام وموسى عليه السلام حين أشارا عليه فى أسارى بدر ، فرأى أبو بكر الفدية ورأى عمر القتل وجاء القرآن الكريم موافقًا لرأى عمر رضى الله عنه . فمن حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدّ قلوب رجال فيه تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال : ﴿فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ (إبراهيم : ٣٦) . ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة : ١١٨) . وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : ﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾ (نوح : ٢٦) ، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال : ﴿ربنا اطمس على أموالهم ، واشددْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (يونس : ٨٨) .

فلا ينفلتن أحد إلا بفداء أو ضربة عنق »[2] . والتشبيه كثير فى اللغة العربية .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السُنة : ٢٧٤/٤ .

(٢) ابن حنبل : المسند : ٣٨٣/١ ، أبو داود : السنن كتاب الجهاد : ٦١/٤ .

ومن زاوية أخرى فإن مكانة الصديق والفاروق لا يدانيهما مكانة عند رسول الله ﷺ ، فقد روى الترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر »[١] .

وكان أبو بكر الصديق أقرب الصحابة إلى قلب رسول الله ﷺ ولهذا قال فى حديث البخارى : « لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر لكن أخوة فى الإسلام »[٢] .

ولا يتصور أبدًا أن من استخلف إنسانًا لعمل ما ولمدة معينة انقضت أن يكون هذا الإنسان بعد موته خليفة له .. وقولهم أن الرسول ﷺ قد استخلفه على المدينة ، فيجب أن يكون خليفة له بعد موته ، قول ترفضه كل العقول السليمة إذ لا أساس له من نقل أو عقل .

وأخيرًا فإننا نقول للشيعة إن قول رسول الله ﷺ لعلىّ « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » هل شارك علىّ الرسول فى النبوة مثل مشاركة هارون عليه السلام شقيقه موسى عليه السلام .

وإذا كانت الإجابة بالنفى وهى الإجابة الحق لأنه من يقول بالإيجاب شاركه مشاركة هارون موسى عليهما السلام فقد كفر ، إذن فقد صح استخلاف علىّ كما استخلف من قبله غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

* * *

(١) المباركفورى : تحفة الأحوذى : ١٦٦/١٠ ، نشر المكتبة السلفية بالقاهرة .
وقال الترمذى عنه حديث غريب . وأخرجه الحاكم بمعناه من حديث سعيد بن المسيب وصححه الحاكم فى مستدركه : ٦٣/٣ الحاكم النيسابورى ، « المستدرك » طبعة دائرة المعارف بحيدرآباد بالهند .
(٢) ابن حجر ، فتح البارى : ١٧/٧ .

# الدليل الثانى

يحتج الشيعة فى أحقية علىّ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ بأنه ختن [1] رسول الله ﷺ ، والحقيقة أنه ليس فى ذلك الأمر أى خصوصية لعلىّ فقد شاركه فى ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه تزوج ابنتى رسول الله ﷺ ، رقية وأم كلثوم ، واحدة بعد أخرى ولهذا سُمى ذو النورين ، لأنه تزوج بنتى رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ : « لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان » .

وشاركه فى هذا الأمر أيضًا أبو العاص بن الربيع[2] زوج زينب كبرى بنات رسول الله ﷺ .

وقد اخترع الشيعة عدة أحاديث فى زواج فاطمة - رضى الله عنها - بعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنها ونقل ابن مظهر الحلىّ فى المنهاج لكرامة حديثًا موضوعًا ذكره أخطب خوارزم من كتاب السّنة بإسناده عن جابر قال : لمّا تزوج علىّ فاطمة زوّجها الله إياه من فوق سبع سموات ، وكان الخاطب جبريل وإسرافيل فى سبعين ألفًا من الملائكة شهودًا ، فأوحى الله إلى شجرة طوبى : انثرى ما فيك من الدر والجوهر ، ففعلت ، فأوحى الله إلى الحور العين أن الْقُطْن ، فلقطن منهن إلى يوم القيامة » وهذا الحديث ظاهر الوضع والتأليف ، فإن أشرف الخلق أجمعين وأعلاهم قدرًا عند الله تعالى تزوج أكثر

---

(١) « علىّ ختن رسول الله صلى ﷺ » أى زوج ابنته لزواجه فاطمة بنت محمد ﷺ .

(٢) هو ابن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد أُسر فى غزوة بدر مع المشركين وفدته زينب رضى الله عنها ، وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثها إليه فوفى له ذلك الشرط . ولهذا أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ووعدنى فوفى لى » ، ولما أُسير ثانية وأجارته زينب أسلم ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب إليه وأنجبت له أُمامة التى كان يحبها الرسول صلى الله عليه وسلم ويحملها على ظهره وهو يصلى .

ولقد كرّم الرسول صلى الله عليه وسلم مصاهرة أبى العاص بن الربيع محتجا به على علىّ رضى الله عنه ، لما أراد علىّ أن يتزوج بنت أبى جهل ، فإنه قال : « إن بنى المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا فتاتهم علىّ بن أبى طالب ، وإنىّ لا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن ، إلاّ أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ويتزوج ابنتهم . والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل أبدًا ، إنما فاطمة بضعة منى يريبنى ما أرابها ، ويؤذينى ما آذاها .. ثم ذكر صهرًا له من بنى عبد شمس فأثنى عليه وقال : « حدثنى فصدقنى ، ووعدنى فوفى لى » .

أحمد بن حنبل : المسند : ٦/٢٧٦ .

من مرة ولم يوح الله إلى شجرة طوبى أن تنثر ما فيها من در وجوهر فى أى مرة تزوج فيها الرسول ﷺ ، فالحديث موضوع وكذب واضح على رسول الله ﷺ .

وأما مسألة قرابته لرسول الله ﷺ فليست دليلاً على أفضليته ، فإن العباس عم رسول الله ﷺ هو أقرب من علىّ نسبًا ..

وأما قول رسول الله ﷺ يوم غدير خُمّ[1] « أُذَكِّرُكُم الله فى أهل بيتى ، وأذكركم الله فى أهل بيتى »[2] .

فالحقيقة إن الشيعة يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن هذا الحديث من خصائص علىّ .. وهو ليس من خصائصه على الإطلاق ، بل هو مشترك ، فالمراد من أهل البيت بنو هاشم كلهم ، آل علىّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، فلا خصوصية لعلىّ رضى الله عنه بهذا الحديث الذى يعتبره الشيعة من خصائصه .

* * *

(١) خم : واد بين مكة والمدينة قريب من الجحفة به غدير ماء وعنده خطب النبى صلى الله عليه وسلم خطبته المعروفة بخطبة غدير خم .

(٢) مسلم بشرح النووى : ١٧٩/١٥ .

## الدليل الثالث

من أدلة الشيعة حديث « مَنْ كنت مولاه فَعَلِيّ مولاه »[1] .

والحديث صحيح ، لكن تلك من مناقب عليّ وليست من خصائصه وللحديث مناسبة وسبب فقد حُكِيَ عن ابن عيينة أن عليًّا رضى الله عنه وأسامة تخاصما فقال عليّ لأسامة : أنت مولاى ، فقال : لست لك مولى إنما مولاى رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ كنتُ مولاه فَعليّ مولاه »[2] .

وهذا شبيه بقولنا فلان مولى بنى عامر أو بنى هاشم .

ويؤكد هذا المعنى حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الأنصار وقريش ، ومزينة ، وجهينة ، وغفار ، وأسلم ، وأشجع ، بعضهم موالى بعض ليس لهم مولى دون الله ورسوله »[3] .

فرسول الله ﷺ يخبرنا أن هذه القبائل المختلفة ليس لها مولى دون الله ورسوله . والله تعالى يقول : ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (محمد :١١) . ويقول عز من قائل : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة : ٧١) .

فهذه فضيلة لعليّ لا يحتج بها على أحقيته فى الولاية بعد رسول الله ﷺ .

وحديث من كنت مولاه فعليّ مولاه .. وإن صح إسناده إلا أنه لا يشتم منه رائحة الولاية وإنما يراد به ولاء الإسلام .

يقول الإمام البيهقى[4] « ذكرنا من طرق فى كتاب الفضائل ما دل على مقصود

---

(1) ابن حنبل : المسند : ٣٦٨/٤ ، ٣٧٠ من حديث البراء و ٣٦١/٥ من حديث بريدة بلفظ « مَن كنت وليه فَعليّ وليه » .
وأخرجه الترمذى فى مناقب عليّ ، تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى ، نشر محمد عبد المحسن الكتبى : ٢١٤/١ ، حديث رقم ٣٧٩٧ .

(2) ابن الأثير ، النهاية : ٢٢٨/٥ .

(3) البخارى ، المناقب ، فتح البارى شرح صحيح البخارى : ٥٤٢/٦ حديث رقم ٣٥١٢ .

(4) البيهقى ، الاعتقاد ص ١٦٧ و ١٦٨ . نشر أحمد المرسى ١٣٨٠ هـ .

النبى ﷺ من ذلك وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرتْ الشكاة عنه وأكثروا بغضه فأراد النبى ﷺ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على مودته وموالاته وترك معاداته فقال : « مَنْ كنت مولاه فعلىّ مولاه » . وفى رواية : « مَنْ كنت وليه فعلى وليه » . والمراد به ولاء الإسلام ومودته وعلى المسلمين أن يوالى بعضهم بعضًا ، ولا يعادى بعضهم بعضًا وهو فى معنى ما ثبت عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : والذى فلق الحبة وبرأ نسمته أنه لعهد النبى الأمى ﷺ إلى أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق »[(١)] . وكذا قال الإمام الشافعى أن المراد به فى الحديث ولاء الإسلام ، ذلك كقوله تعالى : ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لا مولى لهم﴾[(٢)] .

وذكر البيهقى أيضًا أنه لما سأل عنه الحسن بن علىّ رضى الله عنهم رجل رافضى فقال له : « لو يعنى به رسول الله ﷺ- كان أنصح للمسلمين وقال : يا أيها الناس . هذا ولىّ أمْرِكم والقائم عليكم من بَعْدِى فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله عز وجل ورسوله اختار عليًّا لهذا الأمر وجعله القائم به للمسلمين من بعده ثم ترك علىّ أمْرَ الله ورسوله لكان علىّ أول مَن ترك أمر الله ورسوله وأعظم الناس خطيئة وجرمًا فى ذلك »[(٣)] .

وقد ذكر الشيعة الحديث مطولاً واستدلوا على ذلك بأنه موجود فى بعض كتب أهل السّنة بهذا النص : « مَنْ كنت مولاه فعلى مولاهم اللَّهم وال مَنْ وَالاه وعاد مَنْ عاداه ، وانصرْ مَنْ نَصَرَه ، واخذلْ مَنْ خذَلَهُ وأدر الحق حيث ما دار »[(٤)] .

يقول الشيخ أبو حامد المقدسى[(٥)] : « إن الحق لا يدور مع أحد شخص معين بعد

---

(١) مسلم ، مسلم بشرح النووى : ١٤/٢ ، وقال عنه الترمذى حديث حسن صحيح ترمذى مع تحفة الأحوذى : ٢٤٥/١٠ .

(٢) سورة محمد آية ١١ .

(٣) البيهقى الاعتقاد ص ١٨١ .

(٤) الإمام أحمد : المسند : ١١٨/١ من حديث علىّ ، وكذا الترمذى من حيث علىّ ، وقال عنه الترمذى حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وهذا الحديث من رجال سنده المختار بن نافع وهو ضعيف جدًا قال عنه الإمام البخارى منكر الحديث ، وقال ابن حبان منكر الحديث جدًا ، فهو من المجروحين غير الثقات على الإطلاق . وقد أخرجه الحاكم فى مستدركه إلى قوله: وعاد من عاداه . والزيادة ليست إلا كذبًا ومحض اختلاق على رسول الله ﷺ .

(٥) المقدسى : رسالة فى الرد على الرافضة تحقيق الشيخ عبد الوهاب خليل الرحمن ، الناشر الدار السلفية بومباى ١٤٠٣ هـ ، ص ٢١٥ .

رسول الله ﷺ حيث ما دار . لا مع أبى بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علىّ رضى الله عنهم ، لأنه لو كان كذلك لكان بمنزلة النبى ﷺ يجب اتباعه فى كل ما يقول . ومعلوم أن عليًا رضى الله عنه كان ينازعه أصحابه وأتباعه فى مسائل كثيرة ولا يرجعون فيها إلى قوله ، بل فيها مسائل كثيرة وجد فيها نصوص النبى ﷺ توافق مَنْ نازعه لا قوله . منها المرأة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فإن عليًا أفتى بأنها تعتد أبعد الأجلين ، وعمر وابن مسعود وغيرهما افتوا بأنها تعتد بوضع الحمل ، وبهذا جاءت سُنّة النبى ﷺ ، وكان أبو السنابل بن بعكك[1] ، أفتى بمثل قول علىّ رضى الله عنه ، وقال النبى ﷺ كذب أبو السنابل قد حللت فأنكحى . يقول لسبيعة الأسلمية لمّا سألته عن ذلك[2] . فقولهم فلو دار الحق مع على دائمًا وحيثما دار معنى ذلك أنه أصبح نبيًا معصومًا ، فلا عصمة إلا لهم ولا دار الحق دائمًا إلا معهم وهم بذلك يغالون فى علىّ غلوًا شديدًا .

ويقول الإمام ابن تيمية : « إن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات . وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث ، والمرجع إليهم فى ذلك »[3] .

إن رسول الله ﷺ « وما ينطق عن الهوى » ، ولهذا فإن دعاءه مجاب وقوله ﷺ فيما زعموا « انصر من نصره واخذل مَنْ خَذَلَه » « فإن الواقع ليس كذلك فقد قاتل معه أقوام يوم صفين[4] فما انتصروا ، وأقوام لم يقاتلوا معه فما خذلوا كسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وبنو أمية الذين قاتلوه فتحوا كثيرًا من بلاد الكفار ونصرهم الله تعالى .

---

(١) أبو السنابل هو «ابن بعكك بن الحارث‌بن‌عميلة بن السابق بن عبدالله. الفقى ابن العبدرى القرشى قيل اسمه عمر، وقيل عبيد ربه، وقيل حبه. أسلم يوم الفتح، وروى عن النبى ﷺ قصة سبيعة الأسلمية » الإصابة : ٩٥/٤ .

(٢) عدة الحامل : تجب بسبب الموت أو الطلاق ، وتنتهى بوضع الحمل اتفاقًا ، لقوله تعالى : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ أى انقضاء أجلهن أن يضعن حملهن ، ولأن براءة الرحم لا تحصل فى الحامل - كما هو واضح - إلا بوضع الحمل . فإذا كانت المرأة حاملاً ، ثم طُلِّقتْ أو مات عنها زوجها انتهت عدتها بوضع الحمل ، ولو بعد الوفاة بزمن قليل ، بدليل أن « سبيعة بنت الحارث توفى عنها زوجها وهى حبلى ، فوضعت بعد نحو عشر ليال من وفاة زوجها ، ثم جاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أنكحى . وفى رواية : « فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى ، وأمرنى بالتزويج إن بدا لى » رواه الجماعة إلاّ أبا داود وابن ماجه عن أم مسلمة (الفقه الإسلامى وأدلته : للدكتور وهبه الزحيلى : ٦٣٤/٧ دار الفكر بدمشق ط١ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م) .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية : ٥٣/٧ .

(٤) صفين : مكان بالقرب من شاطئ الفرات الأيمن ، دارت فيه معركة كبرى بين علىّ رضى الله عنه ومعاوية رضى الله عنه وانتصر فيها معاوية . وكانا قد اتفقا على تحكيم القرآن الكريم .

وقوله : « اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه مخالفًا لأصول الإسلام . فإن القرآن الكريم قد بين أن المؤمنين مع اقتتالهم وبغى بعضهم على البعض هم إخوة مؤمنون »[1] .

كما قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات : آية ١٠]

* * *

(١) أبو حامد المقدسى : رسالة فى الرد على الرافضة ص ٢١٨ .

## الدليل الرابع

احتج الشيعة على دلالة أحقية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خلافة رسول الله ﷺ بحديث : « على مِنىِّ وأنا مِنه »[1] ، والحديث صحيح .

ورد فى البخارى[1] والترمذى[2] وغيرهما . ولكن ليس فى هذا الحديث أى خصوصية لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد ذكر مثله العباس وقال : « العباس منى وأنا منه » .

وذكر الحديث أحمد فى مسنده[3] والترمذى[4] .

فعن ابن عباس أن رجلاً وقع فى أب للعباس كان في الجاهلية ، فلطمه العباس ، فجاء قومه فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فصعد المنبر وقال : أىّ أهل الأرض تعلمون أكرم على الله ؟ قالوا : أنت . قال : فإن العباس منى وأنا منه » . قال عنه الشيخ أحمد شاكر[5] رحمه الله رحمة واسعة إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبى أحد رجال سند هذا الحديث إلا أن الحاكم فى مستدركه[6] قال : حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبى . وإننى أميل إلى هذا الرأى خصوصًا وإن بعض العلماء كابن حجر فى التقريب لم يجرح عبد الأعلى بن عامر الثعلبى بل قال فيه صدوق[7] .

وعلى فرض ضعف حديث رسول الله ﷺ الذى فيه « العباس منى وأنا منه » .

ففى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ كان فى مغزى له ، فلما فرغ من القتال فقال : « وهل تفقدون من أحد ، لكننى أفقد جليبيبا فوجدوه عند سبعة قد قتلهم وقتلوه » ، فأخبر النبى ﷺ فقال : قتل سبعة ثم قتلوه هذا منى وأنا منه قالها مرتين أو ثلاثًا ، ثم

---

(١) البخارى ، فتح البارى لابن حجر : ٥/ ٣٠٣ حديث رقم ٢٦٩٩ .
(٢) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى . باب « فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه » : ٢٢١/١٠ حديث رقم ٣٨٠٣ .
(٣) أحمد ، المسند : ٢/ ٩٢٥ حديث رقم ١٧٧ .
(٤) تحفة الأحوذى : ٢٦٤/١٠ ، حديث رقم ٣٨٤٨ فى مناقب العباس .
(٥) محقق من الجزء ١ : ١٦ من المسند .
(٦) الحاكم : المستدرك : ٣/ ٣٢٩ .
(٧) ابن حجر : تقريب طبعة النمكانى : ١/ ٤٦٤ .

مال بذراعيه هكذا فبسطها فوضع على ذراعى النبى ﷺ حتى حفر له فما كان له سرير إلا ذراعى النبى ﷺ دفن »[١] .

وحين مدح الأشعريين قال عنهم رسول الله ﷺ « هم مِنىّ وأنا منهم » [٢] .

فالحديث ليس من خصائص علىّ بل شاركه فى هذه المنقبة « الأشعريين » و « جليبيب » .

ثم إن لهذا الحديث مناسبة فمن حديث طويل عن البراء بن عازب رضى الله عنه[٣] . وفى آخره : « .. فخرج النبى ﷺ فتبعتهم ابنة حمزة : يا عم ، يا عم ، فتناولها علىّ فأخذها بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام : دونك ، ابنة عمك احمليها ، فاختصم فيها علىّ وزيد وجعفر ، فقال علىّ : أنا أحق بها ، وهى ابنة عمى . وقال جعفر : ابنة عمى وخالتها تحتى . وقال زيد : ابنة أخى ، فقضى بها النبى ﷺ لخالتها ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعلىّ : « أنت منى وأنا منك » . وقال لجعفر : أشبهت خَلْقى وخُلقى » وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » .

من هذا كله يعلم أن الحديث لا يدل على أفضلية علىّ أو خصوصيته فقد شاركه فى هذه المنقبة أكثر من واحد .

* * *

(١) لفظ مسلم فى صحيحه عن أبى برزة الأسمى أن النبى ﷺ كان فى مغزى له ، فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه : « هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : نعم ، فلانًا وفلانًا وفلانًا . ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟ » قالوا : لا . قال : « ولكنى أفتقد جليبيا ، فاطلبوه » ، فطلب فى القتلى ، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه . فأتى النبى ﷺ فوقف عليه فقال : « قتل سبعة ، ثم قتلوه . هذا منى ، وأنا منه ، هذا منى وأنا منه » . قال : فوضعه على ذراعه ، ليس له إلا ساعد النبى ﷺ . قال : فحفر له ووضع فى قبره ، ولم يذكر غسلاً » مسلم ، باب « فضائل جليبيب » صفحة ١٩١٨ حديث رقم ١٣١ .

(٢) البخارى ، باب « الشركة فى الطعام والنهد » : ١٣٨/٣ ونص الحديث الذى رُوى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو (أى فنى طعامهم) ، أو نفدت نفقة عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان معهم فى ثوب واحد ، ثم قسموه بينهم بالسويّة ، هم منى وأنا منهم » .

(٣) البخارى : ٣/ ١٨٤ - ١٨٥ .

## الدليل الخامس

ذكرهم حديث المؤاخاة بين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبين رسول الله ﷺ .

والحقيقة أن هذا الحديث من أكذب الموضوعات على رسول الله ﷺ فمن المعلوم للناس جميعًا أن رسول الله ﷺ لم يؤاخ بين مهاجرى ومهاجرى ، ولا بين أنصارى وأنصارى ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار أول الهجرة إلى المدينة المنورة ، وآخى بين عليّ بن أبي طالب وبين سهل بن حنيف . وكانوا يتوارثون في مبدأ الأمر بهذه المؤاخاة إلى أن نزل قول الله تعالى : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أوْلى ببعض فى كتاب الله﴾ .

وحديث رسول الله ﷺ لعليّ « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » ذكره الترمذى[1] .

وقد ذكر ابن مطهر الحلىّ الشيعى صاحب منهاج الكرامة أنّ الجمهور رووْا عن النبى ﷺ أنه قال لعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنت أخى ووصيى وخليفتى من بعدى وقاضى دَيْنى ، وهو نص فى الباب والحقيقة أن هذا الحديث لا أساس له من الصحة[2] .

يقول الإمام ابن تيمية « إن هذا الحديث ليس فى شيء من الكتب التى تقوم الحُجة بمجرد إسناده إليها ولا صححه إمام من أئمة الحديث .

وقوله رواه الجمهور : إن أراد بذلك أن علماء الحديث رووه فى الكتب التى يحتج

(١) تحفة الأحوذى : ١٠/ ٢٢٢ ، حديث ٣٨٠٤ ، قال عنه الترمذى حديث حسن غريب . وقال عنه صاحب تحفة الأحوذى شرح أحاديث الترمذ فى سنده حكيم بن جبير وهو ضعيف رُمِيَ بالتشيع .
وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده فى مناقب الصحابة عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده فى فضائل الصحابة : ٦٦٦/٢ ح ١١٣٧ قال الشيخ شاكر محقق المسند . إسناده ضعيف ففيه عبد المؤمن بن عباد العبدى ضعفه أبو حاتم ، وقال البخارى لا يتابع على حديثه ذكره الساجى ، وابن الجارود فى الضعفاء ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٢) قال أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الموضوعات ، لما رُوى هذا الحديث من طريق أبى حاتم البستى حدثنا محمد بن سهل بن أيوب ، حدثنا عمّار بن رجاء ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا مطر بن ميمون الإسكاف ، عن أنس أن النبي ﷺ قال : « إن أخى وزيرى وخليفتى من أهلى ، وخير من أترك بعدى ، يقضى دَيْنى ، وينجز موعدى : علىّ بن أبى طالب » قال : هذا حديث موضوع . قال ابن حبّان : مطر بن ميمون يروى الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه » ابن تيمية : المنهاج : ٣٥٥/٨ .

بما فيها مثل كتاب البخارى ومسلم ونحوهما ، وقالوا : إنه صحيح — فهذا كذب عليهم . وإن أراد بذلك أن هذا يرويه مثل أبى نعيم فى « الفضائل والمغازلى وخطيب خوارزم ونحوهم أو يُروى في كتب الفضائل ، فمجرد هذا ليس بحجة باتفاق أهل العلم فى مسألة الفروع ، فكيف فى مسألة الإمامة ، التى أقمتم عليها القيامة ؟ ! — وإن دين النبى ﷺ لم يقضه علىّ بل فى الصحيح أن النبى ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقًا من شعير ابتاعها لأهله . فهذا الدّيْن الذى كان عليه يُقْضَى من الرهن الذى رهنه ، ولم يعرف عن النبى ﷺ دَيْن آخر »[1] .

وإذا تمسّك الشيعة بالأحاديث الموضوعة . واعتبروا أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فإن رسول الله ﷺ قال عن أبى بكر الصديق فى الحديث الصحيح « أخى وصاحبى » . ونص الحديث « لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً »[2] .

فلفظ الأخوة على فرض صحة زعمهم لا يعتبر خاصا بعلىّ رضى الله عنه بل شاركه فى ذلك « أبو بكر » الصديق رضى الله عنه .

* * *

---

(١) ابن تيمية : المنهاج : ٨/ ٣٥٤ و ٣٥٧ .

(٢) مسلم : من فضائل أبى بكر رضى الله عنه : ٤/١٨٥٥ ، حديث ٣ ، ٤ .

## الدليل السادس

حديث الكساء رواه مسلم فى صحيحه[1] من حديث عائشة ، ورواه أحمد والترمذى من حديث أم سلمة[2] .

والحديث يبين أن رسول الله ﷺ أدار الكساء على علىّ بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين : ودعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا ، ففى رواية مسلم قالت عائشة : خرج النبى ﷺ غداة وعليه مَرْطٌ مُرَحَّل من شعر أسود « أى كساء عليه صور رحال الإبل » ، فجاء الحسن بن علىّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علىّ فأدخله ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾[3] .

وليس فى هذا الحديث أى خصوصية لعلىّ ، وكما دعا لأهل الكساء دعا أيضًا لغيرهم ، بل إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بأن يأخذ الزكاة ففيها تطهير وتزكية للمزكى ﴿خذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[4] .

وأكثر الصحابة تزكية وأخلصهم طهرًا وتقى هو الصديق رضى الله عنه بنص القرآن الكريم الذى أخبرنا عنه تعالى فى محكم آياته حينما أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله فنزل فيه قول الله تعالى : ﴿وَسَيُجنبها الأتقى * الذى يُؤتى مالَهُ يتزكى * وما لأحد عنده من نِعمة تجزى * إلا ابتغاء وَجْهِ ربِّه الأعلى * ولسوف يرضى﴾[5] .

فكما دعا رسول الله ﷺ لعلىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم دعا لغيرهم ، بل أمره الله تعالى بأن يُصَلى عليهم ﴿وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾[6] .. ومعنى صَلِّ عليهم « أى ادع لهم » ومن ذلك كله يتبين لنا أنه على فرض

(١) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب « فضائل أهل بيت النبى ﷺ » : ٤/١٨٨٣ .
(٢) أحمد : المسند (طبعة دار المعارف) : ٥/ ٢٥ - ٢٧ .
الترمذى : سنن الترمذى : ٥/ ٣٠ كتاب التفسير سورة الأحزاب : ٥/ ٣٢٨ (كتاب المناقب) .
(٣) الأحزاب : ٣٣ .
(٤) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٥) الليل : ١٧ : ٢١ .
(٦) سورة التوبة : ١٠٣ .

صحة حديث الكساء فإنه لا يوجب لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أفضليته أو أحقيته فى الخلافة بعد رسول الله ﷺ .

ولقد عكف العلامة الشيخ إبراهيم سليمان الجبهان على دراسة هذا الحديث وخرج بنتيجة هامة وهى عدم صحته للأسباب الآتية[1] :

أولا – لأن روايته عندنا لم تصل إلى حد التواتر ، وليس كلما صح سنده صح متنه ، وإنما يعول على السند عند عدم وجود تعارض بين المتن وبين الأدلة القطعية ، والقرآن مقدم على الحديث عند التعارض وعدم إمكان الجمع بينهما .

ثانيًا – لأن الروايات لم تتفق على تعيين الموضع الذى نزلت فيه الآية ، إذ أن رواية مسلم ، تقول إنها نزلت فى بيت عائشة ، وفى السنن أنها نزلت فى بيت أم سلمة . ووجود الاضطراب فى الروايتين يمنع من الأخذ بهما . ونحن لا نتأول كتاب الله لحديث هذه صفته بل علينا التمسك بظاهر القرآن .

ثالثًا – لأن القرآن الكريم ، لا يمكن أن يتعارض مع ما ثبت صدوره عن النبى ﷺ من قول أو تقرير أو عمل . فالنبى ﷺ إنما يفسر بأعماله وأقواله وتقريراته ما ورد فى القرآن الكريم .

فإذا كان قد ثبت أنه قد نسخ ببعض الأحاديث بعض الأحكام الشرعية الواردة فى القرآن كحديث : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) فإن النسخ إنما يختص بالأحكام الشرعية ولا يتناول الخصائص والمنح الإلهية .

رابعًا – إن القرآن قد نزل بلغة العرب ، وأهل بيت الرجل فى لغة العرب هم زوجاته ، وأصوله . وفروعه .

أما فى الشريعة الإسلامية فإن أهل بيت الرجل ، هم الذين تجب عليه نفقتهم ، ومعلوم أن علىّ بن أبى طالب وولديه (رضى الله عنهم) لم يكونوا عند نزول هذه الآية الكريمة ممن ينطبق عليهم الحكم الشرعى ، فى النفقة ، بل كان لعلىّ بيت خاص به وأهل بيت يتعلقون به وينسبون إليه وحده وعلى فرض صحة هذا الحديث ، فإن معنى الآية الكريمة ، ليس كما يظنون فإن الإرادة المقصودة فى هذه الآية الكريمة هى من جنس قوله

---

(١) إبراهيم سليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صفحة ١٤٧ – ١٤٨ ، ط ٢ نشر وتوزيع مكتبة الحرمين بالرياض ١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩ م .

تعالى : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ، وقوله تعالى : ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ ، وقوله تعالى : ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ .

فإرادته جل شأنه فى جميع هذه الآيات إنما تشير إلى النتائج التى تترتب على امتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وبعبارة أوضح : إنما يريد الله بإرشادكم أن يذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرًا أى يذهب عنكم بواعث الريبة وأسباب الشبهات .

وقد بيّن الشيخ العلامة إبراهيم الجبهان أن حديث الكساء الذى تمسّك به كل الشيعة وحاولوا من خلاله إثبات العصمة لعلىّ وأبنائه غير صحيح يقول فى نص طويل دقيق[1] .

أورد ابن جرير الطبرى . جميع الأحاديث والآثار التى قيل إنها وردت بتحديد من تعنيهم آية التطهير الواردة فى سورة الأحزاب ، وهذه الأحاديث كلها مردودة رواية ودراية بالأدلة الآتية :

أولاً – الحديث ورد بنحو أربع عشرة صيغة ورواية وكلها ساقطة من جهة الإسناد كما يأتى بيانه :

الحديث الأول – فى رواته (مندل . عن الأعمش . عن عطية بن سعد بن جنادة العوفى) .

ومندل . لينه أبو زرعة . وضعفه أحمد وقال العجلى ضعيف الحديث متشيع .

والأعمش مدلس . وقد عنعن :

وعطية العوفى . قال عنه أحمد إنه ضعيف الحديث . وكان الثورى وهشيم يضعفان حديثه . وقال الثورى بلغنى أن عطية كان يأتى الكلبى . فيأخذ عنه التفسير[2] وكان يكنيه أبا سعيد فيوهم السامع والناقل بأنه يروى عن أبى سعيد الخدرى . وقال ابن حبان عنه مثل ذلك . وقال : لا يحل كتابة أحاديثه . وقال البخارى فى حديث رواه عطية

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠٧ : ٥١٤ .

(٢) جميع ما فى كتب التفسير من الإسرائيليات والخرافات لم يتسرب إليها إلا عن طريق الكلبى والواقدى اللذين كانا من تلامذة وهب بن منبه وكعب الأحبار .

المذكور . أحاديث الكوفيين هذه مناكير . قال كان هشيم يتكلم فيه . وقد ضعفه النسائى وقال أبو حاتم لا يحتج به .

الحديث الثانى – عن طريق عائشة (رضى الله عنها) ومن رواته (مصعب بن شيبة المكى ضعفه . أبو داود وقال أحمد : أحاديثه مناكير) .

الحديث الثالث – عن طريق أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، وفى رواته (على بن زيد بن جدعان) وهو شيعى غالٍ . وقد ضعفه كثير من أئمة الحديث لاختلاطه وسوء حفظه .

الحديث الرابع – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) وفى رواته (شهر بن حوشب) وهو كما قال ابن حجر فى التقريب كثير الإرسال . والأوهام .

الحديث الخامس : عن طريق أم سلمة وفى رواته (شهر . وفضيل بن مرزوق الكوفى وعطية العوفى وفضل مشهور بالتشيع . وقد ضعفه غير واحد وقال ابن حبان كان يروى عن عطية العوفى الموضوعات .

الحديث السادس – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (مصعب بن المقدام عن سعيد بن زربى البصرى ومصعب ضعفه ابن المدينى – وسعيد بن زربى قال البخارى عنده عجائب) . وقد ضعفه الدارقطنى .

الحديث السابع – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفيه (فضيل بن مرزوق عن عطية) وقد تقدم الكلام عليهما .

الحديث الثامن – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (موسى بن يعقوب الرفعى) ضعفه النسائى وقال ابن المدينى . ضعيف منكر الحديث . وقال أحمد : لا يعجبنى .

الحديث التاسع – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (محمد بن سليمان الأصبهانى) وهو مضطرب الحديث . قال أبو حاتم لا يحتج به . وقد ضعفه النسائى .

الحديث العاشر – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (عبد الله بن عبد القدوس التميمى) قال ابن معين هو رافضى خبيث . وقال ابن معين ليس بشىء . وقال البخارى : أنه يروى عن قوم ضعاف ، وقال محمد بن مهران الحمال لم يكن بشىء .

كان يسخر منه يشبه المجنون يصيح الصبيان فى أثره . وقال أبو داود ضعيف الحديث يرمى بالرفض وقال الحاكم فى أحاديثه مناكير . وقد ضعفه النسائى والدارقطنى .

الحديث الحادى عشر – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (أبو داود الأعمى) واسمه نفيع بن الحارث وهو متروك الحديث . وقد كذبه ابن معين .

الحديث الثانى عشر – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (عبد الرحمن بن صالح) وهو من شيعة الكوفة . كان يتكلم بمثالب أزواج رسول الله ﷺ وأصحابه . قال أبو داود كان رجل سوء .

الحديث الثالث عشر – عن طريق أم سلمة (رضى الله عنها) ، وفى رواته (خالد بن مخلد) قال فيه عبد الله بن أحمد له أحاديث مناكير . وقال ابن سعد كان متشيعًا منكر الحديث مفرطًا فى التشيع ، وقال صالح بن محمد كان متهمًا بالغلو . وقال الجوزجانى كان شتامًا معلنًا لسوء مذهبه . وقال الأعين : قلت له : عندك أحاديث فى مناقب الصحابة . قال : قل فى المثالب . أو المثاقب ، وذكره الساجى والعقيلى فى عداد الضعفاء والوضاعين .

الحديث الرابع عشر – عن طريق واثلة بن الأسقع وفيه (الوليد بن مسلم) عن الأوزاعى . والوليد يدلس تدليس التسوية . وأحاديثه عن الأوزاعى كلها منكرة .

من هذا يتضح أن أسانيد هذه الأحاديث كلها متهافتة وساقطة . ولا تصلح لإثبات حق . ولا لنفى باطل .

ثانيًا – هذه الأحاديث كلها مختلفة لفظًا مضطربة معنى ودلالة :

ففى أحدها – ينسب إلى النبى ﷺ أنه قال : « نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على . وفى فاطمة وولديهما » .

وفى بعضها – أن النبى ﷺ أدخل الحسن وحده فى مرط مرجل . وقرأ آية التطهير .

وفى بعضها – أن عليًا وولديه وفاطمة (رضى الله عنها) ناموا عند النبى ﷺ فى بيت أم سلمة فغطاهم النبى ﷺ بعباءة وقال : « اللّهم هؤلاء أهل بيتى . فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » .

وفى بعضها – أن النبى ﷺ أجلسهم على كساء ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله

فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه قائلاً : « هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » .

وفى بعضها – أن واثلة بن الأسقع . قال إنى عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على وفاطمة . وحسن . وحسين ، فألقى عليهم كساء ثم قال : « اللّهم هؤلاء أهل بيتى . اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » فقلت : يا رسول الله وأنا . فقال وأنت ، قال فوالله لأوثق عمل عندى .

وفى بعضها أن النبى ﷺ قال : اللّهم هؤلاء أهلى . اللّهم أهلى أحق فقال واثلة : فقلت من ناحية البيت . وأنا يا رسول الله من أهلك . قال : وأنت من أهلى . قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرتجى .

وفى بعضها أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية دعا عليًا وولديه وفاطمة فجلل عليهم كساء خيبريا . وقال : « اللّهم هؤلاء أهل بيتى اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » فلما قالت أم سلمة ألستُ منهم قال أنت إلى خير .

وفى بعضها أن هذه الآية نزلت فى بيت أم سلمة . وهى جالسة على باب البيت . فقالت : يا رسول الله ، ألستُ من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير أنت من أزواج النبى ، وكان علىّ وفاطمة وولديهما فى البيت . وفى هذا الحديث لم يرد ذكر لكساء ولا لمرط ولا عباءة .

وفى بعضها أن النبى ﷺ جمع عليًا والحسن والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأر إلى الله قائلاً : « هؤلاء أهل بيتى » فقالت أم سلمة : أدخلنى معهم قال : إنك من أهلى ، وفى هذا الحديث لم يرد ذكر لفاطمة رضى الله عنها .

وفى بعضها أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية دعا حسنًا وحسينًا وفاطمة وأجلسهم بين يديه . وأجلس عليًا خلفه ثم تخلل هو وهم بالكساء ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » فقالت أم سلمة : (أنا معهم) قال : مكانك وأنت إلى خير .

وفى بعضها أن النبى ﷺ قال لأم سلمة لا تأذنى لأحد فجاءت فاطمة فلم تستطع أن تحجبها . ثم جاء الحسن فلم تستطع أن تمنعه . ثم جاء الحسين فلم تستطع أن تمنعه فاجتمعوا حول النبى ﷺ على بساط ، فجللهم النبى ﷺ بكساء كان عليه ثم قال :

« هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط فقالت أم سلمة وأنا ثم أقسمتْ أنه النبى ﷺ ما أنعم وإنما قال إنك إلى خير وهنا لم يرد ذكر لعلىّ .

من هذا يتضح أن المتتبع لصيغ هذه الأحاديث سيندهش ويتعجب لما يرى فيها تعارض وتناقض واختلاف .

فعدد من تشملهم آية التطهير يزيد وينقض حسب أمزجة الرواة – فهو فى أحد هذه الروايات . واحدًا . وهو فى الثانية خمسة . وهو فى الثالثة ينسى فاطمة (رضى الله عنها) وهو فى الرابعة يدخل أم سلمة . وهو فى الخامسة يجعلها على الهامش وهو في السادسة يدخل واثلة بن الأسقع وهو فى السابعة ينسى علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

أما الغطاء الذى جللوا به فهو مرة . كساء ومرة مرط . ومرة عباءة . ومرة ثوب .

وأما نزول هذه الآية فهو مرة فى بيت أم سلمة . ومرة فى بيت عائشة . ومرة قبل اجتماعهم . ومرة بعد اجتماعهم ، ومرة نزلت بمفردها ، ومرة نزلت من ضمن خمس آيات .

أما طريقة اجتماعهم . فمرة يدعوهم . ومرة يأتون إلى البيت بدون دعوة ومرة يجللهم بالكساء وهم نائمون . ومرة يجللهم بالكساء وهم جالسون إلى غير ذلك من التناقض والتعارض الذى يهدم بعضه بعضًا . ولا يصمد أمام البحث الجرىء والنقد البرىء .

ومن القواعد العلمية المقررة أن كل ما تعارض تساقط .

ثالثًا – جاء فى تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣) قول عكرمة عن ابن عباس (رضى الله عنه) (من شاء باهلته أن آية التطهير نزلت فى شأن نساء النبى ﷺ خاصة) .

رابعًا – لقد قال الله تبارك وتعالى قبل نزول آية التطهير مخاطبًا نبيه : ﴿يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا﴾ (الأحزاب : ٢٨ – ٢٩) .

وامتثالا لأمر الله تعالى خير النبى ﷺ زوجاته . فاخترن جميعا الله ورسوله والدار

الآخرة . فكانت مكافأتهن على هذا الاختيار مخاطبة الله لهن فى قوله تعالى : ﴿يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا * يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرًا﴾ (الأحزاب : ٣٠ - ٣٤) .

ولما كان ورود آية التطهير فى وسط آيات تخاطب نساء النبى ﷺ ولا تحتمل أى تأويل - فإن عملاء عبد الله بن سبأ اليهودى لم تعوزهم الحيلة . ولم تستعص عليهم الحلول . فقد وجدوا الحل الذى لن يكلفهم إلا تلفيق الأحاديث التى يمكن بواسطتها تحريف الكلم عن مواضعه . وصرف الآيات عن مقصودها وهذا ما حدث .

بل إن منهم من بلغت به الوقاحة إلى حد أن قال - إن آية التطهير لا علاقة لها بما قبلها . ولا بما بعدها من الآيات ، وإنها إنما وضعت بينها وأقحمت إقحامًا فى غير موضعها ، إما بأمر من النبى ﷺ أو عند التأليف بعد الرحلة[1] .

خامسًا - إذا كانت آية التطهير خاصة بعلىّ . وفاطمة وولديها رضى الله عنهم . (حسب مزاعم الشيعة) وكان التطهير قد تم قبل نزول هذه الآية فأى معنى للدعاء لهم بالتطهير أليس هذا الدعاء المزعوم هو من قبيل تحصيل الحاصل ، بل أليس هذا الدعاء دليل على أن من يؤمن بصحة مثل هذه الأحاديث إنما يعطي الدليل القاطع على قصور فى فهمه وانتكاس فى تفكيره وأن عليه أن يحترم الناس قبل أن يطالب الناس باحترامه .

وبهذا كله سقط هذا الدليل سقوطا تامًا وانهدم تأويلهم الفاسد لآية التطهير .

* * *

(١) الطباطبائى ، الميزان : ٣٣٠/١٦ ، الطبرسى ، مجمع البيان : ١٣٩/٢٢ .

# الدليل السابع

حديث الطير . فيذكر علماء الشيعة ومرجعهم الكبير ابن مطهر الحلىّ أن الجمهور كافة رووا خبر الطائر وذلك « أن النبى ﷺ أتى بطائر ، فقال : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك وإلىّ يأكل معى من هذا الطائر ، فجاء علىّ ، فدق الباب ، فقال أنس بن مالك : إن النبى ﷺ على حاجة ، فرجع . ثم قال النبى ﷺ كما قال أولاً ، فدقّ الباب ، فقال أنس : ألم أقلْ لك إنه على حاجة ؟ فانصرف ، فعاد النبى ﷺ ، فعاد علىّ فدق الباب أشد من الأولين ، فسمعه النبى ﷺ ، فأذن له بالدخول ، وقال : ما أبطأك عنى ؟ قال : جئت فردّنى أنس ، ثم جئت فردني أنس ، ثم جئت فردنى الثالثة ، فقال : يا أنس ما حملك على هذا ؟ فقال : رجوت أن يكون الدعاء لرجل من الأنصار فقال : يا أنس ، أو فى الأنصار خير من علىّ ؟ أو فى الأنصار أفضل من علىّ ؟ » [1] يقول : ابن مطهر الحلى « فإذا كان علىّ أحب الخلق إلى الله ، وجب أن يكون هو الإمام » .

---

(١) ذكر الإمام الشوكانى هذا الحديث مختصرًا فى كتابه الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة صفحة ٣٨٢ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ونصه « اللّهم ائتنى بأحب الناس إليك يأكل معى هذا الطير ». قال فى المختصر : له طرق كثيرة ، كلها ضعيفة ، وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .
وأما الحاكم ، فأخرجه فى المستدرك ، وصححه واعترض عليه كثير من أهل العلم ، ومن أراد استيفاء البحث فلينظر ترجمة الحاكم فى النبلاء .

وفى سنن الترمذى : ٣٠٠/٥ حديث رقم ٣٨٠٥ نص الحديث : « كان عند النبى صلى الله عليه وسلم طير ، فقال : اللّهم ائتنى بأحب خلقِك إليك يأكل معى هذا الطير ، فجاء علىّ فأكل معه » وقال الترمذى عن هذا الحديث : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث السُّدى إلا من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أنس » .

وقد علّق الحاكم فى مستدركه : ١٣٠/٣ ، ١٣١ على حديث الطير الذى رواه عن أنس بقوله : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفسًا ، ثم صحّت الرواية عن علىّ وأبى سعيد الخدرى وسفينة ، وفى حديث ثابت البنانى عن أنس زيادة ألفاظ ، كما حدثنا به الثقة المأمون أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على بن خالد السكونى »

وحين يشير الإمام الشوكانى إلى أهمية الرجوع إلى سير أعلام النبلاء لقراءة ترجمة الحاكم من خلالها نجد فيها قول الذهبى « ... ولقد كنت زمانًا طويلاً أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه فى « مستدركه » فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التى فيه ، فإذا حديث الطير بالنسبة إليها سماء »

ويقول الإمام ابن تيمية عن الحاكم فى كتابه منهاج السنة النبوية : ٣٧٣/٧ « إن الحاكم منسوب إلى التشيع ، وقد طُلب منه أن يروى حديثًا فى فضل معاوية فقال : ما يجىء من قلبى ، ما يجىء من قلبى ، وقد=

وهذا الحديث لم يصح عن رسول الله ﷺ ، ولم يصح عند أحد من شيوخ الحديث وأئمته ، وهو ظاهر الوضع والكذب على رسول الله ﷺ لأن أكل الطير ليس أمرًا عظيما يتناسب مع مجيء أحب الخلق إلى الله . وحتى على فرض احتمال صحته – وهذا غير صحيح – فإن المراد ائتنى بعبد هو من أحب الخلق إليك فيشاركه فيه غيره . مثل ما نقول فلان أذكى الناس وأكرمهم أى أنه من أذكى الناس ومن أكرمهم .

(يقول الإمام ابن تيمية « إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الأكل ، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا ، فأى أمر عظيم هنا يناسب جعل أحب الخلق إلى الله يفعله ؟ ! . وإن هذا الحديث يناقضه مذهب الرافضة ، فإنهم يقولون : إن النبى ﷺ كان يعلم أن عليًّا أحب الخلق إلى الله ، وأنه جعله خليفة من بعده . وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب الخلق إلى الله .

ورد آخر : أن يقال : إما أن يكون النبى ﷺ كان يعرف أن عليًّا أحب الخلق إلى الله ، أو ما كان يعرف ، فإن كان يعرف ذلك كان يمكنه أن يرسل بطلبه ، كما كان يطلب الواحد من الصحابة أو يقول : اللهم ائتنى بعلىّ فإنه أحب الخلق إليك . فأى حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك ؟ ! ولو سمى عليًّا لاستراح أنس من الرجاء الباطل ، ولم يغلق الباب فى وجه علىّ .

وإذا كان النبى ﷺ لم يعرف ذلك ، بطل ما يدعونه من كونه كان يعرف ذلك . ثم أن فى لفظه : « أحب الخلق إليك وإلىّ ، فكيف لا يعرف أحب الخلق إليه »[1] .

---

ضربوه على ذلك فلم يفعل ، وهو يروى فى « الأربعين » أحاديث ضعيفة بل موضوعة عند أئمة الحديث ، كقوله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، لكن تشيعه وتشيع أمثاله من أهل العلم بالحديث ، كالنسائى وابن عبد البر وأمثالهما ، لا يبلغ إلى تفضيله علىّ على أبى بكر وعمر ، فلا يُعرف من علماء الحديث مَنْ يفضله عليهما ، بل غاية المتشيع منهم أن يفضله على عثمان ، أو يحصل منه كلام أو إعراض عن ذكرِ محاسن من قاتله ونحو ذلك لأن علماء الحديث قد عصمهم وقيدهم ما يعرفون من الأحاديث الصحيحة الدالة ، على أفضلية الشيخين ، ومَنْ ترَفّض ممن له نوع اشتغال بالحديث ، كابن عقدة وأمثاله ، فهذا غايته أن يجمع ما يُروى فى فضائله من المكذوبات والموضوعات ، لا يقدر أن يدفع ما تواتر من فضائل الشيخين ، فإنها باتفاق أهل العلم بالحديث أكثر مما صح فى فضائل علىّ وأصح وأصرح فى الدلالة ، وأحمد بن حنبل لم يقل : إنه صح لعلىّ من الفضائل ما لم يصح لغيره ، بل أحمد أجَلّ من أن يقول مثل هذا الكذب ، بل نُقِلَ عنه أنه قال : « رُوِى له ما لم يُرْو لغيره » مع أن فى نقل هذا عن أحمد كلاما ليس هذا موضعه » .

والسيوطى فى كتابه « اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » : ٣٢٨/١ وما بعدها بين أنه موضوع ، وناصر الدين الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير » : ١٣/٢ ذكر أنه موضوع .

(١) ابن تيمية منهاج السنة النبوية : ٣٧٥/٧ .

إن خبر الطير لا يصح عند من له أدنى علم بعلوم الحديث ومصطلحه وتهافت مدلوله واضح لكل ذى بصر وبصيرة .

هذا .. وذلك الخبر أيضًا معارض بالأحاديث الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ فقد رُوِى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه على جيش « ذات السلاسل » فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك قال عائشة . فقلت من الرجال ، قال : أبوها ، قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب[1] .

وقد قال الإمام النووى : « هذا تصريح بعظيم فضائل أبى بكر وعمر وعائشة رضى الله عنهم . وفيه دلالة مبينة فى تفضيل أبى بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة »[2] .

(١) ابن حجر/ فتح البارى شرح أحاديث البخارى : ١٨/٧ .
(٢) النووى : مسلم بشرح النووى : ١٥/ ١٥٣ .

## الدليل الثامن

حديث عليّ باب العلم ونص الحديث : « أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها . فمن أراد العلم فليأت الباب »[1] .

وهذا الحديث ظاهر الاختلاف والوضع فمتنه يؤكد هذه الحقيقة ذلك أنه ما دام رسول الله ﷺ مدينة العلم فيجب أن يكون لهذه المدينة أبواب متعددة يبلغون هذا العلم . لأن العلم اليقينى الصحيح يؤخذ بالتواتر لا بخبر الواحد أو الباب الواحد .

وقد اعتبر ابن الجوزى[2] هذا الحديث من الموضوعات وأكد بطلانه .

---

(١) يقول الشوكانى فى كتابه الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٤٨ و٣٤٩ « رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعًا » . ورواه الطبرانى ، وابن عدى ، والعقيلى وابن حبّان عن ابن عباس أيضًا مرفوعًا .
وفى إسناد الخطيب : جعفر بن محمد البغدادى ، وهو متهم .
وفى إسناد الطبرانى : أبو الصلت الهروى ، عبد السلام بن صالح . قيل : هو الذى وضعه .
وفى إسناد ابن عدى : أحمد بن سلمة الجرجانى ، يحدث عن الثقات بالأباطيل .
وفى إسناد العقيلى : عمر بن إسماعيل بن مجالد ، كذاب .
وفى إسناد ابن حبان : إسماعيل بن محمد بن يوسف ، ولا يحتج به .
وقد رواه ابن مردويه عن علىّ مرفوعًا . وفى إسناده : من لا يجوز الاحتجاج به .
ورواه أيضًا ابن عدى عن جابر مرفوعًا بلفظ هذا – يعنى : عليًا – أمير البررة ، وقاتل العجزة ، منصور مَنْ نَصرَهُ ، مخذول مَنْ خذله . أنا مدينة العلم وعلىّ بابها . فمن أراد العلم فليأت الباب .
قيل : لا يصح . ولا أصل له . وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزى فى الموضوعات من طرق عدة ، وجزم ببطلان الكل ، وتابعه الذهبى وغيره .
وأجيب عن ذلك [القول للشوكانى] : بأن محمد بن جعفر البغدادى الفيدى ، قد وثقه يحيى بن معين . وأن أبا الصلت الهروى قد وثقه ابن معين والحاكم . وقد سئل يحيى عن هذا الحديث ، فقال : صحيح . وأخرجه الترمذى عن علىّ رضى الله عنه مرفوعًا .
وأخرجه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس مرفوعًا . وقال : صحيح الإسناد .
قال الحافظ ابن حجر : والصواب خلاف قولهما معًا . يعنى : ابن الجوزى ، والحاكم . وأن الحديث من قسم الحسن ، لا يرتقى إلى الصحة ، ولا ينحط إلى الكذب » .
ويقول الشيخ إبراهيم الجبهان فى كتابه تبديد الظلام ص ٩٥ : « إن النفور واضح بين كلمة « المدينة » وكلمة « العلم » . ولو قال « أنا بحر العلوم . وعلىّ شاطئه » لكان أنسب لأن العرب الذين كان يتكلم رسول الله ﷺ بلغتهم لم يسبق أن رُوِى عن متقدميهم أو متأخريهم ، استعمال كلمة « المدينة » كناية عن العلم » .

(٢) ابن الجوزى : الموضوعات : ١/ ٣٥٣ .

وإذا كان بعض العلماء مثل الحاكم فى مستدركه[١] قد صحح الحديث وقال بصحته فإن الذهبى تعقب الحديث وبين أنه موضوع وغير صحيح .

وعلى هذا فإن معظم علماء الحديث الثقات بينوا الوضع فى هذا الحديث[٢] .

---

(١) الحاكم : المستدرك : ٣/ ١٢٦ .

(٢) يقول الشيخ عبد الرحمن بن يحى المعلمى اليمانى محقق الفوائد المجموعة للشوكانى يقول فى هامش ص ٣٤٩ : هامش ص ٣٥٣ « كنت من قبل أميل إلى اعتقاد قوة هذا الخبر حتى تدبرته ، وله لفظان الأول « أنا مدينة العلم وعلىّ بابها » ، والثانى « أنا دار الحكمة وعلىّ بابها » ولا داعى للنظر فى الطرق التى لا نزاع فى سقوطها ، وانظر فيما عدا ذلك على ثلاثة مقامات :
المقام الأول : سند الخبر الأول إلى أبى معاوية ، والثانى : إلى شريك ، روى الأول عن أبى معاوية ، أبو الصلت عبد السلام بن صالح وحال أبى الصلت أنه كان من المجروحين المتهمين . وتبعه محمد بن جعفر الفيدى فعده ابن معين متابعًا وعده غيره سارقًا ، ولم يتبين من حال الفيدى ما يشفى ، ومن زعم أن الشيخين أخرجا له أو أحدهما فقد وهم . وروى جعفر بن درستويه عن أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين فى هذا الخبر قال : « أخبرنى ابن نمير قال : حدث به أبو معاوية قديمًا ثم تركه » ، وهذه شهادة قوية . لكن قد يقال : يحتمل أن يكون ابن نمير ظن ظنًا ، وذلك أنه رأى ذينك الرجلين زعمًا أنهما سمعاه من أبى معاوية وهما ممن سمع منه قديمًا ، وأكثر أصحاب أبى معاوية لا يعرفونه فوقع فى ظنه ما وقع . هذا مع أن ابن محرز له ترجمة فى تاريخ بغداد لم يذكر فيها من حالة إلا أنه روى عن ابن معين وعنه جعفر بن درستويه . نعم : ثم ما يشهد لحكايته ، وهو ما فى ترجمة عمر بن إسماعيل بن مجالد من كتاب ابن أبى حاتم أنه حدث بهذا عن أبى معاوية ، فذكر ذلك لابن معين فقال : « قل له : يا عدو الله .. إنما كتبت عن أبى معاوية ببغداد ولم يحدث أبو معاوية هذا الحديث ببغداد » . وروى اللفظ الثانى ، محمد بن عمر بن الرومى ، عن شريك ، وابن الرمى ، ضعفه أبو زرعة ، وأبو داود ، وقال أبو حاتم : « صدوق قديم روى عن شريك حديثًا منكرًا » يعنى هذا ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال ابن حجر فى التقريب « لين الحديث » ووهم من زعم أن الشيخين أخرجا له أو أحدهما ، وأخرجه الترمذى من طريقه ، ثم قال « غريب منكر » ، ثم قال وروى بعضهم هذا الحديث عن شريك ، ولم يذكروا فيه « الصنابحى » فزعم العلائى أن هذا ينفرد تفرد ابن الرومى ، ولا يخفى أن كلمة « بعضهم » تصدق بمن لا يعتد بمتابعته ، ولم يذكر فى اللآلئ أحدًا رواه عن شريك غير ابن الرومى إلا عبد الحميد بن بحر ، وهو هالك يسرق الحديث ، فالحق أن الخبر غير ثابت عن شريك . المقام الثانى ، على فرض أن أبا معاوية حدث بهذا ، وشريكًا حدث بذاك . فإنما جاء ذاك ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد » ، وجاء هذا عن « شريك عن سلمة بن كهيل » وأبو معاوية ، والأعمش ، وشريك ، كلهم مدلسون متشيعون ، ويزيد شريك بأنه يكثر منه الخطأ ، فإن قيل : إنما ذكروا فى الطبقة الثانية ، من طبقات المدلسين ، وهى طبقة من « احتمل الأئمة تدليسه ، وأخرجوا له فى الصحيح » ، قلت : ليس معنى هذا أن المذكورين فى الطبقة الثانية تقبل عنعنتهم مطلقًا ، كمن ليس بمدلس البتة ، إنما المعنى أن الشيخين انتقيا فى المتابعات ونحوها من معنعناتهم ، ما غلب على ظنهما أنه سماع ، أو أن الساقط منه ثقة ، أو كان ثابتًا من طريق أخرى ، ونحو ذلك كشأنهما فيمن أخرجا له ، ممن فيه ضعف ، وقد قرر ابن حجر فى نخبته ومقدمة اللسان ، وغيرهما ، أن من نوثقه ، ونقبل خبره من المبتدعة ، يختص ذلك بما لا يؤيد بدعته ، فأما ما يؤيد بدعته ، فلا يقبل منه البتة ، وفى هذا بحث ، لكنه حق فيما إذا كان مع بدعته مدلسًا ، ولم يصرح بالسماع ، وقد أعل البخارى فى تاريخه الصغير ص ٦٨ ، خبرًا رواه الأعمش ، عن سالم ، يتعلق بالتشيع بقوله « والأعمش لا يدرى، سمع هذا من =

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة ، عن حديث « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » ، « هذا الحديث إنما افتراه زنديق جاهل ظنه مدحًا ، وهو مطرق الزنادقة إلى القدح فى دين الإسلام ، إذ لم يبلغه إلا واحد . ثم إن هذا خلاف المعلوم بالتواتر ، فإن جميع مدائن الإسلام بَلَغهم العلم عن الرسول ﷺ من غير عليّ ، أما أهل المدينة ومكة

---

= سالم أم لا ، قال أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، أنه قال : نستغفر الله من أشياء كنا نرويها على وجه التعجب ، اتخذوها دينًا » ، ويشتد اعتبار تدليس الأعمش فى هذا الخبر خاصة ، لأنه عن مجاهد ، وفى ترجمة الأعمش ، من تهذيب التهذيب : « قال يعقوب بن شيبة فى مسنده : ليس يصح للأعمش ، عن مجاهد إلا أحاديث يسيرة قلت : لعليّ بن المدينى ، كم سمع الأعمش من مجاهد ؟ قال : لا يثبت منها إلا ما قال سمعت هى نحو من عشرة ، وإنما أحاديث مجاهد عنده عن أبى يحيى القتات ، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ، فى أحاديث الأعمش عن مجاهد ، قال أبو بكر بن عياش ، عنه حدثنيه ليث [ابن أبى سليم] عن مجاهد » أقول : والقتات وليث ، ضعيفان ، ولعل الواسطة فى بعض تلك الأحاديث من هو شر منهما ، فقد سمع الأعمش من الكلبى أشياء ، يرويها عن أبى صالح باذام ، ثم رواها الأعمش عن باذام تدليسًا ، وسكت عن الكلبى ، والكلبى كذاب ، ولا سيما فيما يرويه عن أبى صالح ، كما مر فى التعليق ص ٣١٥ ، ويتأكدوهن الخبر بأن من يثبته عن أبى معاوية ، يقول إنه حدث به قديمًا ، ثم كف عنه ، فلولا أنه علم وهنه لما كف عنه ، والخبر عن شريك اضطربوا فيه ، رواه الترمذى ، من طريق ابن الرومى « عن شريك . عن سلمة بن كهيل ، عن سويد بن غفلة ، عن الصنابحى ، عن عليّ » ، وذكر الترمذى أن بعضهم رواه عن شريك ، فأسقط الصنابحى ، والخبر فى اللآلئ من وجه آخر ، عن ابن الرومى نفسه . وعن عبد الحميد بن بحر ، بإسقاط سويد بن غفلة . وفيها ١٧١/١ : « قال الدارقطنى : حديث عليّ رواه سويد بن غفلة عن الصنابحى ، فلم يسنده ، وهو مضطرب ، وسلمة لم يسمع من الصنابحى » فالحاصل أن الخبر إن ثبت عن أبى معاوية لم يثبت عن الأعمش ، ولو ثبت عن الأعمش ، فلا يثبت عن مجاهد ، وأن المروى عن شريك ، لا يثبت عنه ، ولو ثبت لم يتحصل منه على شيء ، لتدليس شريك وخطئه ، والاضطراب الذى لا يوثق منه على شيء .

وفى اللآلئ طرق أخرى ، قد بين سقوطها ، وأخرى سكت عنها ، وهى :

( أ ) للحاكم بسند إلى جابر ، فيه أحمد بن عبد الله بن يزيد الحرانى ، المؤدب ، المترجم فى اللسان : ١/١٩٧ رقم ٦٢٠ ، قال ابن عدى : « كان بسامرا يضع الحديث » .

(ب) لعليّ بن عمر الحربى السكرى ، بسند إلى عليّ ، فيه « إسحاق [بن محمد] ابن مروان « عن أبيه » وهما تالفان ، مترجمان فى اللسان ، وفيه بعد ذلك من لم أعرفه ، وفى آخره « سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة » شيعيان متروكان .

(جـ) للفضلى ، بسند إلى جابر ، فيه من لم أعرفه عن « الحسين بن عبد الله التميمى » أراه الحسين بن عبيد الله التميمى ، المترجم فى اللسان : ٢٩٦/٢ وهو مجهول واه « ثنا خبيب » صوابه : « حبيب بن النعمان » شيعى مجهول ، ذكر فى اللسان أن الطوسى ذكره فى رجال الشيعة .

( د ) للديلمى بسند إلى سهل بن سعد ، عن أبى ذر ، فيه من لم أعرفه ، عن « محمد بن عليّ بن خلف العطار » متهم ترجمته فى اللسان : ٢٨٩/٥ رقم ٩٨٨ ، ثنا موسى بن جعفر بن إبراهيم .. » تالف ، ترجمته فى اللسان : ١١٤/٦ « ثنا عبد المهيمن بن العباس » متروك .

المقام الثالث : النظر فى متن الخبر . كل من تأمل منطوق الخبر ، ثم عرضه على الواقع ، عرف حقيقة الحال ، والله المستعان . الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى محقق الفوائد للشوكانى هامش ص ٣٤٩ : ٣٥٣ .

فالأمر فيهما ظاهر ، وكذلك الشام والبصرة ، فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن عليّ ، إلا شيئًا قليلاً ، وإنما كان غالب علمه فى الكوفة ، ومع هذا فأهل الكوفة كانوا يعلمون القرآن والسنّة قبل أن يتولى عثمان ، فضلاً عن عليّ . وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين فى خلافة عمر ، وتعليم معاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من عليّ . ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر مِمّا روَوا عن عليّ ، وشريح وغيره من أكابر التابعين إنما تفقهوا على معاذ بن جبل . ولما قدِم عليّ الكوفة كان شريح فيها قاضيًا . وهو وعبيدة السلمانى تفقها على غيره ، فانتشر علم الإسلام فى المدائن قبل أن يقدم عليّ على الكوفة »[١] .

ورغم أن الحديث موضوع فإنه « ليس مفيدًا لمدعاهم إذ لا يلزم أن من كان باب مدينة العلم فهو صاحب رياسة عامة بلا فصل بعد النبى ﷺ ، غايته أن شرطًا من شروط الإمامة قد تحقق فيه بوجه أتم ، ولا يلزم من تحقيق شرط واحد وجود المشروط بالشروط الكثيرة »[٢] .

وقد ترتب على زعم الشيعة بأن عليًا مدينة العلم اعتباره أعلم الصحابة . وهذه فرية واضحة على ابن عم رسول الله ﷺ ، وقد رد على هذه الفرية الشيخ مجد الدين الفيروز آبادى ردًا علميًا مقنعًا ذكره أبو حامد المقدسى فى رسالته فى الرد على الرافضة[٣] حيث بيّن الفيروز آبادى أن علم الصحابى رضى الله عنه إنما يُعرف بأحد وجهين :

**أحدهما** : كثرة رواياته وفتاواه .

**والثانى** : كثرة استعمال النبى ﷺ إياه ، فنظرنا فوجدنا النبى ﷺ قد وَلّى أبا بكر للصلاة بحضرته طول علته وجميع أكابر الصحابة رضى الله عنهم حضور كعليّ وعمر وعثمان وابن مسعود وأُبيّ وغيرهم فآثره على جميعهم . فوجب ضرورة أن يُعلم أن أبا بكر رضى الله عنه أعلم الناس بالصلاة وشرائعها . وأعلم من المذكورين بها . وهى

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة : ٧/ ٥١٦ و ٥١٧ .

(٢) شاه الدهلوى : مختصر التحفة الاثنى عشرية صفحة ١٨٦ ، الناشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامع – السلفية بنارس ، الهند ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

(٣) أبوحامد المقدسى : رسالة فى الرد على الرافضة من صفحة ٢٥١ : ٢٥٥ باختصار ، ونفس هذا الكلام بنصه ذكره ابن حزم الأندلسى فى الفصل : ٤/٢١٢ ، ٢١٣ ، ولعل العلامة الشيخ أبو حامد المقدسى نقله من الفصل وسها فكتب الفيروز آبادى بدلاً من ابن حزم الأندلسى ، أوأن العلامة الفيروز آبادى نقلها عن ابن حزم .

عمود الدين . ووجدنا ﷺ قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن يكون عنده من علم الصدقات كالذى عند غيره من علماء الصحابة لا أقل منه . وربما أكثر . أما ترى الفقهاء قاطبة . إنما اعتمدوا على الحديث الذى رواه أبو بكر رضى الله عنه فى الزكاة جعلوه أصلاً فيها[١] .ولم يعرجوا على ما رواه غيره .

أما الحديث الذى رواه علىّ رضى الله عنه فأعرضوا عنه بالكلية لاضطراب طرقه وفيه

---

(١) قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى ثُمامة بن عبد الله بن أنس أن أنسًا حدثه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له هذا الكتاب لَمَّا وجَّهَهُ إلى البحرين : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فَلْيُعْطها ، ومن سُئِلَ فوقها فلا يُعْطِ : فى أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم من كلِّ خَمسٍ شاة ، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنتُ مَخاضٍ أنثى ، فإذا بلغت ستًا وثلاثين إلى خمس وأربعين أنثى ففيها بنتُ لَبونٍ أنثى ، فإذا بلغت ستًا وأربعين إلى ستين ففيها حِقَّة طَروقةُ الجمل ، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جَذَعةٌ ، فإذا بلغت – يعنى ستًا وسبعين – إلى تسعين ففيها بنتا لَبونٍ . فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائةٍ ففيها حِقَّتان طروقتا الجمل . فإذا زادت على عشرين ومائة ففى كلِّ أربعين بنتُ لبون وفى كل خمسينَ حقَّةٌ . ومن لم يكن معه إلا أربعٌ من الإبل فليس فيها صدقةٌ إلا أن يشاء ربُّها ، فإذا بلغت خمسًا من الإبل ففيها شاةٌ . وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاةٌ . فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان ، فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائةٍ ففيها ثلاث ، فإذا زادت على ثلاثمائة ففى كلِّ مائة شاةٌ ، فإذا كانت سائمةُ الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أنْ يشاء ربُّها . وفى الرقة رُبعُ العُشر ، فإن لم تكن إلا تسعين ومائةً فليس فيها شيءٌ إلا أن يشاء ربُّها » [فتح البارى : ٣٧١/٣ حديث ١٤٥٤ كتاب الزكاة ، باب « زكاة الغنم] طبعة دار الريّان القاهرة .

ذكر المجد فى المنتقى أن هذا الحديث رواه أحمد والنسائى وأبو داود . وذكر رحمه الله أن البخارى قَطَعَهُ فى عشرة مواضع . وقال : ورواه الدارقطنى كذلك ، وله فيه رواية فى صدقة الإبل : « فإذا بلغت إحدى وعشرين ومائة ففى كلِّ أربعين بنتُ لَبون ، وفى كلِّ خمسين حِقَّةٌ » قال الدارقطنى : هذا إسناد صحيح ورواته كلهم ثقات . ا هـ .

وقال الشوكانى : الحديث أخرجه أيضًا الشافعى والبيهقى والحاكم . قال ابن حزم : هذا كتاب فى نهاية الصحة عمل به الصديق بحضرة العلماء ولم يخالفه أحد ؛ وصححه ابن حبان أيضًا وغيره . ا هـ [نيل الأوطار للشوكانى : ٥/ ١٢٥ كتاب الزكاة ، باب « صدقة المواشى » طبعة الكليات الأزهرية – القاهرة] .

* غريب الحديث :

* بنت مخاض : بفتح الميم والمعجمة الخفيفة وآخره معجمة ، هى التى أتى عليها حول ودخلت فى الثانى وحملت أمها ، والماخض الحامل ، أى دخل وقت حملها وإن لم تحمل .
* بنت لبون : قال الحافظ : وابن اللبون الذى دخل فى ثالث سنة فصارت أمه لبونًا بوضع الحمل .
* حقة طروقة الجمل : أى بلغت أن يطرقها الفحل ، وهى التى أتت عليها ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة .
* جذعة : بفتح الجيم والمعجمة ، التى أتت عليها أربع ودخلت فى الخامسة .
* الرقة : بكسر الراء وتخفيف القاف : الفِضّة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة .

فتح البارى : ٣/ ٣٧٢ – ٣٧٦ .

ما لم يقل به أحد من الأئمة . فإن فيه فى كل خمس وعشرين من الإبل خمس شاة لا غيره .

فكان أبو بكر رضى الله عنه أعلم بالزكاة التى هى أحد أركان الدين .

وأما الحج فإنه لما فُرض سنة تسع على الصحيح بادر ﷺ وجهز المسلمين حيث لم يتفرغ بنفسه ولبيان جواز التأخير ، وَأَمَّرَ عليهم أبا بكر رضى الله عنه ليعلم الناس المناسك ، ومن المستحيل تقديمه فى هذا الأمر الخطير المشتمل على علوم من قواعد الدين . وثم من هو أعلم منه .

فلما حج وكانت سورة براءة مشتملة على كثير من المناسك ، وعلى مناقب أبى بكر رضى الله عنه ، أرسل عليًا رضى الله عنه ليقرأها على الناس . فلما قَدِم علىّ قال له أبو بكر أمير أو مأمور ؟ فقال : بل مأمور . فقرأه على الناس ليستمع الناس مناقب أبى بكر من لسان علىّ رضى الله عنه ليكون أوقع فى النفوس وأدخل فى القلوب والرءوس ويكون أعلى فى إظهاره لفضل أبى بكر رضى الله عنه وأدل على علو قدره .

ثم وجدنا ﷺ قد ألزم نفسه فى جلوسه ومسافرته وسيره وإقامته أبا بكر رضى الله عنه فشاهد أحكامه وفتاواه أكثر من مشاهدة علىّ رضى الله عنه ، فصح أن أبا بكر أعلم بها ، فهل بقيت من العلم بقية إلا وهو المقدم فيها ، فبطل دعواهم فى أن عليًا كان أعلم الصحابة .

وأما الرواية والفتوى ، فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يعش بعد رسول الله ﷺ إلا سنتين وستة أشهر ، ولم يفارق المدينة إلا حاجًا أو معتمرًا ولم يحتج الناس إلى ما عنده من الرواية عن رسول الله ﷺ لأن كل من حواليه أدركوا النبى ﷺ ، وعلى ذلك كله فقد روى عنه عن النبى ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا مسندة ، ولم يرد عن علىّ إلا خمسمائة وست وثمانون حديثًا مسندة ، يصح منها نحو خمسين ، وقد عاش بعد رسول الله ﷺ أزيد من ثلاثين سنة ، فكثر لقاء الناس إياه ، وحاجتهم إلى ما عنده ، لذهاب جمهور الصحابة رضى الله عنهم ، وكثر سماع أهل الآفاق منه مرة بصفين وأعوامًا بالكوفة ومرة بالبصرة ، والمدينة ، فإذا نسبنا مدة أبى بكر من حياته وأضفنا تقرى علىّ البلاد بلدًا بلدًا وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبى بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حواليه إلى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث ، وفتاوى من فتاوى ، علم كل ذى حظ من العلم أن الذى كان عند أبى بكر من العلم أضعاف ما كان عند علىّ

منه ، وبرهان ذلك أن من عمر من أصحاب رسول الله ﷺ عمرًا قليلا قل النقل عنهم ، ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم ، إلا اليسير من اكتفى بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس ، وقد عاش علىّ بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عامًا غير شهر ، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثًا ، يصح منها نحو خمسين كالذى عن علىّ سواء بسواء ، فكل ما زاد حديث علىّ على حديث عمر تسعة وأربعين حديثًا فى هذه المدة الطويلة ، ولم يزد عليه فى الصحيح إلا حديثًا أو حديثين .

وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علىّ فى أبواب الفقه ، فإذا نسبنا مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثًا إلى حديث ، وفتاوى إلى فتاوى ، علم كل ذى حسن علمًا ضروريًا أن الذى كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند علىّ من العلم ، ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها ألفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد ، وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند وأربع وسبعين مسندًا ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريبًا من مسند عائشة لكل واحد منهما ، ووجدنا مسند جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس ، لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسمائة ، ووجدنا لابن مسعود ثمانمائة مسند ونيف ، ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى علىّ أو نحوها ، فبطل هذه الوقاح الجهال[1] .

ومن المعروف أن أبا بكر كان أكثر ملازمة رسول الله ﷺ من على ، وفى البخارى عن أبى سعيد الخدرى فى الصحيحين قال : كان أبو بكر أعلمنا بالنبى ﷺ[2] .

وكان أبو بكر وعمر أكثرا جلوسًا وملازمة لرسول الله ﷺ من علىّ رضى الله عنه بشهادة علىّ نفسه حيث يقول : « إنى كثيرًا ما كنت أسمع النبى ﷺ يقول : « جئت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر »[3] .

وإذا كان علىّ رضى الله عنه قال فى خطبة له فى أهل الكوفة « سلونى قبل أن تفقدونى » . فإنه على فرض صحة هذا القول « فإنما كان يخاطب بهذا أهل الكوفة ليعلمهم العلم والدين ، فإن غالبهم كانوا جهالاً لم يدركوا النبى ﷺ . وأما أبو بكر فكان الذين حول منبره هم أكابر أصحاب النبى ﷺ الذين تعلموا من رسول الله ﷺ

---

(١) ابن حزم : الفصل : ٤/ ٢١٢ .
(٢) البخارى : ١/ ١٠٠ ، كتاب الصلاة .
(٣) البخارى : ٥/ ٩ – ١٠ ، ١١ .

العلم والدين ، فكانت رعية أبى بكر أعلم الأمة وأدينها ، وأما الذين كان علىّ يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين ، وكان كثير منهم من شرار التابعين . ولهذا كان علىّ رضى الله عنه يذمهم ويدعو عليهم ، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيرًا منهم وأما أبو بكر فلم يسأل عليًّا قط عن شىء . وأما عمر فكان يشاور الصحابة : عثمان وعليًّا وعبد الرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم . فكان علىّ من أهل الشورى ، كعثمان وابن مسعود وغيرهما ، ولم يكن أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليًّا بسؤال[(١)] .

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على أبى بكر وعمر وقال فيهما : « اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر »[(٢)] .

وقال : « إن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا »[(٣)] .

ومن المعروف أن رسول الله ﷺ كان يقدم فى الشورى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

وعلماء أهل السنة يجمعون على أن أبا بكر أعلم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

والإمام النووى يقول : « أجمع أهل السُنة على أن أبا بكر رضى الله عنه أفضل أمة رسول الله ﷺ ، وأقدمهم فى الشجاعة والعلم رضى الله عنه »[(٤)] .

وعلىّ نفسه يشهد بذلك ، ففى البخارى عن محمد بن الحنفية وهو ابن علىّ بن أبى طالب . قال : قلت لأبى أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم عمر . وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين »[(٥)] .

وقد ترتب على قول الشيعة بأن عليًّا كان أعلم الصحابة ، قولهم أيضًا بأنه كان أقرؤهم للقرآن وهذا كذب واضح فإن رسول الله ﷺ يقول : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة »[(٦)] .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية : ٥٠٨/٥ و ٥١٣ .
(٢) الترمذى ، مع تحفة الأحوذى : ١٤٧/١٠ ، حديث رقم ٣٧٤٢، وقال الترمذى : هذا حديث حسن .
(٣) مسلم : باب « قضاء الصلاة الفائتة » : ٤٧٢/١ حديث رقم ٣١١ .
(٤) النووى : مسلم بشرح النووى : ٢١٢/١ .
(٥) ابن حجر : فتح البارى : ٢٠/٧ حديث ٢٦٧١ .
(٦) مسلم بشرح النووى : ١٧٢/٥ ، ١٧٣ .

ثم اختار ﷺ الصديق للإمامة أثناء مرضه فعلم أنه كان أقرؤهم وأفقه الصحابة وأقدمهم هجرة . وكما يقول ابن حزم « وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب أقرأ مِمّن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به ، وأحسنهم ترتيلاً .

هذا على أن أبا بكر وعمر وعليًا لم يستكمل أحد منم حفظ سواد القرآن كله ظاهرًا ، إلا أنه قد وجب يقينًا بتقديم النبى ﷺ لأبى بكر على الصلاة وعلىّ حاضر أن أبا بكر أقرأ من علىّ ، وما كان النبى ﷺ ليقدم إلى الإمامة الأقل علمًا بالقراءة على الأقرأ ، أو الأقل فقهًا على الأفقه »[1] .

ويقول المقدسى : « وقد نشأ عن هذا لبعض الزائفين من الرافضة سؤال باستفهام إنكار ، وهو هل كان أبو بكر يحفظ القرآن يريد بذلك تنقيصه عند من لا يعلم . والإجابة : إن قصد بذلك استنقاصه فهو كافر . وليس حفظ جميع القرآن شرطًا فى كمال الإيمان ولا فى صحته قال الله تعالى : ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾[2] .

وأيضًا فإن عليًا رضى الله عنه لم يكن يحفظ القرآن كله ولا عمر ولا أكثر الصحابة وفى الحديث المشهور المخرج من الصحيحين وغيرهما إن الذين جمعوا القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة أنفار فقط . أعنى كما حفظوه بكماله وجمعوا بين طرفيه وهم معاذ بن جبل ، أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد المعروف بقيس بن السكن بن زعوراء الأنصارى رضى الله عنهم وليس علىّ منهم »[3] .

* * *

(١) ابن حزم : الفصل : ٤/٢١٥ .
(٢) المزمل : ٢٠ .
(٣) أبو حامد المقدسى : رسالة فى الرد على الرافضة ص ٢٦١ .

## الدليل التاسع

حديث « أقضاكم عليّ »[1] .

والحقيقة أنه قول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قاله بعد موت أبى بكر الصديق رضى الله عنه « أُبَىّ أقرؤنا ، وعلىّ أقضانا » [2] .

وعلى فرض صحة حديث « أقضاكم علىّ » فإن ذلك لا يوجب أحقيته فى خلافة رسول الله ﷺ بعد موته صلوات ربى وسلامه عليه ، فالقاضى يحكم عادة بظاهر ما يراه ويسمعه . وقد يظلم فى قضائه نتيجة ما يسمعه أو يراه ظاهرًا . ورسول الله ﷺ يقول : « إنكم تختصمون إلىّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »[3] .

وقد ادعى قوم من صالحى المسلمين على بعض أهل الشر يقال لهم « بنو أُبَيْرق » أنهم سرقوا لهم طعامًا ودروعًا ، فجاء من برأ « بنى أُبَيْرق » من السرقة ، فظن النبى ﷺ صدقهم ، حتى أنزل الله تعالى قوله : ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا . واستغفر الله ، إنّ الله كان غفورًا رحيمًا * ولا تجادلْ عن الذين يختانون أنفسَهُمْ إن الله لا يحب من كان خوّانًا أثيمًا﴾[4] (النساء :١٠٥-١٠٧) .

---

(١) ابن ماجه : المقدمة : ١/٥٥ .

(٢) البخارى : كتاب التفسير ص ٢ - ٧ .

العجلونى : كشف الخفاء : ٢/١٦١ - ١٦٣ .

(٣) البخارى : ٣/١٨٠ ، باب « من أقام البينة بعد اليمين » .

(٤) عن أسباب نزول هذه الآيات ذكر جلال الدين السيوطى فى كتابه لباب النقول فى أسباب النزول (طبعة دار المعرفة بيروت) على هامش تفسير الجلالين صفحة ١٠٥ وما بعدها روى الترمذى والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنى أبيرق. بشر ، وبشير ومبشر ، وكان بشير رجلاً منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب يقول : قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة فى الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، فابتاع عمى رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك فجعله فى مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف ، فَعُدِىَ عليه من تحت فنقبت المشربة ، وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتانى عَمِّى رفاعة فقال : يا ابن أخى ، إنه قد عدى علينا فى ليلتنا هذه فنقبت=

وهناك علم أعلى بكثير من العلم بالقضاء ، وهو العِلم بالحلال والحرام الذى اختُصّ به معاذ بن جبل حيث قال رسول الله ﷺ : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل »[١] .

ومن المعلوم أن هذا الحديث أقوى من حديث « أقضاكم علىّ » ، بل إن الإمام ابن تيمية يرى ضعفه وبطلانه ويقول : « إذا كان قوله ﷺ أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل » أصح إسنادًا وأظهر دلالة ، عُلِمَ أن المحتج بذلك على أن عليًّا أعلم من معاذ جاهل ، فكيف من أبى بكر وعمر اللذين هما أعلم من معاذ ؟ ! مع أن الحديث الذى فيه ذِكر معاذ وزيد بعضهم ضعّفه ، وبعضهم يحسِّنه ، والذى فيه ذِكر علىّ فضعيف أو باطل »[٢] .

فإن قال الشيعة إن رسول الله ﷺ قد استعمل عليًّا على الأخماس وعلى القضاء باليمن ؟

فإن ابن حزم الأندلسى يرد على ذلك فيقول : « نعم ولكن مشاهدة أبى بكر لأقضية رسول الله ﷺ أقوى فى العلم وأثبت مِمّا عند علىّ وهو باليمن ، وقد استعمل

---

=شربتنا، وذُهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا فى الدار، وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بنى أُبيرق استوقدوا فى هذه الليلة ولانرى فيما نرى إلاّ على بعض طعامكم ، فقال بنو أبيرق : ونحن نسأل فى الدار والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ورجل منا له صلاح وإسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه . أنا أسرق ؟ ! والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة ، قالوا : إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا فى الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لى عمى : يا ابن أخى لو أتيت رسول ﷺ فذكرت ذلك له ، فأتيته ، فقلت : أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى ، فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال رسول الله ﷺ : سأنظر فى ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له « أسير بن عروة » ، فكلموه فى ذلك ، فاجتمع فى ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة ؟ فرجعت فأخبرت عمى فقال : الله المستعان ، فلم نلبث أن نزل القرآن الكريم : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ بنى أُبيرق « واستغفر الله » أى مما قلت لقتادة إلى قوله : ﴿وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ . فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعة ، ولحق بشير بالمشركين ، فنزل على « سلافة بنت سعد » ، فأنزل الله: ﴿ومَنْ يشاقق الرسول مِن بَعد ما تبين له الهدى﴾ ، إلى قوله تعالى: ﴿ومن يُشرِك بالله فقد ضل ضلالا بعيدًا﴾ (النساء :١١٥،١١٦).

قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(١) الترمذى : سنن الترمذى : ٣٣٠/٥ ونصه « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أُبَىّ بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح » . والحديث موجود فى سنن ابن ماجه : ٥٥/١ ، ومسند الإمام أحمد : ١٨٤/٣ .

(٢) ابن تيمية : المنهاج : ٥١٥/٧ .

رسول الله ﷺ أبا بكر على بعوث فيها الأخماس ، فقد ساوى عِلمه علم عليّ فى حكمها بلا شك ، إذ لا يستعمل ﷺ إلاّ عالمًا بما يستعمله عليه ، وقد صح أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله ﷺ وهو عليه السلام يعلم ذلك ، ومحال أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم من دونهما ، وقد استعمل عليه السلام أيضًا على القضاء باليمن مع عليّ معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعرى ، فلعليّ فى هذا شركاء كثير ، منهم أبو بكر ، وعمر ، ثم قد انفرد أبو بكر بالجمهور الأغلب من العلم »[1] .

* * *

(١) ابن حزم : الفِصل : ٢١٤/٤ .

## الدليل العاشر

قول رسول الله ﷺ فى علىّ فى غزوة خيبر « لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله »[1]

والحديث ذكره البخارى وهو صحيح .

والشاهد فى هذا الحديث عند الشيعة هو أن عليًّا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

والحقيقة أنه ليس فى هذا الحديث أى خصوصية لعلىّ فقد شاركه فى هذه المنقبة والفضيلة : أبو بكر وعمر وعثمان وعبيدة بن الجراح والحسن والحسين وغيرهم من الصحابة .

ففى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم صلّ على أبى بكر فإنه يحبك ، ويحب رسولك ، اللّهم صلّ على عمر فإنه يحبك ويحب رسولك ، اللّهم صلّ على عثمان ، فإنه يحبك ويحب رسولك ، اللّهم صلّ على عبيدة بن الجراح ، فإنه يحبك ويحب رسولك ، اللّهم صلّ على عمرو بن العاص فإنه يحبك ويحب رسولك ، كذا رواه يزيد عن مالك بن يخامر مرسلاً ، وغيره عن معاذ »[2] .

وعن عدى بن ثابت قال سمعت البراء يقول : رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن علىّ على عاتقه وهو يقول : « اللّهم إنى أحبه فأحبه »[3] .

وقال الله تعالى فى حق أبى بكر وأصحابه : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ .

---

(١) ابن حجر : فتح البارى صحيح البخارى : ٤٧٦/٧ حديث رقم ٤٢١٠
وقال ابن حجر فى شرح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : إن عليًّا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، أراد بذلك حقيقة المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علىّ فى مطلق هذه الصفة ، قال : وفى الحديث تلميح بقوله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ .

(٢) الحافظ أبى نعيم الأصبهانى : كتاب الإمامة والرد على الرافضة تحقيق د . على بن محمد بن ناصر الفقيهى ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

(٣) ابن حجر : فتح البارى شرح أحاديث البخارى : ٩٤/٧ ، حديث رقم ٣٧٤٩ .

وقال فى حق أهل مسجد قباء : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين﴾ .

وقال فى أصحاب بدر : ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ .

والفقهاء وأئمة علماء الإسلام متفقون على تفضيل أبى بكر وعمر على سائر الصحابة يقول الإمام الشافعى : « ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين فى تفضيل أبى بكر وعمر ، وتقديمهما على جميع الصحابة . وإنما اختلف من اختلف منهم فى عليّ وعثمان : منهم مَنْ قدّم عليًا على عثمان ، ومنهم من قدّم عثمان على عليّ . ونحن لا نخطئ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا »[١] .

واحتج الشيعة بأن عليًا الذى حمل راية خيبر لأنه أشجع الصحابة لهذا اختاره رسول الله ﷺ لحمل راية فتح خيبر .

وقد بين ابن حزم الأندلسى خطأ هذا الرأى فقال فى الفِصَل « وجدناهم يحتجون بأن عليًا كان أكثر الصحابة جهادا وطعنا فى الكفار وضربًا ، والجهاد أفضل الأعمال . وهذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقسامًا ثلاثة[٢] :

**أحدهما** : الدعاء إلى الله عز وجل باللسان .

**والثانى** : الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير .

**والثالث** : الجهاد باليد فى الطعن والضرب .

فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر أما أبو بكر فإن أكابر الصحابة رضى الله عنهم أسلموا على يديه ، فهذا أفضل عمل وليس لعليّ من هذا كبير حظ ، وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرًا وجاهد المشركين بمكة بيديه ، فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية ، وهذا أعظم الجهاد ، فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما ولاحظ لعليّ فى هذا أصلا وبقى القسم الثانى : وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصًا لأبى بكر ثم لعمر ، وبقى القسم الثالث : وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد ببرهان ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ لاشك عند كل مسلم أنه

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعى . تحقيق السيد أحمد صقر رحمه الله : ٤٣٤/١ ، طبعة دار التراث ، القاهرة ١٣٩١هـ .

(٢) ابن حزم : الفصل : ٤/ ٢١١ – ٢١٢ ، تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر ، د/ عبد الرحمن عميرة ، طبعة شركات مكتبات عكاظ ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م السعودية .

المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان فى أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإدارة .

وكان أقل عمله ﷺ الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفسا ويدًا وأتمهم نجدة ، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعال ، قدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان أبو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه إيثارًا من رسول الله ﷺ له بذلك واستظهارًا برأيه فى الحرب ، وأنسًا بمكانه ، ثم كان عمر ربما شورك فى ذلك أيضًا ، وقد انفرد بهذا المحل دون علىّ ودون سائر الصحابة إلا فى الندرة ، ثم نظرنا مع ذلك فى هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن ، والضرب ، والمبارزة ، فوجدنا عليًا رضى الله عنه لم ينفرد بالسبق فيه بل قد شاركه فى ذلك غيره شركة العنان ، كطلحة ، والزبير ،وسعد ، وممن قتل فى صدر الإسلام كحمزة ، وعُبَيْدة بن الحَارثِ بن المطلب ومصعب بن عمير ، ومن الأنصار سعد بن معاذ ، وسماك بن خرَشة وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه فى ذلك بحظ حسن وإن لم يلحقا بحظوظ هؤلاء ، وإنما ذلك لشغلها بالأفضل من ملازمة رسول الله ﷺ ، ومؤازرته فى حين الحرب وقد بعثهما رسول الله ﷺ على البعوث ، أكثر مما بعث عليًا ، وقد بعث أبا بكر إلى بنى فزارة وغيرهم ، وبعث عمر إلى بنى فلان ، وما نعلم لعلىّ بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحه ، وقد بعث إليه قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه ، فحصل أرفع أنواع الجهاد خالصًا لأبى بكر وعمر ، وقد شاركا عليًا فى أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم » .

ونحن لا ننكر أن عليًا كان شجاعًا ، ولكنه كان واحدًا من شجعان العرب مثل أبى طلحة بن عبيد الله ، وأبى دجانة وخالد بن الوليد والبراء بن مالك والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وسهل بن جنيف . ولقد قال رسول الله ﷺ عن خالد بن الوليد : « نعم عبد الله ، وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، وسيف من سيوف الله سلّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين »[1] .

وقال رسول الله ﷺ عن أبى طلحة « صوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل »[2] .

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند : ١٧٣/١ تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .
(٢) السيوطى : « صحيح الجامع الصغير » : ٢٤٩/٥ وهو صحيح الإسناد .

وفى سيرة ابن هشام فى النفر الذين قاموا دون رسولِ الله ﷺ يوم أحد قال ابن هشام : « تَرّس دون النبى ﷺ أبو دجانة بنفسه : يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص دون النبى ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول : « ارم فداك أبى وأمى » حتى إنه ليناولنى السهم ما له نصل ، فيقول : « ارم به »[١] .

ويوم « أحد » أخذ رسول الله ﷺ سيفه وأصحابه حوله فقال : مَن يأخذ هذا السيف فليسطر أيديهم يقول : هذا أنا وهذا أنا ، فقال : مَن يأخذه بحقه قال : فأحجم القوم . فقال سماك أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ، فدفعه إليه رسول الله ﷺ ففلق به هام المشركين »[٢] .

وكان البراء بن مالك مقاتلا جلدًا ، ومبارزًا كبيرًا عن أخيه أنس بن مالك ، قال : استلقى البراء بن مالك على ظهره ثم ترنّم . فقال له أنس : « اذكر الله » أى أخى ، فاستوى جالسًا فقال : أى أنس ترانى أموت على فراشى وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت فى قتله »[٣] .

وعلىّ نفسه يشهد لأبى بكر بأن أبا بكر كان أشجع الناس فعن محمد بن عقيل عن علىّ رضى الله عنه أنه خطبهم فقال : « يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر . إنّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا ، فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى عليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بَكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوى إليه أحدٌ إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحاده ، وهذا يتلتله ويقولون أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويقاتل هذا وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربىّ الله ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلّت لحيته . ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فبكت القوم ، فقال علىّ :

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : ٨٦/٣ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، نشر مصطفى الحلبى القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .

(٢) مسلم : من فضائل أبى دجانة سماك بن خرشة : ٤/ ١٩١٧ .

(٣) الطبرانى : المعجم الكبير : ٢١٧/١ ، حديث رقم ٦٩٢ .

فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه »[١] .

وهذه كلمة حق فى الصديق أبى بكر من رجل حق صادق هو علىّ بن أبى طالب .

وليس غريبا بعد ذلك أن يقول صاحب السريرة النقية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه « قَدَّم رسول الله ﷺ أبا بكر يُصلِّى بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض . ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى ، فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا » [٢] .

أما مسألة خيبر ، فالصحيح « أن عليًّا لم يكن حاضرًا فيها ، تخلف عن الغزاة لأنه كان أرمد . ثم إنه شق عليه التخلف عن النبى ﷺ ، فلحقه ، فقال النبى ﷺ قبل قدومه : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » . ولم تكن الراية قبل ذلك لأبى بكر ولا لعمر ، ولا قربها واحد منهما ، بل هذا من الأكاذيب ، ولهذا قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، وبات الناس كلهم يرجون أن يعطاها ، فلما أصبح دعا عليًّا ، فقيل له : إنه أرمد ، فجاءه فتفل فى عينيه حتى برأ ، فأعطاه الراية .

وكان هذا التخصيص جزاء مجىء علىّ مع الرمد ، وكان إخبار النبى ﷺ بذلك وعلىّ ليس بحاضر لا يرجونه من كراماته ﷺ ، فليس فى الحديث تنقيض بأبى بكر وعمر أصلا »[٣] .

وإننا لا ننتقص أبدًا من شجاعة علىّ بل إن أحدًا لا ينكر بطولته يوم الهجرة حين نام على سرير رسول الله ﷺ لكن إن احتج الشيعة ببأسه وشجاعته فلقد كان فى صحابة رسول الله ﷺ كما ذكرنا من هو فى مثل شجاعته ، وإن كانت الشجاعة فضيلة ، لكنها ليست سببًا لاستحقاق الخلافة وإلا استحقها من هو أكثر شجاعة من علىّ رضى الله عنه مثل سيف الله المسلول خالد بن الوليد .

وقول الشيعة إن عليًّا كان أشجع الناس قول عار من الصحة تمامًا لأن عليًّا نفسه يعلنها صريحة قوية أن رسول الله ﷺ كان أشجع الناس ، قال علي : « كان إذا اشتد

---

(١) البزار : مسند البزار .

(٢) الإمام النووى : تهذيب الأسماء واللغات : ١٩١/٢ ، المطبعة المنيرية بالقاهرة .

(٣) ابن تيمية : المنهاج : ٣٦٦/٧ ، ويقول ابن تيمية فى المنهاج : ١٢٣/٨ : « إن خيبر لم تفتح كلها فى يوم واحد ، بل كانت حصونا متفرقة ، بعضها فتح عنوة ، وبعضها فتح صلحًا ، ثم كتموا ما صالحوا عليه النبى ﷺ ، فصاروا محاربين ، وقد رُوِى أن عليًّا اقتلع باب حصن خيبر » .

البأس اتقينا برسول الله ﷺ ، فهو كان أقرب إلى العدو منا »[1] . ولقد بالغ الشيعة فى إضفاء العديد من الأساطير والأباطيل عن شجاعة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ذكر بعضها العلامة إحسان إلهى ظهير[2] رحمه الله ونقلها عن أهم مراجعهم فى التفسير وكتبهم المعتمدة لديهم .

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند : ٢٢٨/٢ .

(٢) مما ذكره إحسان إلهى ظهير فى كتابه الشيعة وآل البيت ص ١٦٠ وما بعدها ، طبعة إدارة ترجمان السنة بلاهور – باكستان طبعة ثالثة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

« يحكون أن أبا وابلة قال : كنت أماشي فلانا ، أى عمر بن الخطاب – كما صرح باسمه المجلسى فى كتابه « حياة القلوب » . والمجلسى من أهم وأبرز علماء الشيعة » . إذ سمعت منه همهمة ، فقلت له : مه ، ماذا يا فلان . قال : ويحك أما ترى الهزبر القضم ابن القضم ، والضارب بالبهم ، الصنديد على من طغى وبغى ، بالسيفين والراية ، فالتفت فإذا هو علىّ بن أبى طالب ، فقالت له : يا هذا هو علىّ بن أبى طالب ، فقال : ادن منى أحدثك عن شجاعته وبطولته ، بايعنا النبى يوم أحد على أن لا نفر ، ومن فر منا فهو ضال ، ومن قُتِلَ منا فهو شهيد والنبى زعيمه ، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون ، فأزعجونا عن طحونتنا ، فرأيت عليًا كالليث يتقي الذر وإذ قد حمل كفًا من حصى فرمى به فى وجوهنا ثم قال : شاهت الوجوه وقطت وبطت ولطت ، إلى أين تفرون ؟ إلى النار ، فلم نرجع ، ثم كرّ علينا الثانية وبيده شفيحة يقطر منها الموت ، فقال : بايعتم ثم نكثتم ، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل ، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان نارًا ، أو كالقدحين المملوءين دمًا ، فما ظننت إلا ويأتى علينا كلنا ، فبادرت أنا إليه من بين أصحابى فقلت : يا أبا الحسن ! الله الله ، فإن العرب تكرّ وتفرّ وإن الكرة تنفى الفره ، فكأنه عليه السلام استحيى فولى بوجهه عنى ، فما زالت أسكن روعة فؤادى ، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبى حتى الساعة (تفسير القمى : ١١٤/١، ١١٥) .

ورووا فى شجاعة علىّ قصصًا كثيرة ، ومنها ما رواه القطب الراوندى :

« إن عليًا بلغه عن عمر ذكره شيعته فاستقبله فى بعض طرق البساتين وفى يد على عليه السلام قوس فقال : يا عمر ! بلغنى عنك ذكرك شيعتى فقال : أربع على ظلعك فقال عليه السلام : إنك لهٰهنا ، ثم رمى بالقوس على الأرض فإذا هو ثعبان كالبعير فاغرا فاه وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه فصاح عمر الله الله يا أبا الحسن ! لاعدت بعدها فى شيء ، وجعل يتضرع إليه فضرب بيده إلى الثعبان فعادت القوس كما كانت فمضى عمر إلى بيته مرعوبا (كتاب الخرائج والجرائح ص ٢٠ ، ٢١) .

وأيضًا ما ذكره سليم بن قيس العامرى الشيعى اللعان السباب الخبيث أن عليًا شتم عمر وهدده بقوله : والله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لرجعت إليك يمينك ، لئن سللت سيفى لأغمدته دون إزهاق نفسك فرمّ ذلك ، فانكسر عمر وسكت وعلم أن عليًا إذا حلف صدق ، ثم قال علىّ عليه السلام : يا عمر ! ألست الذى هم بك رسول الله وأرسل إلىّ فجئت متقلدًا بسيفى ، ثم أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عز وجل : ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعدلهم عدا﴾ ، قال ابن عباس : ثم إنهم تآمروا وتذاكروا فقالوا لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل حيا ، فقال أبو بكر : من لنا بقتله ؟ فقال عمر : خالد بن الوليد ، فأرسلا إليه ، فقالا : يا خالد ! ما رأيك فى أمر نحملك عليه ؟ قال : احملانى على ما شئتما ، فوالله ! إن حملتمانى على قتل ابن أبى طالب لفعلت ، فقالا : والله ما نريد غيره قال : فإنى لها ، فقال أبو بكر : إذا قمنا فى الصلاة ، صلاة الفجر ، فقم إلى جانبه ومعك السيف ، فإذا سلمت فاضرب عنقه ، قال : نعم ! فافترقوا على ذلك ، ثم إن أبا بكر تفكر فيما أمر به من قتل علىّ عليه السلام وعرف إن فعل ذلك وقعت حرب شديدة وبلاء طويل ، فندم على أمره فلم ينم ليلته =

. . . . . . . .

تلك حتى أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة فتقدم فصلي بالناس مفكرًا لا يدرى ما يقول ، وأقبل خالد بن الوليد متقلدا بالسيف حتى قام إلى جانب عليّ وقد فطن عليّ ببعض ذلك ، فلما فرغ أبو بكر من تشهده صاح قبل أن يسلم يا خالد ! لا تفعل ما آمرتك ، فإن فعلت قتلتك ، ثم سلم عن يمينه وشماله ، فوثب عليّ عليه السلام فأخذ بتلابيب خالد وانتزع السيف من يده ثم صرعه وجلس على صدره وأخذ سيفه ليقتله واجتمع عليه أهل المسجد ليخلصوا خالدا فما قدروا عليه ، فقال العباس حلفوه بحق القبر لما كففت فحلفوه بالقبر فتركه وقام فانطلق إلى منزله (كتاب مسلم بن قيس العامرى ص ٢٥٦ — ٢٥٧) .

هذا ولقد بالغوا وأكثروا فى شجاعته وقالوا : كان يملك من القوة حتى « إن عليًا ركضْ برجله الأرض يومًا فتزلزلت الأرض (تفسير البرهان : مقدمة ص ٧٤) .

وتزلزلت يومًا فركضها حتى سكنت كما يكذب الصافى :

« عن فاطمة عليها السلام قالت : أصاب الناس زلزلة على عهد أبى بكر وفزع الناس إلى أبى بكر وعمر فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى عليّ عليه السلام ، فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى باب عليّ عليه السلام فخرج عليهم غير مكترث لما هم فيه ، فمضى واتبعه الناس حتى انتهوا إلى تلعة فقعد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتج جائية وذاهبة ، فقال لهم عليّ : كأنكم قد هالكم ماترون ؟ قالوا : وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط ؟ فحرك شفتيه وضرب بيده الشريفة ، ثم قال : مالك اسكنى ، فسكنت بإذن الله ، فتعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم الأول حيث خرج إليهم ، قال لهم : فإنكم تعجبتم من صنعى ؟ قالوا : نعم ! قال : أنا الرجل الذى قال الله : ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان مالها﴾ فأنا الإنسان الذى يقول لها : مالك ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ إياى تحدث (الصافى ص ٥٧١) .

وأكثر من ذلك أنه صرع إبليس يومًا بقوته الجبارة كما رواه ابن بابويه القمى فى « عيون أخبار الرضا » : ٧٢/٢ .

هذا ومثل هذا كثير .

وما دمنا بدأنا فى هذا نريد أن نكمل البحث بإيراد حكاية باطلة غريبة تدل على أكاذيب القوم وأساطيرهم التى نسجوها ، وبنوا عليها مذهبهم ، وأسسوا عليها عقائدهم وهى منقولة من « كتاب الأنوار النعمانية » للسيد نعمة الله الجزائرى الشيعى فإنه يقول :

روى البرسى فى كتابه لما وصف واقعة خيبر « وإن الفتح فيها كان على يد عليّ عليه السلام ، وإن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ مستبشرًا بعد قتل مرحب ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن استبشاره فقال : يا رسول الله ! إن عليًا لما رفع السيف ليضرب به مرحبا أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده فى الهواء حتى لا يضرب بكل قوته ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف غلى طبقات الأرض فقال لى الله سبحانه : يا جبرائيل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف عليّ عن الوصول إلى ثور الأرض حتى لا تنقلب الأرض ، فمضيت فأمسكته فكان على جناحى أثقل من مدائن قوم لوط وهى سبع مدائن قلعتها من الأرض السابعة ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحى إلى قرب السماء وبقيت منتظرًا الأمر إلى وقت السحر حتى أمرنى الله بقلبها ، فما وجدت لها ثقلا كثقل سيف عليّ فسأله النبى صلى الله عليه وسلم : لِمَ لا قلبتها من ساعة رفعتها ؟ فقال : يارسول الله ! إنه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه ، وشيبته إلى السماء ، فاستحى الله سبحانه أن يعذبهم ، فلما أن كان وقت السحر انقلب ذلك الشائب عن قفاه فأمرنى بعذابها ، وفى ذلك اليوم أيضًا لما فتح الحصن وأسروا نساءهم فكان فيهم صفية بنت ملك الحصن ، فأتت النبى ﷺ وفى وجهها أثر شجة ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقالت : إن عليًا لما أتى الحصن وتعسر عليه=

. . . . . . . . . . .

* * *

=أخذه أتى إلى برج من بروجه ، فهزّه فاهتز الحصن كله ، وكل من كان فوق مرتفع سقط منه وأنا كنت جالسة فوق سريرى فهويت من عليه ، فأصابنى السرير فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : يا صفية ! إن عليًّا لما غضب وهزّ الحصن غضب الله لغضب علىّ عليه السلام فزلزل السموات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم وكفى به شجاعة ربانية ، وأما باب خيبر فقد كان أربعون رجلا يتعاونون على سدّه وقت الليل ، ولما دخل الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان فى يده بمنزلة الترس بقاتل فهو فى يده حتى فتح الله عليه (الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائرى) .

## الدليل الحادى عشر

قولهم إن عليًّا أتقى الصحابة وأزهدهم .

ونحن لا نشك أبدًا فى أن عليًّا كان تقيا زاهدًا إلا أن أبا بكر كان أتقى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

يقول ابن حزم : « والبرهان على ذلك أنه لم يسىء قط أبو بكر رسول الله ﷺ فى كلمة ولا خالف إرادته عليه السلام فى شىء قط ، ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد مَن تردد ، وقد تكلم رسول الله ﷺ على المنبر إذ أراد علىّ نكاح ابنة أبى جهل بما قد عرف ، وما قد وجدنا قط لأبى بكر توقفًا عن شىء أمر به رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة عذره فيها رسول الله ﷺ وأجاز له فعله ، وهى إذ أتى رسول الله ﷺ من قباء فوجده يصلى بالناس ، فلما رآه أبو بكر تأخر ، فأشار إليه النبى ﷺ أن أقم مكانك ، فحمد الله تعالى أبو بكر على ذلك ثم تأخر فصار فى الصف ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلىّ بالناس فلما سلّم قال له رسول الله ﷺ ، ما منعك أن تثبت حين أمرتك ، فقال أبو بكر : ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله ﷺ . فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله ﷺ ، وما أنكر عليه السلام ذلك عليه ، وإذ قد صح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول الله ﷺ فقد وجب أنه أخشاهم لله عز وجل ، قال الله عز وجل : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1] ، والتقى هو الخشية لله عز وجل[2] .

وبالنسبة للزهد فإننا لا ننكر أن عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه كان زاهدًا صادقا فى زهده ، لكن أبا بكر الصديق كان أزهد الصحابة جميعًا وبرهان ذلك ما ذكره ابن حزم الأندلسى قال[3] : إن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت ، وعن المال ، وعن اللذات ، وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى ، فأما غروب النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشىء من

---

(١) فاطر : ٢٨

(٢) ابن حزم : الفِصل : ٢١٥/٤ .

(٣) ابن حزم : الفِصل :٢١٦/٤ – ٢١٨ .

الأخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم ، فأنفقها كلها في ذات الله تعالى ، وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ، ولم يعتق عبيدًا جلدًا يمنعونه ، لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل .

حتى هاجر مع رسول الله ﷺ ولم يبق لأبي بكر من جميع ماله إلا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله ﷺ ولم يُبق لبنيه منها درهمًا ، ثم أنفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء إلا عباءة له قد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضى الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها ، إلا أن من آثر بذلك سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ، ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال ، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمقاسم مع رسول الله ﷺ فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا علىّ ولا غيره ، إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين فإنهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله ﷺ وتوسع من سواهم من الصحابة رضى الله عنهم في المباح الذي أحله الله عز وجل لهم ، إلا أن من أثر على نفسه أفضل ، ولولا أن أبا ذر لم يكن سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله ، فهذا هو الزهد في المال واللذات ، ولقد تلى أبا بكر عمر رضى الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في إعراضه عن المال واللذات ، وأما علىّ رضى الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد ، سوى الخدم والعبيد وتوفى عن أربعة وعشرين ولدًا من ذكر وأنثى ، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار ، ومن جملة عقاره التي تصدق بها ما كانت تغل ألف وَسْقٍ تمرًا سوى زرعها فأين هذا من هذا ؟

وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر في هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار ، فقد كان لأبي بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة في كل باب من أبواب الفضل في الإسلام ، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر[1] وله مع النبي ﷺ

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . شهد عبد الرحمن بدرًا وأُحدًا مع قومه كافرًا ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، توفى سنة ٥٣هـ بمكة .

صحبةٌ قديمة وهجرة سابقة ، وفضل ظاهر ، فما استعمل أبو بكر رضى الله عنه منهم أحدًا على شىء من الجهات ، وهى بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها ،وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر ، وسائر أعمال الحجاز ، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلاً . ولكن خشى المحاباة وتوقع أن يميله إليهم شىء من الهوى ، ثم جرى عمر على مجراه فى ذلك فلم يستعمل من بنى عدى بن كعب أحدًا على سعة البلاد وكثرتها ، وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس إلى خراسان ، إلا النعمان بن عدى[1] وحده على ميسان ، ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس فى شىء من أفخاذ قريش لأن بنى عدى لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر ، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذوى السوابق وأبى الجهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبدالله وابنه عبدالله بن عمر ، ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ، ولا استعمل عمر ابنه عبدالله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك أهلاً ، ولم استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ، ووجدنا عليًا رضى الله عنه إذ ولى قد استعمل أقاربه عبدالله بن عباس على البصرة ، وعبيدالله بن العباس على اليمن ، وخثعم ومعبدًا بنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن نميره وهو ابن أخته أم هانى بنت أبى طالب على خراسان ، ومحمد بن أبى بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ، ورضى ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة ، ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبدالله بن العباس للخلافة ، فكيف إمارة البصرة لكنا نقول إن من زهد فى الخلافة لولد مثل عبدالله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر والناس متفقون عليه ، وفى تأمير مثل طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد ، فلاشك فى أنه أتم زهدًا أو أعزب عن جميع معانى الدنيا يقينًا ممن أخذ منها ممّا أبيح له أخذه ، فصح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر رضى الله عنه أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده .

ولا تزال ترن فى أذنى كلمات الصديق أبى بكر حين شعر بدنو أجله ، فقد جاءت أم المؤمنين عائشة إلى أبى بكر وهو على فراشه فتمثلت هذا البيت :

لعمـرك مـا يغنى الثراء عن الفـتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

---

(١) النعمان بن عدى بن نضلة العدوى ، شاعر ، صحابى ، مات سنة ٣٠هـ .

« فنظر إليها كالغضبان ، ثم قال : ليست كذاك يا أم المؤمنين ، ولكن ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ [سورة ق : ١٩] ، إنى قد كنت نَحَلْتُكِ حائطًا ، وإنّ فى نفسى منه شىء ، فردّيه إلى الميراث ، قالت : نعم ، فرددته ، فقال : أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين ، لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بُطوننا ، ولبسنا من خَشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشى ، وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر ، وَارِئى فيهن ففعلت .

فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلتْ دموعه تسيل فى الأرض ، ويقول رحم الله أبا بكر ، لقد أُتعب مَن بَعْده . يا غلام : ارفعهن ، فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله ، تسلب عيال أبى بكر عبدًا حبشيًا وبعيرًا ناضحًا وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم ؟ قال : فما تأمر ؟ قال : تردهن على عياله . قال : لا والذى بعث محمدًا بالحق ، أو كما حلف ، لا يكون هٰذا فى ولايتى أبدًا ، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله ، الموت أقرب من ذلك[1] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٣/ ١٩٦ و ١٩٧ .

## المبحث الرابع

# أدلة الشيعة من القرآن الكريم

## الدليل الأول

استدلت الشيعة على أحقية على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خلافة رسول الله ﷺ بعد موته أنه لما نزل قول الله تعالى : ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾[1] جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب وهم أربعون رجلاً ، وقال لهم : « إن الله بعثنى بالحق إلى الخلق كافة ، وبعثنى إليكم خاصة ، فقال : ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾ ، فمن يجيبنى إلى هذا الأمر ، ويؤازرنى على القيام به يكن أخى ووزيرى ، ووصيى ، ووارثى ، وخليفتى من بعدى . فلم يجبه أحد منهم إلا على بن أبى طالب فقال له : فأنت أخى ووزيرى ووصيىّ ، ووارثى ، وخليفتى من بعدى »[2] .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ .

(٢) ذكرت هذا الحديث باختصار .. وقال الإمام ابن تيمية عن هذا الحديث الذى ذكره ابن مطهر الحلىّ فى كتابه منهاج الكرامة « إن هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث ، فما مِن عَالمٍ يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع ، ولهذا لم يروه أحد منهم فى الكَتب التى يُرجَعُ إليها فى المنقولات ، لأن أدنى مَنْ له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب .

وقد رواه ابن جرير والبغوى بإسنادٍ فيه عبد الغفار بن القاسم بن فهد ، أبو مريم الكوفى ، وهو مجمع على تركه ، كذبه سماك بن حرب ، وأبو داود ، وقال أحمد : ليس بشىء . قال ابن المدينى : كان يضع الحديث .

وقال النسائى وأبو حاتم : متروك الحديث .

وقال ابن حبان البستى : كان عبد الغفار بن قاسم يشرب الخمر حتى سكر ، وهو مع ذلك يُقلب الأخبار ، لا يجوز الاحتجاج به ، وتركه أحمد ويحيى .

ورواه ابن أبى حاتم ، وفى إسناده عبد الله بن عبد القدوس ، وهو ليس بثقة ، وقال فيه يحيى بن معين : ليس بشىء ، رافضى خبيث . وقال النسائى : ليس بثقة . وقال الدارقطنى : ضعيف . وإسناد الثعلبى أضعف ، لأن فيه من لا يُعرف ، وفيه من الضعفاء والمهتمين من لا يجوز الاحتجاج بمثله فى أقل مسألة .

ويقول الشيخ إبراهيم الجبهان فى كتابه تبديد الظلام ص ٨٨ و ٨٩ إن هذا الحديث مردود دراية ورواية . وينقل عن كتاب الخلافة للنبهانى أسباب ذلك فيقول إن القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد طلب مؤازرة بنى عبد المطلب واشترط لهم الأمر من بعده باطل لمناقضته فعل النبى صلى الله عليه وسلم حين رفض طلب قبيلة – أن يكون لها الأمر من بعده إذا أسلمت فقال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » .

ثانيًا : إن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنى عبد المطلب ليسلموا فما شأن علىّ حتى يتصدى للإجابة ألم=

وقال الرازى فى تفسيره لهذه الآية : « أن الله أمره بدعوة الأقرب فالأقرب ، وذلك لأنه إذا تشدد على نفسه أولا ، ثم بالأقرب فالأقرب ثانيًا ، لم يكن لأحد فيه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجح »[١] .

وقال الإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾ خص عشيرته الأقربين بالانذار ، لتنحسم أطماع سائر عشيرته وأطماع الأجانب فى مفارقته إياهم على الشرك . وعشيرته الأقربون قريش . وقيل بنو عبد مناف »[٢] وهو معنى قريب من تفسيرّ الرازى للآية .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أحاديث كثيرة وردت فى نزول هذه الآية الكريمة . وبين الصحيح منها من الضعيف كما بين ضعف أحاديث الشيعة واعتمادهم على سند ضعيف مثل عبد الغفار بن القاسم بن أبى مريم وهو متروك كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الأحاديث وضعفه أئمة الحديث رحمهم الله[٣] .

---

=يكن مسلما فى ذلك الوقت .

ثالثًا : إن صيغة الأمر فى الآية الكريمة تأمر بالإنذار لا بتعيين الوصاية والخلافة .

رابعًا : يذكر الحديث أن القوم رفضوا الإسلام ، وخرجوا يتضاحكون من النبى صلى الله عليه وسلم ومن دعوته . فكيف يقول لهم النبى ﷺ هذا خليفتى فيكم ويأمركم بالسمع والطاعة . وهم كفار لم يقبلوا الإسلام حتى يقبلوا خلافة علىّ .

خامسًا : لو فرضنا صحة الحديث ، لكان معناه أن عليًا خليفة فى آل عبد المطلب .

سادسا : إذا كانت الدعوة موجهة لآل عبد المطلب ولم يحضر غيرهم وماداموا قد رفضوا الإسلام فهل روى الحديث من رفضوا وتهكموا على رسول الله أم رواه من لم يحضر هذا الاجتماع ؟ .

(١) الرازى : تفسير ١٧٢/٢٣ .

(٢) القرطبى : تفسير .. المجلد السابع صفحة ١٤٣ .

(٣) قال ابن كثير فى نزول الآية (صفحة ٣٤٩ – ٣٥٢) المجلد الثالث « قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما أنزل الله عز وجل ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أتى النبى ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر يا بنى لؤى ؛ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا نعم ، قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله ﴿تبت يدا أبى لهب وتب﴾ ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق عن الأعمش به (الحديث الثانى) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام رسول الله ﷺ فقال : =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= « يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئًا سلونى من مالى ما شئتم » انفرد بإخراجه مسلم (الحديث الثالث) قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا فعمّ وخص فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ؛ يا معشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار ؛ يا معشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ؛ يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلاها » ورواه مسلم والترمذى من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذى غريب من هذا الوجه ؛ ورواه النسائى من حديث موسى بن طلحة مرسلاً ولم يذكر فيه أبا هريرة ؛ والموصول هو الصحيح ؛ وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ؛ وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعنى ابن إسحاق عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ؛ يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا . سلانى من مالى ما شئتما » . تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به أيضًا عن معاوية عن زائدة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ورواه أيضًا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعًا ، وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أنا النذير والموت المغير ، والساعة الموعد » . (الحديث الرابع) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمى عن أبى عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا : لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادى « يا بنى عبد مناف إنما أنا نذير » إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ بأهله رجاء الله يسبقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه » ورواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن طرخان التيمى عن أبى عثمان عبد الرحمن بن سها النهدى عن قبيصة وزهير بن عمرو والهلالى . (الحديث الخامس) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدى عن علىّ رضى الله عنه قال : لمّا نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ جمع النبى صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون معى فى الجنة ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك يا رسول الله أنت كنت بحراء من يقوم بهذا ، قال ثم قال الآخرة – ثلاثا – قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال على أن (طريق أخرى بأبسط من هذا السياق) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ماجد عن على رضى الله عنه قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم – أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم – بنى عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس ، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال : « يا بنى عبد المطلب إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى » قال لم يقم إليه أحد ، قال فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال فقال « اجلس ، ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لى اجلس حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى » : (طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر) قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمنى اسمه عن ابن عباس عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ قال رسول الله ﷺ : « عرفت =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

=أني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك » قال عليّ رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي : « إن الله تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك ، فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعدّ لنا قعب لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وابو لهب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهذا سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لهذا سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي عدلنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابًا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بِخَيْرَ يْ الدنيا والآخرة . قال أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث :

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار ابن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله وزاد بعد قوله « إني جئتكم بخيريْ الدنيا والآخرة : وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا ؟ قال فأحجم القوم عنها جميعًا وقلت – وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا – أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال « إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا ، ثم قام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع . تفرّد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال : قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا » قال ففعلت ثم قال لي : « ادع بني هاشم » قال فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة يأكل الجذعة بإدامها ، قال فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال : « كلوا » فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدردوا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتى رووا ، قال وفضل فضل، فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروه بالكلام فقالوا ما رأينا كاليوم في=

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

=السحر . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لى : « اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولى فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لى : « اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام » فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال : « أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لِسِنِّ العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله قال وإنى يومئذ لأسوأهم هيئة وإنى لأعمش العينين ضخم البطن خمش الساقين ، فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن على رضى الله عنه ، ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه فى أهله يعنى إن قتل فى سبيل الله ، كأنه خشى إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى : ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ فعند ذلك أمن وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ولم يكن أحد فى بنى هاشم إذ ذاك أشدّ إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من على رضى الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا – والله أعلم – دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى أى إنما أنا نذير والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

## الدليل الثانى

قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة : ٣) .

يقول الشيعة وإمامهم الأكبر ابن المطهر الحلىّ روى أبو نُعيم بإسناده إلى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ دَعَا الناسَ إلى غدير خُم[١] . وأمر بإزالة ما تحت الشجر من الشوك ، فقام فدعا عليا ، فَأَخَذَ بِضَبْعيه فَرفعهما ، حتى نظر الناس إلى بياض إبطَىْ رسول الله ﷺ ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلتْ هذه الآية : ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكمْ نِعمتِى ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا﴾ (المائدة : ٣) . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر على إكمالِ الدين ، وإتمامِ النعمة ، ورضا الرب برسالتى ، وبالولاية لعلىٍّ مِن بَعْدى ثم قال : « مَنْ كنتُ مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال مَنْ والاه ، وَعَادِ مَنْ عاداه ، وانصرْ مَنْ نَصَرَهُ ، واخذلْ مَنْ خذله »[٢] .

ومكان نزول الآية غير صحيح ، فهذه الآية لم تنزل على رسول الله ﷺ بغدير خم وإنما نزلت على المصطفى ﷺ وهو واقف بعرفة وكان هذا اليوم قبل غدير خم بتسعة أيام ، فقد كان يوم التاسع من ذى الحجة[٣] ويوم الغدير كان الثامن عشر من ذى الحجة . ثم إن هذه الآية ليس فيها دليل على الإطلاق على إمامة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لأن معناها واضح للغاية تعنى إكمال الدين بنزول معظم أحكامه وفرائضه ، فأتم نعمته على المسلمين بهذا الإكمال وإظهار دين الإسلام . وقيل كذلك أيضًا بدخول مكة آمنين واختياره الإسلام دينا لنا ، فهو الدين الذى ارتضاه الله لنا ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾ .

---

(١) غدير ماء يُدعى غدير خم بين مكة والمدينة .

(٢) هذا الجزء من الحديث أشرنا إليه من قبل وهو : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وَال مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه ، وانصرْ مَنْ نَصَرَهُ واخذلْ مَنْ خذله » .

(٣) يقول الإمام القرطبى فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ صفحة ٦١ و ٦٢ (أنها نزلت فى يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر ورسول الله ﷺ واقفٌ بعرفة على ناقته العضباء « اسم الناقة » ، فكاد عضد الناقة يَنْقَدّ مِن ثقلها فبركت) .

ويقول الفخر الرازى فى تفسيره[١] « فى الآية سؤال يقتضى أنّ الدين كان ناقصًا قبل ذلك ، وذلك يوجب أن الدين الذى كان ﷺ مواظبًا عليه أكثر عمره كان ناقصًا ، وإنه إنما وجد الدين الكامل فى آخر عمره مدة قليلة .

واعلم أن المراد من قوله ﴿أكملت لكم دينكم﴾ هو إزالة الخوف عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم ، وهذا كما يقول الملك عندما يستولى على عدوه ويقهره قهرًا كليا : اليوم كمل ملكنا ، وهذا الجواب ضعيف لأن ملك ذلك الملك كان قبل قهر العدو ناقصًا .

الثانى : أن المراد : إنى أكملت لكم ما تحتاجون إليه فى تكاليفكم من تعلم الحلال والحرام ، وهذا أيضًا ضعيف لأنه لو لم يكمل لهم قبل هذا اليوم ما كانوا محتاجين إليه من الشرائع كان ذلك تأخيرًا للبيان عن وقت الحاجة ، وإنه لا يجوز .

الثالث : وهو الذى ذكره القفال وهو المختار : أن الدين ما كان ناقصًا البتة ، بل كان أبدًا كاملاً ، يعنى كانت الشرائع النازلة من عند الله فى كل وقت كافية فى ذلك الوقت ، إلا أنه تعالى كان عالمًا فى أول وقت المبعث بأن ما هو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا صلاح فيه ، فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم ، وأما فى آخر زمان المبعث فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة ، فالشرع أبدًا كان كاملاً ، إلا أن الأول كمال إلى زمان مخصوص ، والثانى كمال إلى يوم القيامة فلأجل هذا المعنى قال : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ .

وذلك معنى دقيق وملاحظة عميقة لفهم معنى الآية .

وقد رد ابن كثير على من يقولون إن آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية نزلت يوم غدير خم فذكر هذه الرواية[٢] « روى ابن مردويه من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلى : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه » . ثم رواه عن أبى هريرة وفيه أنه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة يعنى مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا ، بل الصواب الذى لا شك فيه ولا مرية أنها نزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وأول ملوك الإسلام معاوية بن

(١) الرازى : تفسير الكبير ١١/ ١٣٧ – ١٣٨ طبعة مكتبة دار إحياء التراث العربى بيروت .
(٢) ابن كثير : تفسير ٢/ ١٤ .

أبى سفيان وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وسمرة بن جندب رضى الله عنه وأرسله الشعبى وقتادة بن دعامة وشهر بن حوشب وغير واحد من الأئمة والعلماء : واختاره ابن جرير الطبرى رحمه الله(١) .

وقد ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره العديد من الأحاديث الصحيحة التى تؤكد أن هذه الآية المباركة نزلت يوم عرفة(٢) .

---

(١) ابن كثير : تفسير ٢/ ١٤ .

(٢) يقول ابن كثير فى تفسيره ٢/ ١٢ – ١٤ قال أسباط عن السدّى نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات . قالت أسماء بنت عيسى : حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل فمال رسول الله ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركتْ فأتيته فسجيت عليه بردًا كان علىّ .

وقال ابن جرير وغير واحد مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحدٍ وثمانين يومًا رواهما ابن جرير ، ثم قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر فقال له النبى ﷺ « ما يبكيك » قال أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شىء إلا نقص فقال « صدقت » ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء » وقال الإمام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية فى كتابكم لو علينا يا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال وأى آية ؟ قال قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى﴾ فقال عمر والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التى نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة فى يوم جمعة ورواه البخارى عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضًا مسلم والترمذى والنسائى أيضًا من طرق عن قيس بن مسلم به ولفظ البخارى عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثورى عن قيس عن طارق قال قالت اليهود لعمر الله إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا فقال عمر إنى لأعلم حين أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت : يوم عرفة وأنا والله بعرفة قال سفيان وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية ، وشك سفيان رحمه الله كان فى الرواية فهو تورّع حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا وإن كان شاكًا فى كون الوقوف فى حجة الوداع كان يوم جمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثورى رحمه الله فإن هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازى والسير ولا من الفقهاء ، وقد وردت فى ذلك أحاديث متواترة لا يشك فى صحتها والله أعلم .

فأما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن حنش بن عبد الله الصغانى عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وفتح بدرًا يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ورفع الذكر يوم الاثنين فإنه أثر غريب وإسناده ضعيف وقد رواه الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن حنش الصغانى عن ابن عباس قال ولد النبى ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ووضع الحجر الأسود يوم الاثنين ، هذا لفظ أحمد ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين فالله أعلم ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت يوم عيدين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوى . والله أعلم .

ومن الملاحظ أنه قبل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾ الآية قال عز من قائل:﴿اليوم بئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم ...﴾.

يقول الفخر الرازى : « قال أصحابنا : هذه الآية دالة على بطلان قول الرافضة - (أى فى مسألة النص على إمامة علىّ) وذلك لأنه تعالى بيّن أن الذين كفروا يئسوا من تبديل الدين ، وأكد ذلك بقوله ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ فلو كانت إمامة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه منصوصًا عليها من قبل الله تعالى وقبل رسوله ﷺ نصًا واجب الطاعة لكان من أراد إخفاءه وتغييره آيسًا من ذلك بمقتضى هذه الآية ، فكان يلزم أن لا يقدر أحد من الصحابة على إنكار ذلك النص وعلى تغييره وإخفائه . ولما لم يكن الأمر كذلك ، بل لم يجر لهذا النص ذِكر ، ولا ظهر مِنه خبر ولا أثر ، علمنا أن ادعاء هذا النص كذب ، وأن على بن أبى طالب رضى الله عنه ما كان منصوصًا عليه بالإمامة[1] .

من ذلك كله يتضح لنا أن آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ما نزلت يوم غدير خم ، وإنما نزلت يوم عرفة في التاسع من ذى الحجة فى العام العاشر لهجرة رسول الله ﷺ كذلك فإن الآية لا تفيد أى دلالة على التنصيص على على بن أبى طالب فى خلافة رسول الله ﷺ بعد موته .

* * *

(١) الرازى : تفسير ١٣٩/١١ طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت .

## الدليل الثالث

آية الولاية ، من البراهين الدالة عند الرافضة على إمامة عليّ قوله تعالى : ﴿إنما وَليكم الله وَرَسُولُهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (المائدة : ٥٥) .

يقول عَالِم الشيعة ابن المطهر الحلى « وقد أجمعوا أنها نزلت في عليّ . قال الثعلبى فى إسناده إلى أبى ذر : قال سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صَمَتَا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول : « عليّ قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، فمنصور مَنْ نصَرَه ، ومخذول من خذله » أما إنى صليت مع رسول الله ﷺ يوما صلاة الظهر ، فسأل سائل فى المسجد ، فلم يُعطِه أحدٌ شيئًا ، فرفعَ السائل يده إلى السماء ، وقال : اللهم إنك تشهدُ أنى سألت فى مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطنى أحدٌ شيئًا ، وكان عليّ راكعًا ، فأومأ بخنصره اليمنى ، وكان متختما فيها ، فأقبلَ السائل حتى أخذ الخاتم ، وذلك بعين النبى ﷺ فلما فَرغَ من صلاته رفع رأسه إلى السماء ، وقال : « اللّهم إن موسى سألك وقال : ﴿رب اشرح لى صدرى . وَيَسِّرْ لى أمْرِى . واحلل عقدةً من لسانى . يفقهوا قولى . واجعلْ لِى وزيرًا من أهلى . هارون أخى . اشْدُدْ به أزرى . وأشْرِكهُ فى أمرى﴾ (طه : ٢٥ : ٣٢) فأنزلت عليه قرآنا ناطقا : ﴿سَنَشدُّ عَضدكَ بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ (القصص : ٣٥) اللّهم وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللهم فاشرح لى صدرى وِيَسِّرْ لى أمرى ، واجعل لى وزيرًا من أهلى ، عليا ، أشدُدْ به ظهرى » قال أبو ذر : فما استتم كلام رسول الله ﷺ حتى نزلَ عليه جبريل من عند الله فقال : ﴿إنما وليكُمُ الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتُون الزكاة وهم راكعون﴾ (المائدة : ٥٥) . ونقل الفقيه ابن المغازلى الواسطى الشافعى[١] أن هذه الآية نزلت فى عليّ ، والوليّ هو المتصرف ، وقد أثبت له الولاية فى الآية ، كما أثبتها الله تعالى لنفسه ولرسوله »[٢] .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن محمد الطيّب الجُلابى الشافعى الواسطى مات ببغداد سنة ٤٨٣ ودفُن بواسط حيث ولد بها ومن مؤلفاته « ذيل تاريخ واسط » وكتاب مناقب الإمام على بن أبى طالب الذى حققه محمد باقر البهبودى نشر دار الأضواء بيروت ١٤٠٣هـ .

(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة : ٧ / ٥ : ٧ .

والحقيقة أنه ليس ابن المغازلى فقط هو الذى قال إن هذه الآية نزلت فى علىّ ، وإنما ذكر ذلك بعض العلماء والمفسرين للإشارة إلى أن فى سند هذه الروايات رجال مجاهيل ومجروحين ، فقد قال السيوطى مثلا فى لباب النقول فى أسباب النزول : « أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال : وقف على علىّ بن أبى طالب سائل وهو راكع فى تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل ، فنزلت ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية ، وله شاهد قال عبد الرزاق : حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية ، قال نزلت فى على بن أبى طالب .

وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله ، وأخرج أيضًا عن علىّ مثله . وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبى حاتم عن سلمة بن كهيلُ مثله فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا »[1] .

وقد اقتضتنى الأمانة العلمية نقل ماذكره السيوطى فى لُبابه ، وقوله « فهذه شواهد يقوى بعضها بعضًا » ، لكن هذا الرأى لا يدعم وجهة النظر الشيعية فى أسباب نزول الآية كما سأبين بإذن الله .

وإنه يكفى التناقض الواضح فى الروايتين : رواية ابن المطهر الحلى وما ذكره السيوطى . فقد ذكر أن الثعلبى فى إسناده إلى أبى ذر قال : « صليت مع رسول الله ﷺ يوما صلاة الظهر » ، بينما إسناد ابن عباس أنه وقف على علىّ بن أبى طالب سائل وهو راكع فى « تطوع » أى أنه لم يكن فى صلاة مفروضة وهى « الظهر » ، بالإضافة إلى أن إيتاء الزكاة والإنسان يصلى ، فيه شغل عن الصلاة ذاتها ، وفيه ضياع لخشوعها . ثم أن تفسير الثعلبى الذى أشار إليه ابن المطهر الحلى يحتوى على العديد من الموضوعات ، والأحاديث الضعيفة . وتفسيره يضم الصحيح والضعيف والموضوع لأن الثعلبى ليس له باع فى علوم الحديث ومصطلحه ومع أنه كان عالما ورعا شهد له بالورع والتدين عديد من العلماء لكن الرجل لم يكن صاحب دربة بالحديث دراية ورواية . ولذلك فإن الإمام البغوى عندما قام بإعداد مختصره أى مختصر تفسير الثعلبى حذف من تفسيره كل الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى ذكرها الثعلبى .

---

(١) السيوطى . « جلال الدين » . لباب النقول فى أُسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص٣٣٧ ، ٣٣٨ .

وإن ابن عباس الذى رُوى عنه أنه قال : إن آية ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ نزلت فى علىّ ، نقلت عنه رواية أخرى أنها نزلت فى أبى بكر .

يقول ابن تيمية : « والثعلبى قد نقل فى تفسيره أن ابن عباس يقول : نزلت فى أبى بكر . ونقل عن عبد الملك قال : سألت أبا جعفر ، قال : هم المؤمنون . قلت :فإن ناسًا يقولون هو علىّ . قال : فعلىّ من الذين آمنوا . وعن الضحاك مثله . ورورى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه قال ، عن ابن عباس فى هذه ، قال : « كل مَنْ آمن فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا » .

وعن عبد الملك بن أبى سليمان ، قال : سألتُ أبا جعفر محمد بن على عن هذه الآية ، فقال : هم الذين آمنوا . قلت : نزلت فى علىّ قال : علىّ من الذين آمنوا . وعن السدى مثله . وإنا نعفيه من الإجماع ، ونطالبه أن ينقل ذلك بإسناد واحد صحيح . وهذا الإسناد الذى ذكره الثعلبى إسناده ضعيف ، فيه رجال متهمون .وأما نقل ابن المغازلى الواسطى ، فاضعف وأضعف ، فإن هذا قد جمع فى كتابه من الأحاديث الموضوعات مالا يخفى أنه كذب على مَنْ له أدنى معرفة بالحديث ، والمطالبة بإسناد يتناول هذا وهذا »[1] .

وإن قول الله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾ فى الآية فإن لفظ « الذين » يفيد صيغة الجمع ، فالأمر لا يتعلق بعلىّ فقط وإنما سائر الذين آمنوا . وكما قال أبو جعفر فإن عليا من الذين آمنوا .

وقول الله تعالى : ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فإنه على قول الشيعة فإن عليًّا قد أتى الزكاة وهو راكع ، مع أن عليًّا نفسه طوال عهد النبوة الشريفة لم تجب عليه الزكاة ، لأنه خلال عهد النبوة ما كان مالكا لنصاب الزكاة[2] .

وإن قول الله تعالى فى صفات المؤمنين : ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ ففى ذلك أمر بالركوع مع الراكعين ودلالة على كثرة الركوع والصلاة كقول الله تعالى لمريم آمرًا لها بالركوع : ﴿يا مريم اقنتى لِرَبِّك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ (آل عمران :٤٣) .

---

(١) ابن تيمية : المنهاج ١٤/٧ ، ١٥ .

(٢) قد يرى بعض الشيعة أنها زكاة التطوع وأنه ليس فى الآية ما يدل على أنها زكاة فرض . مع ذلك فإن مثل هذا الفعل يؤثر فى الصلاة وخشوعها .

وقوله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والزكاة والركوع مع الراكعين ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (البقرة : ٤٣) .

وفى آيات الركوع كلها نلمح ظلالا ندية ودعوة إيمانية نحو أهمية الخضوع والخشوع فى الصلاة لأن المؤمن لا يخضع ولا يركع لغير الله عز وجل . وإن إماما ورعًا تقيا كعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يخشع لله فى صلاته ، ويعلم تماما أن إعطاء الخاتم فى الصلاة قد يقلل من خشوعها ويؤثر فيها . فمعنى ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ أى الذين يفعلون هذين الأمرين وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يفعلونها وهم متواضعون لله تعالى ، خاشعون له سبحانه وتعالى .

وفى قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ يقول الفخر الرازى فى تفسيره « وجه النظم أنه تعالى لما نهى فى الايات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر فى هذه الآية بموالاة من يجب موالاته وقال : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ أى المؤمنون الموصوفون بالصفات المذكورة .

وفى قوله : ﴿والذين آمنوا﴾ قولان : الأول أن المراد عامة المؤمنين ، وذلك لأن عبادة بن الصامت لما تبرأ من اليهود وقال : أنا برىء إلى الله من حلِف قريظة والنضير ، وأتولى الله ورسول نزلتْ هذه الآية على وفق قوله . وروى أيضًا أن عبد الله بن سلام قال : يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا ، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل ، فنزلت هذه الآية ، فقال : رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء ، فعلى هذا : الآية عامة فى حق كل المؤمنين ، فكلّ من كان مؤمنا فهو ولىّ كل المؤمنين . ونظيره قوله تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ وعلى هذا فقوله : ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ صفة لكل المؤمنين ، والمراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأنهم كانوا يدعون الإيمان إلاّ أنهم ما كانوا مداومين على الصلوات والزكوات .. وأما قوله : ﴿وهم راكعون﴾ ففيه على هذا القول وجوه : الأول : قال أبو مسلم : المراد من الركوع الخضوع ، يعنى أنهم يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه . والثانى : أن يكون المراد : من شأنهم إقامة الصلاة ، وخص الركوع بالذكر تشريفًا له كما فى قوله : ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ .

والثالث : قال بعضهم : إن أصحابه كانوا عند نزول هذه الآية مختلفون فى هذه الصفات ، منهم من قد أتم الصلاة ، ومنهم من دفع المال إلى الفقير ، ومنهم من كان

بعد فى الصلاة وكان راكعًا ، فلما كانوا مختلفين فى هذه الصفات لا جرم ذكر الله تعالى كل هذه الصفات .

والقول الثانى أن المراد من هذه الآية شخص معين ، وعلى هذا ففيه أقوال : الأول : روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبى بكر رضى الله عنه . والثانى : روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت فى على بن أبى طالب عليه السلام . روى أن عبد الله بن سلام قال : لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنا رأيت عليا تصدق بخاتمة على محتاج وهو راكع ، فنحن نتولاه[1] وروى عن أبى ذر أيضًا وذكر الرازى الرواية التى ذكرها ابن المطهر الحلى في منهاجه وقد بين الرازى بعد ذلك ضعف استدلال الشيعة بهذه الآية على أن الإمام بعد رسول الله ﷺ هو علىّ بن أبى طالب .

ويحاول أحد علماء الشيعة وهو محمد بن الحسن الطوسى (ت ٤٦٠) فى كتابه الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد . أن يلوى النص لصالح عقيدة إمامة علىّ فيقول (لفظ « الذين » وإن كان لفظ جمع فقد صار بعرف الاستعمال يعبّر به عن واحد معظم ، ولذلك نظائر كقوله : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2] وقوله : ﴿إنّا أرسلنا﴾ وقوله : ﴿ولقد أرسلنا﴾ وغير ذلك من الألفاظ . وقال أهل التفسير إن قوله : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ المراد به واحد معروف)[3] . وهذا كلام حق يراد به غير حق .

فقول الله تعالى : ﴿إنا نحن نَزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ المراد بـ « إنّا نحن » تعظيم الله سبحانه وتعالى كقول الملك « نحن الملك » .

وقوله تعالى : ﴿إنّا نحن﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نزلنا الذكر﴾ أى القرآن الكريم ، ﴿وإنا له لحافظون﴾ أى من كل تبديل أو تحريف أو زيادة أو نقصان .

وقد ذكر قول الله تعالى : ﴿إنا أرسلنا﴾ فى آيات متعددة[4] .

---

(١) الرازى تفسير ص ٢٥ ، ٢٦ . طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت .

(٢) الحجر : ٩ .

(٣) الطوسى : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٣٢٣ . مطبعة الآداب فى النجف ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٤) الآيات هى : ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر﴾ (القمر : ١٩) .

- ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ (القمر : ٣١)
- ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أنْ أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ (نوح : ١) .
- ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم﴾ (المزمل : ١٥) .

كذلك ذكرِ قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا﴾ فى آيات كثيرة[١] .

وهذه الآيات كلها يستخدم فيها لفظ الجمع لتعظيم الواحد سبحانه وتعالى . وعلماء اللغة يجمعون على أنه يجوز التعبير عن الواحد بالجمع وذكر علماء العربية أنه يكون لفائدتين « تعظيم الفاعل وأن من أتى بذلك الفعل عظيم الشأن بمنزلة – جماعة – كقوله تعالى : ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ ليرغب الناس فى الإتيان بمثل فعله ، وتعظيم الفعل أيضًا حتى أن فعله سجية لكل مؤمن ، وهذه نكتة سرية تعتبر فى كل مكان بما يليق به »[٢] .

وصحيح أن الآية الأخرى : ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[٣] المراد بـ ﴿الذين قال لهم الناس﴾ واحد معروف هو نعيم بن مسعود الأشجعى حين قال للمؤمنين أصحاب بدر ﴿إن الناس﴾ يقصد أبا سفيان وأصحابه ﴿قد جمعوا لكم﴾ أى جهزوا وأعدوا الجموع لقتالكم واستئصالكم ﴿ فاخشوهم﴾ ولا تأتوهم ﴿فزادهم إيمانا﴾ أى زادهم هذا القول إيمانا ويقينا بالله تعالى ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ .

والشاهد عنده بأن ﴿الذين قال لهم الناس﴾ المراد به واحد ، وهذا كما – أشرنا من قبل – صحيح لكن هذا استدلال فى غير موضعه ، لأن قول الله تعالى : ﴿والذين آمنوا

---

(١) الآيات هى : ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ (الأنعام : ٤٢) .
– ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين﴾ (هود : ٢٥)
– ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ (هود : ٩٦) .
– ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ (الرعد : ٣٨) .
– ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ (إبراهيم : ٥) .
– ﴿ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين﴾ (الحجر : ١٠) .
– ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾ (المؤمنون : ٢٣) .
– ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ (النمل : ٤٥) .
– ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين﴾ (العنكبوت : ١٤) .
– ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ (الروم : ٤٧) .
– ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين ﴾ (الصافات : ٧٢) .
– ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ (غافر : ٢٣) .
– ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ (غافر : ٧٨) .
– ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه﴾ (الزخرف : ٤٦) .
– ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب﴾ (الحديد : ٢٦) .

(٢) الألوسى : « تفسير روح المعانى » ص ١٦٧ .

(٣) آل عمران : ١٧٣ .

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاء وهم راكعون﴾ غير قوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ .

فـ « الذين » الأولى تفيد الجمع كما أشرنا وجاء بعدها الفعل يدل على الجمع ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾

أما « الذين » الثانية فلفظها يدل على اختصاص واحد بالقول بدلالة قول الله تعالى بعدها : « الذين قال » . ولم يقل : « الذين قالوا » وإن سياق الآيات التى جاء فيه قول الله تعالى : ﴿وهم راكعون﴾ يدل على ذلك[1] .

فقد أتى السياق من بدايته بصيغة الجمع لا تختص بفرد واحد بذاته . فالآيات جاءت لنهى المؤمنين عن موالاة الكافرين والمنافقين ويقال إن سبب نزولها أنه لما كان بعض المنافقين ومنهم عبد الله بن أبىّ بن سلول ، يوالى اليهود ، ويقول إنى أخاف الدوائر . بينما قال أحد المؤمنين الصادقين وهو الصحابى الجليل عبادة بن الصامت : إنى يا رسول الله أتولى الله ورسوله ، وأبرأ إلى الله ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية داعيًا إلى موالاته وموالاة رسوله وموالاة المؤمنين : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ..﴾ الآية .

ولا شك عندنا أن من أبرز صفات المؤمنين الصادقين موالاة الله ورسوله وموالاة المؤمنين يقول تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة : ٧١) . ويقول تعالى : ﴿الله وَلِىّ الذين آمنوا﴾ (البقرة : ٢٥٧) ولئن عليًّا من المؤمنين الصادقين فيجب على كل مؤمن موالاته كغيره من الصحابة المؤمنين فكل مؤمن صالح هو مولى رسول الله ﷺ ، والله مولاه ، وكذلك جبريل مولاه بنص القرآن الكريم : ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ (التحريم : ٤) .

والروافض يحملون لفظ الولى فى قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ..﴾ الآية على معنى

---

(١) استمع معى إلى بداية سياق الكلام من قوله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بَعْضُهُمْ أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين * فترى الذين فى قلوبهم مَرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرةٌ فعسى الله أن يَأْتِى بالفتح أو أَمْرٍ مِن عِنده فيصبحوا على ما أَسَرّوا فى أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جَهْدَ أيمانهمْ إنُهمْ لمعكُمْ حبطتْ أعمالُهُمْ فأصبحوا خاسرين * يأيها الذين آمنوا مَنْ يرتدّ مِنكمْ عن دِينهِ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويُحبُّونَهُ أذلةٍ على المؤمنين أعِزّةٍ على الكافرين يجاهدونَ فى سبيلِ الله ولا يخافون لومةَ لائم ذلك فَضلُ الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم * إنما وَليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويُؤتون الزكاة وهم راكعون * وَمَنْ يتول الله ورسُولَهُ والذين آمنوا فإن حزبَ الله هم الغالبون﴾ (المائدة : ٥١ : ٥٦) .

الناصر وعلى المتصرف معًا ، وهذا غير جائز ، فإنه لا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معًا وهذه من أولى مبادئ أصول الفقه ، وقد رد الفخر الرازى فى تفسيره على أدلة الشيعة بأدلة قوية وحجج دامغة فقال[1] : « لِمَ لا يجوز أن يكون المراد من لفظ الولى فى هذه الآية الناصر والمحب ، ونحن نقيم الدلالة على أن حمل لفظ الولى على هذا المعنى أولى من حمله على معنى المتصرف ، ثم نجيب عما قالوا فنقول : الذى يدل على أن حمله على الناصر أوْلى من وجوه : الأول : أن اللائق بما قبل هذه الآية وما بعدها ليس إلا هذا المعنى .. فالولاية فى قوله : ﴿إنما وليكم الله﴾ يجب أن تكون هى بمعنى النصرة وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل فى مقدمة الآية وفى مؤخرها قطع بأن الولى فى قوله : ﴿إنما وليكم الله﴾ ليس إلا بمعنى الناصر والمحب ولا يمكن أن يكون بمعنى الإمام ، لأن ذلك يكون إلقاء كلام أجنبى فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد ، وذلك يكون فى غاية الركاكة والسقوط ، ويجب تنزيه كلام الله تعالى عنه .

* الحجة الثانية : أنا لو حملنا الولاية على التصرف والإمامة لما كان المؤمنون المذكورون فى الآية موصوفين بالولاية حال نزول الآية ، لأن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ما كان نافذ التصرف حال حياة الرسول ، والآية تقتضى كون هؤلاء المؤمنون موصوفين بالولاية فى الحال ، أما لو حملنا الولاية على المحبة والنصرة كانت الولاية حاصلة فى الحال ، فثبت أن حمل الولاية على المحبة أولى من حملها على التصرف ، والذى يؤكد ما قلناه أنه تعالى منع المؤمنين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، ثم أمرهم بموالاة هؤلاء المؤمنين ، فلابد وأن تكون موالاة هؤلاء المؤمنين حاصلة فى الحال حتى يكون النفى والإثبات متواردين على شىء واحد ، ولما كانت الولاية بمعنى التصرف غير حاصلة فى الحال امتنع حمل الآية عليها .

* الحجة الثالثة : إنه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين فى هذه الآية بصيغة الجمع فى سبعة مواضع وهى قوله : ﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنه مجاز لا حقيقة . والأصل حمل الكلام على الحقيقة .

* الحجة الرابعة : إن الآية المتقدمة وهى قوله : ﴿ يأيها أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ إلى آخر الآية من أقوى الدلائل على صحة إمامة أبى بكر ، فلو دلت

(١) الرازى : تفسير ص ٢٧ : ٣١ ، طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت .

هذه الآية على صحة إمامة على بعد الرسول لزم التناقض بين الآيتين ، وذلك باطل ، فوجب القطع بأن هذه الآية لا دلالة فيها على أن عليًّا هو الإمام بعد الرسول .

* الحجة الخامسة : إن علىّ بن أبى طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض ، فلو كانت هذه الآية دالة على إمامته لاحتج بها فى محفل من المحافل ، وليس للقوم أن يقولوا : إنه تركه للتقية فإنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير ، وخبر المباهلة ، وجميع فضائله ومناقبه ، ولم يتمسك ألبتة بهذه الآية فى إثبات إمامته ، وذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله .

* الحجة السادسة : هب أنها دالة على إمامة علىّ ، لكنا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الإمامة فى الحال : لأن عليًّا ما كان نافذ التصرف فى الأمة حال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن عليًّا سيصير إمامًا بعد ذلك ، ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على إمامته بعد أبى بكر وعمر وعثمان ، إذ ليس فى الآية ما يدل على تعيين الوقت ، فإن قالوا : الأمة فى هذه الآية على قولين : منهم من قال : إنها لا تدل على إمامة علىّ ، ومنهم من قال : إنها تدل على إمامته ، وكل من قال بذلك قال : إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل ، فالقول بدلالة الآية على إمامة علىّ لا على هذا الوجه ، قول ثالث ، وهو باطل لأنا نجيب عنه فنقول : ومن الذى أخبركم أنه ما كان أحد فى الأمة قال هذا القول ، فإن من المحتمل ، بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآية على إمامة علىّ ، فإن السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال ، فكان ذكر هذا الاحتمال وهذا السؤال مقرونًا بذكر هذا الاستدلال .

* الحجة السابعة : إن قوله : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ لا شك أنه خطاب مع الأمة ، وهم كانوا قاطعين بأنه المتصرف فيهم هو الله ورسوله ، وإنما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبًا لقلوب المؤمنين وتعريفًا لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار ، وذلك لأن من كان الله ورسوله ناصرًا له ومعينًا له فأى حاجة به إلى طلب النصرة والمحبة من اليهود والنصارى وإذا كان كذلك كان المراد بقوله : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ هو الولاية بمعنى النصرة والمحبة ، ولا شك أن لفظ الولى مذكور مرة واحدة ، فلما أريد به ههنا معنى النصرة امتنع أن يراد به معنى التصرف لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك فى مفهوميه معًا .

* الحجة الثامنة : أنه تعالى مدح المؤمنين فى الآية المتقدمة بقوله : ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ فإذا حملنا قوله : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ على معنى المحبة والنصرة كان قوله : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ يفيد فائدة قوله : ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ، وقوله : ﴿يجاهدون فى سبيل الله﴾ يفيد فائدة قوله : ﴿يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فكانت هذه الآية مطابقة لما قبلها مؤكدة لمعناها فكان ذلك أولى ، فثبت بهذه الوجه أن الولاية المذكورة فى هذه الآية يجب أن تكون بمعنى النصرة لا بمعنى التصرف .

أما الوجه الذى عولوا عليه وهو أن الولاية المذكورة فى الآية غير عامة ، والولاية بمعنى النصرة عامة ، فجوابه من وجهين :

**الأول** : لا نسلم أن الولاية المذكورة فى الآية غير عامة ، ولا نسلم أن كلمة « إنما » للحصر ، والدليل عليه قوله : ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ ولا شك أن الحياة الدنيا لها أمثال أخرى سوى هذا المثل وقال : ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ولا شك أن اللعب واللهو قد يحصل فى غيرها .

**الثانى** : لا نسلم أن الولاية بمعنى النصرة عامة فى كل المؤمنين ، وبيانه أنه تعالى قسم المؤمنين قسمين :

**أحدهما** : الذين جعلهم موليًا عليهم وهم المخاطبون بقوله : ﴿إنما وليكم الله﴾ .

**الثانى** : الأولياء ، وهم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، فإذا فسرنا الولاية ههنا بمعنى النصرة كان المعنى أنه تعالى جعل أحد القسمين أنصارًا للقسم الثانى . ونصرة القسم الثانى غير حاصلة لجميع المؤمنين ولو كان كذلك لزم فى القسم الذى هم المنصورون أن يكونوا ناصرين لأنفسهم ، وذلك محال ، فثبت أن نصرة أحد قسمى الأمة غير ثابتة لكل الأمة ، بل مخصوصة بالقسم الثانى من الأمة ، فلم يلزم من كون الولاية المذكورة فى هذه الآية خاصة أن لا تكون بمعنى النصرة ، وهذا جواب حسن دقيق لابد من التأمل فيه .

وأما استدلالهم بأن هذه الآية نزلت فى حق علىّ فهو ممنوع ، فقد بينا أن أكثر المفسرين زعموا أنه فى حق الأمة ، والمراد أن الله تعالى أمر المسلم أن لا يتخذ الحبيب والناصر إلا من المسلمين ، ومنهم من يقول : إنها نزلت فى حق أبى بكر .

وأما استدلالهم بأن الآية مختصة بمن أدى الزكاة فى الرّكوع حال كونه فى الركوع ، وذلك هو علىّ بن أبى طالب فنقول : هذا أيضًا ضعيف من وجوه :

**الأول** : أن الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى : ﴿وآتوا الزكاة﴾ فلو أنه أدى الزكاة الواجبة فى حال كونه فى الركوع لكان قد أخر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب ، وذلك عند أكثر العلماء معصية وإنه لا يجوز إسناده إلى علىّ عليه السلام ، وحمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أن قوله : ﴿ وآتوا الزكاة﴾ ظاهره يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب .

**الثانى** : وهو أن اللائق بعلىّ عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون فى الصلاة ، والظاهر أن من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه ، ولهذا قال تعالى : ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾ ومن كان قلبه مستغرقًا فى الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير .

**الثالث** : أن دفع الخاتم فى الصلاة للفقير عمل كثير ، واللائق بحال علىّ عليه السلام أن لا يفعل ذلك .

**الرابع** : أن المشهور أنه عليه السلام كان فقيرًا ولم يكن له مال تجب الزكاة فيه ، ولذلك فإنهم يقولون : إنه لما أعطى ثلاثة أقراص نزل فيه « سورة هل أتى » وذلك لا يمكن إلا إذا كان فقيرًا ، فأما من كان له مال تجب فيه الزكاة يمتنع أن يستحق المدح العظيم المذكور فى تلك السورة على إعطاء ثلاثة أقراص وإذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله : ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ عليه .

**الوجه الخامس** : هب أن المراد بهذه الآية هو علىّ بن أبى طالب لكنه لا يتم الاستدلال بالآية إلا إذا تم أن المراد بالولى هو المتصرف لا الناصر والمحب وقد سبق الكلام فيه » .

من ذلك كله يتضح لنا أن آية الولاية لا تدل بأى حال من الأحوال على خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وذلك أمر واضح لكل من نأى بعقله عن كل هوى وعصبية .

وهاهو العلامة ابن كثير يقول فى تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾، أى ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين .

وقوله : ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ أى : المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من أقام الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام ، وهى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة التى هى حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين .

وأما قوله : ﴿وهم راكعون﴾ فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة فى موضع الحال من قوله : ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أى فى حال ركوعهم ، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممّن نعلمه من أئمة الفتوى . وحتى أن بعضهم ذكر فى هذا أثرًا عن علىّ بن أبى طالب أن هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مر به سائل فى حال ركوعه فأعطاه خاتمه »[1] .

وقد بين ابن كثير في تفسيره ضعف الأحاديث التى ذكرت أن آية ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ نزلتْ فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال عن غيره الحديث أنه لا يصح منها شيء بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[2] .

وإننى أتساءل كيف لسائل يذهب ليسأل مُصَلٍّ الزكاة ليشغله عن الصلاة لو صح ذلك الأمر أمام رسول الله ﷺ ، لوجّه السائل إلى كراهية سؤال المصلى حتى لا يشغله عن مناجاة ربه فى صلاته .

وأتساءل أيضًا إذا كان لفظ « إنما » فى قوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله ..﴾

---

(١) ابن كثير « تفسير القرآن العظيم » طبع عيسى البابى الحلبى : ٥/ ٧١ .

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره ص ٧١ بعض هذه الأحاديث مثل قال عبد الرزاق حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس فى قوله : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية نزلت فى علىّ بن أبى طالب .
وقال : أى ابن كثير : عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به .

وروى ابن مردويه من طريق سفيان الثورى عن أبى سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علىّ بن أبى طالب قائمًا يصلى فمرّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت : ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ الآية .
وقال ابن كثير : الضحاك لم يلق ابن عباس .

وروى ابن مردويه أيضًا من طريق محمد بن السائل الكلبى وهو متروك عن أبى صالح عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد والناس يصلوّن بين راكع وساجد وقائم وقاعد وإذا مسكين يسأل فدخل رسول الله ﷺ وآله وسلم فقال : « أعطاك أحد شيئًا ؟ » قال : نعم . قال : من ؟ قال : ذلك الرجل القائم ، قال : على أى حال أعطاكه ؟ قال : وهو راكع ، قال : وذلك علىّ بن أبى طالب قال : فكبّر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول : ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ وهذا إسناد لا يقدح به ، ثم رواه ابن مردويه من حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه نفسه وعمر بن ياسر وأبى رافع وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها .

الآية يفيد تخصيص الإمامة بعليّ كما تدعى الشيعة، فإن هذا التخصيص الذى يدّعونه يخرج الحسن والحسين رضى الله عنهما من الإمامة، بل يُخرج أيضًا باقى الأئمة الاثنى عشرية من الإمامة لتخصيص علىّ رضى الله عنه بها كما تزعم الشيعة فهل يعى الرافضة ذلك.

وهناك أمر آخر على جانب كبير من الأهمية وهو أنى أشك شكًا قويًا فى مسألة خاتم علىّ ذلك أن معظم الصحابة لم يكن يلبسون الخاتم فى عصر النبوة ، وأن رسول الله ﷺ لم يكن له خاتم حتى كتب رسالته الشهيرة إلى كسرى يدعوه فيها إلى الإسلام ، ولمّا قالوا له إن الملوك لا يقبلون الرسائل إلا إذا كانت ممهورة بخاتم صاحبها ، اتخذ صلوات ربى وسلامه عليه خاتمًا من وَرِق ونقش فى الخاتم : محمد رسول الله .

* * *

## الدليل الرابع

آية التبليغ وهى قول الله تعالى : ﴿يأيها الرسولُ بَلِّغ ما أُنْزِل إليك مِن ربِّك وإن لم تفعلْ فما بَلَّغتَ رسالته﴾ (المائدة : ٦٧) .

يقول علامة الشيعة ابن المطهر الحلي[1] « اتفقوا على نزولها فى عَلِىٍّ وروى أبو نعيم الحافظ – من الجمهور – بإسناده عن عطية قال : نزلتْ هذه الآية على رسول الله ﷺ فى علىّ بن أبى طالب . ومن تفسير الثعلبى قال : معناه : بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليك مِنْ ربِّك فى فضل علىٍّ ، فلما نزلتْ هذه الآية أخَذَ رسول الله ﷺ بيد علىّ فقال : مَنْ كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه . والنبى ﷺ مولى أبى بكر وعمر وباقى الصحابة بالإجماع ، فيكون علىٌّ مولاهم ، فيكون هو الإمام »[2] .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية : ٣١/٧ ، ٣٢ .

(٢) ذكر مفسر الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى فى تفسيره التبيان فى تفسير القرآن : ٥٨٧/٣ ، ٥٨٨ طبعة النجف ١٣٨٣ أنه قيل فى أسباب نزول هذه الآية أربعة أقوال :

أحدها : قال محمد بن كعب القرظى وغيره : أن أعرابيًا همّ بقتل النبى صلى الله عليه وسلم فسقط السيف من يده ، وجعل يضرب برأسه شجرة حتى انتثر دماغه .

الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يهاب قريشًا فأزال الله عز وجل بالآية تلك الهيبة . وقيل كان للنبى صلى الله عليه وسلم حراس بين أصحابه ، فلما نزلتْ الآية قال : الحقوا بملاحقكم ، فإن الله عصمنى من الناس .

الثالث : قالت عائشة : إن المراد بذلك إزالة التوهم أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحى للتقية .

الرابع : قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام : إن الله تعالى لما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يستخلف عليًا كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعًا له على القيام بما أمره بأدائه ، ولم يرجّح الطوسى أى الأقوال وإن كان الرجل يستشم من عرضه لهذه الآراء أنه يميل إلى القول الرابع لأن مصدره الإمامان « أبو جعفر » و « أبو عبد الله » رضى الله عنهما وهما قطبا الشيعة الإمامية .

ويقول الفخر الرازى فى تفسيره : ٤٩/١٢ ، ٥٠ طبعة دار إحياء التراث العربى ببيروت .

ذكر المفسرون فى سبب نزول الآية وجوهًا :

الأول : أنها نزلت فى قصة الرجم والقصاص على ما تقدم فى قصة اليهود .

الثانى : نزلت فى عيب اليهود واستهزائهم بالدين والنبى سكت عنهم ، فنزلت هذه الآية .

الثالث : لما نزلت آية التخيير ، وهو قوله : ﴿يأيها أيها النبى قل لأزواجك﴾ فلم يعرضها عليهن خوفًا من اختيارهن الدنيا فنزلت .

الرابع : نزلت فى أمر زيد وزينب بنت جحش . قالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحى فقد أعظم الفرية على الله ، والله تعالى يقول : ﴿ يأيها الرسول بلغ﴾ ولو كتم رسول الله شيئًا من الوحى لكتم قوله : ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ . الخامس : نزلت فى الجهاد،=

وإن قول علماء الشيعة بأن آية التبليغ نزلت فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قول لا أساس له من الصحة وما اعتمدوا عليه من أحاديث فى هذا الشأن يُعَدُّ من الموضوعات والمكذوبات على رسول الله ﷺ .

فإن معنى الآية واضح فقول الله تعالى : ﴿يا أيها الرسولُ بَلِّغ ما أُنْزِل إليك مِن رَبِّك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ (المائدة : ٦٧) .

فهذا كما يقول الطبرى فى نفسيره « أمرٌ من الله تعالى ذِكْرُهُ لنبيّه محمد ﷺ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصّ الله تعالى قصصهم فى هذه السورة ، وذكر فيها معايبهم ، وخبث أديانهم ، واجتراءهم على ربهم ، وتوثبهم على أنبيائهم ، وتبديلهم كتابه ، وتحريفهم إياه ، ورداءة مطاعمهم ومآكلهم وسائر المشركين غيرهم ، ما أنزل عليه فيهم من معايبهم ، والإزراء عليهم والتقصير بهم ، والتهجن لهم ، وما أمرهم

---

=فإن المنافقين كانوا يكرهونه ، فكان يمسك أحيانًا عن حثهم على الجهاد . السادس : لما نزل قوله تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم﴾ سكت الرسول عن عيب آلهتهم فنزلت هذه الآية وقال (بلغ) يعنى معايب آلهتهم ولا تخفها عنهم ، والله يعصمك منهم ،

السابع : نزلت فى حقوق المسلمين ، وذلك لأنه قال فى حجة الوداع لما بين الشرائع والمناسك « هل بلغت » قالوا : نعم ، قال عليه الصلاة والسلام : « اللّهم فاشهد » .

الثامن : روى أنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فى بعض أسفاره وعلق سيفه عليها ، فأتاه أعرابى وهو نائم فأخذ سيفه واخترطه وقال : يا محمد من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » فرعدت يد الأعرابى وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه ، فأنزل الله هذه الآية وبين أنه يعصمه من الناس .

التاسع : كان يهاب قريشًا واليهود والنصارى ، فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية . العاشر : نزلت الآية فى فضل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه » فلقيه عمر رضى الله عنه فقال : هنيئًا لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علىّ .

واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمله على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى ، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم ، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلامًا مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة فى البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها .

وفى قوله : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ سؤال ، وهو أنه كيف يجمع بين ذلك وبين ما روى أنه عليه الصلاة والسلام شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته ؟

والجواب من وجهين : أحدهما : أن المراد يعصمه من القتل ، وفيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل مادون النفس من أنواع البلاء ، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ! وثانيها : أنها نزلت بعد يوم أحد .

واعلم أن المراد من « الناس » ههنا الكفار ، بدليل قوله تعالى : ﴿إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ .

ومعناه أنه تعالى لا يمكنهم مما يريدون . وعن أنس رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية ، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال : انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس .

به ، ونهاهم عنه ، وأن لا يشعر نفسه حذرًا منهم أن يصيبه فى نفسه مكروه ، ما قام فيهم بأمر الله ، ولا جزعًا من كثرة عددهم ، وقلة عدد من معه ، وأن لا يتلقى أحدًا فى ذات الله ، فإن الله تعالى كافيه كل أحد من خلقه ، ودافع عنه مكروه كل من يتقى مكروهه ، وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصرّ عن إبلاغ شيء مِمّا أنزل إليه إليهم فهو فى تركه تبليغ ذلك ، وإن قلّ ما لم يبلغ منه ، فهو فى عظيم ما ركب بذلك الذنب بمنزلته ، لو لم يبلغ من تنزيله شيئًا »[1] .

---

(١) الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن : ٣٠٧/٦ – ط . ثالثة مصطفى البابلى الحلبى وأولاده القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

وقال الطبرى بعد شرحه للآية : « وبما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ يعنى : إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك ، لم تبلغ رسالتى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ الآية ، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم ، وأمره بالبلاغ ، ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قيل له : لو احتجبت ، فقال : « والله لأُبْدِيَنَّ عَقِبِى للنَّاسِ ما صَاحَبْتُهُمْ » .

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : لما نزلت ﴿بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال : إنما أنا واحد كيف أصنع ، تجتمع علىّ الناس ، فنزلت : ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ ... الآية .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ثعلبة ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : لمّا نزلت : ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَحْرُسُونِى إنَّ رَبِّى قَدْ عَصَمَنِى » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن عُلَيّة ، عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقبه ناس من أصحابه ، فلما نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ خرج فقال : « يا أيُّها النَّاسُ الْحَقُوا بِمَلاحِقِكُمْ ، فإنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِى مِنَ النَّاسِ » .

حدثنا هَناد ، قال : ثنا وكيع ، عن عاصم بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يتحارسه أصحابه ، فأنزل الله ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ ... إلى آخرها » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا الحارث بن عبيدة أبو قدامة الإيادى ، قال : ثنا سعيد الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة ، قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يُحرس ، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قالت : فأخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ، فقال : أيُّها النَّاسُ انْصَرِفُوا ، فإنَّ الله قَدْ عَصَمَنِى » .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن القرظى ، أن رسول الله ﷺ ما زال يحرس حتى أنزل الله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم: نزلت بسبب أعرابىّ كان=

ويقول القرطبى فى تفسيره(١) قوله تعالى : ﴿يأيُّها الرسولُ بَلِّغ ما أُنزِلَ إليك مِن ربِّكَ﴾ قيل : معناه أظهر التبليغ ؛ لأنه كان فى أول الإسلام يخفيه خوفًا من المشركين ، ثم أمر بإظهاره فى هذه الآية ، وأعلمه الله أنه يَعصِمه من الناس . وكان عمر رضى الله عنه أوّل من أظهر إسلامه . وقال : لا نَعبد اللّهَ سِرًّا ؛ وفى ذلك نزلت : ﴿يأيُّها النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فدلت الآية على ردّ قول من قال : إن النبى ﷺ كتم شيئًا من أمر الدين تَقِيَّة ، وعلى بطلانه ، وهم الرّافضة ، ودلت على أنه ﷺ

---

=همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفاه الله إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى وغيره ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة ، فيقيل تحتها ، فأتاه أعرابىّ ، فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك منى ؟ قال : الله ، فرعدت يد الأعرابىّ ، وسقط السيف منه ؛ قال : وضرب برأسه الشجرة ، حتى انتثر دماغه ، فأنزل الله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ».

وقال آخرون : بل نزلت لأنه كان يخاف قريشًا ، فأومن من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يهاب قريشًا ، فلما نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ استلقى ثم قال : مَنْ شاءَ فَلْيَخْذُلْنِى ، مرّتين وثلاثًا » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من الوحى ، فقد كذب ، ثم قرأت ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ ...﴾ الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : قالت عائشة : من قال : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم فقد كذب ، وأعظم الفرية على الله ، قال الله : ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ الآية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : من زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى خالد عن سعيد بن أبى هلال ، عن محمد بن الجهيم ، عن مسروق بن الأجدع ، قال : دخلت على عائشة يومًا ، فسمعتها تقول : لقد أعظم الفرية من قال : إن محمدًا كتم شيئًا من الوحى ، والله يقول : ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ .

ويعنى بقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ : يمنعك من أن ينالوك بسوء ، وأصله من عصام القربة ، وهو ما توكأ به من سير وخيط ، ومنه قول الشاعر :

وَقُلْتُ عَلَيْكُمْ مالِكـاً إِنَّ مالِكـاً   سَيَعْصِمُكُمْ إِنْ كانَ فِى النَّاسِ عاصِمُ

يعنى : يمنعكم . (الطبرى ص ٣٠٧ - ٣٠٩) . .

(١) القرطبى « أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى : الجامع لأحكام القرآن الكريم : ٦/٢٤٢ ، ٢٤٣ - طبعة دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ م .

لم يُسِرَّ إلى أحد شيئًا من أمر الدِّين ؛ لأن المعنى بَلِّغ جميع ما أنزل إليه ظاهرًا ، ولولا هذا ما كان فى قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ؛ قال ابن عباس : المعنى بَلِّغ جميع ما أنزل إليك من ربك ، فإن كتمتَ شيئًا منه فما بلَّغتَ رِسالته ؛ وهذا تأديب للنبى ﷺ ، وتأديب لحملة العِلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته وقد علِمَ الله تعالى من أمرِ نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وَحْيه ؛ وفى صحيح مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : من حدثكَ أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا من الوحى فقد كذب ؛ والله تعالى يقول : ﴿يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ وقبّح اللَّهُ الروافض حيث قالوا : إنه ﷺ كتم شيئًا مما أُوحى الله إليه كان بالناس حاجة إليه .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ دليل على نبوّته ؛ لأن الله عزّ وجّل أخبر أنه معصوم ، ومن ضمن سبحانه له العِصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئًا مما أَمَره الله به .

وقال الإمام ابن كثيرفى تفسيره آية التبليغ[١] يقول الله تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن هارون بن عنترة عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له : إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول الله ﷺ للناس فقال ابن عباس : ألم تعلم أن الله تعالى يقول : ﴿بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء فى بيضاء وهذا إسناد جيد وهكذا فى صحيح البخارى من رواية أبى جحيفة وهب بن عبد الله السودانى قال ، قلت لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : هل عندكم شىء من الوحي مما ليس فى القرآن فقال : لا ، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلاً فى القرآن وما فى هذه الصحيفة قلت : وما فى هذه الصحيفة ، قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

وقال البخارى رضى الله عنه ، قال الزهرى : من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك فى

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٧٧/٢ : ٧٩ .

أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع ، وقد كان هنا من أصحابه نحو من أربعين ألفًا كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « أيها الناس إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول : « اللّهم هل بلغت » قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا فضيل يعني ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « يا أيها الناس أي يوم هذا ، قالوا : يوم حرام ، قال : أي بلد هذا ، قالوا : بلد حرام ، قال : فأي شهر هذا ، قالوا : شهر حرام ، قال : فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » ثم أعادها مرارًا ثم رفع أصبعه إلى السماء فقال : « اللّهم هل بلغت » مرارًا قال ، يقول ابن عباس : والله لوصية إلى ربه عز وجل ثم قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، وقد روى البخاري عن عليّ بن المديني عن يحي بن سعيدعن فضيل بن غزوان به نحوه ، وقوله تعالى : ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ يعني وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به فما بلغت رسالته أي وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع ، وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال لما نزلت : ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ قال : يارب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ فنزلت : ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ ، ورواه ابن جرير من طريق سفيان وهو الثوري به ، وقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أي بلغ أنت رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك ، وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال الإمام أحمد ، حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت ، فقلت : ما شأنك يا رسول الله ، قال : « ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة » قالت : فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال : « من هذا » فقال : أنا سعد بن مالك فقال : « ما جاء بك » قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت : فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به .

ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها

ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهارًا بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة فصانه فى ابتداء الرسالة بعمه أبى طالب إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا فى قريش وخلق الله فى قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك فى الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهى المدينة فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود وكلماهم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتى المعوذتين دواء لذلك الداء ولما سمه اليهود فى ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها ، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة » .

وذكر الألوسى فى تفسيره زعم الشيعة فى قولهم بأن المراد ﴿ما أنزل إليك﴾ خلافة علىّ رضى الله عنه[1] « فقد رووا بأسانيدهم عن أبى جعفر . وأبى عبد الله رضى الله عنهما أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ أن يستخلف عليًا كرّم الله تعالى وجهه ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعًا له عليه الصلاة والسلام بما أمره بأدائه » وأصل رواية الغدير كما يقول الألوسى[2] « إن النبى ﷺ خطب فى مكان بين مكة والمدينة عند مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة يقال له : غدير خم ، فبين فيها فضل علىّ كرّم الله تعالى وجهه وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه من المعدلة التى ظنها بعضهم جورًا وتضييقًا وبخلاً ، والحق مع علىّ كرّم الله تعالى وجهه فى ذلك ، وكانت يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة تحت شجرة هناك .

فروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبد الله عن يزيد بن طلحة قال : لما أقبل علىّ كرّم الله تعالى وجهه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل حلة من البز الذى كان مع علىّ كرّم الله تعالى وجهه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل ، قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى

(١) الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم : ٦/ ١٩٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ .

الناس ، قال : ويلك انتزع قبل أن ننتهى إلى رسول الله ﷺ تعالى عليه وسلم ، قال : فانتزع الحلل من الناس فردها فى البز ، وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

وأخرج عن زينب بنت كعب – وكانت عند أبى سعيد الخدرى – عن أبى سعيد قال : اشتكى الناس عليًا كرّم الله تعالى وجهه ، فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فينا خطيبًا فسمعته يقول : أيها الناس لا تشكوا عليًا فوالله إنه لأخشن فى ذلك الله تعالى – أو فى سبيل الله تعالى – ، ورواه الإمام أحمد ، وروى أيضًا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن بريد الأسلمى قال : غزوت مع علىّ اليمن فرأيت منه جفوة ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرت عليًا كرّم الله تعالى وجهه ، فرأيت وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد تغير ، فقال بريدة : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، وكذا رواه النسائى بإسناد جيد قوى رجاله كلهم ثقات ، وروى بإسناد آخر تفرد به ، وقال الذهبى : إنه صحيح عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ، ثم قال : كأنى قد دعيت فأجبت أنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتى أهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض ، الله تعالى مولاى وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علىّ كرّم الله تعالى وجهه ، فقال : من كنت مولاه فهذا وليه « اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فما كان فى الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه » .

وروى ابن جرير عن علىّ بن زيد . وأبى هارون العبيدى . وموسى بن عثمان عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجة الوداع فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرتين ونودى فى الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليًا كرّم الله تعالى وجهه وأخذ بيده وأقامه عن يمينه ، فقال : ألست أولى بكل امرئ من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن هذا مولى من أنا مولاه « اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه » فلقيه عمر بن الخطاب فقال رضى الله تعالى عنه : هنيئًا لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة – وهذا ضعيف – فقد نصوا أن علىّ بن زيد . وأبا هارون . وموسى ضعفاء لا يعتمد على روايتهم ، وفى السند أيضًا – أبو إسحاق – وهو شيعى مردود الرواية .

وروى ضمرة بإسناده عن أبى هريرة قال : لما أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم يد علىّ كرّم الله تعالى وجهه قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فأنزل الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ، ثم قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خم ، ومن صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين شهرًا ، وهو حديث منكر جدًا ، ونص فى البداية والنهاية على أنه موضوع ، وقد اعتنى بحديث الغدير أبو جعفر بن جرير الطبرى فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه وألفاظه ، وساق الغث والسمين . والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدثين ، فإنهم يوردون ما وقع لهم فى الباب من غير تمييز بين صحيح وضعيف ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة فى هذه الخطبة ، والمعول عليه فيها ما أشرنا إليه ، ونحوه مما ليس فيه خبر الاستخلاف كما يزعمه الشيعة ، وعن الذهبى أن من كنت مولاه فعلى مولاه متواتر يتيقن أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ، وأما اللّهم وال من والاه ، فزيادة قوية الإسناد ، وأما صيام ثمانى عشرة ذى الحجة فليس بصحيح — ولا والله نزلت تلك الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام .

والشيخان لم يرويا خبر الغدير فى صحيحيْهما لعدم وجدانهما له على شرطهما ، وزعمت الشيعة أن ذلك لقصور وعصبية فيهما وحاشاهما من ذلك .

ويؤكد الألوسى على تهافت دعوى الشيعة فى أن الآية خاصة بعلىّ رضى الله عنه فيقول[1] : « ومما يبعد دعوى الشيعة من أن الآية نزلتْ فى خصوص خلافة علىّ كرّم الله تعالى وجهه ، وأن الموصول فيها خاص قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فإن الناس فيه وإن كان عامًا إلا أن المراد بهم الكفار ، ويهديك إليه ﴿إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ فإنه فى موضع التعليل لعصمته عليه الصلاة والسلام ، وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر أى لأن الله تعالى لا يهديهم إلى أمنيتهم فيك ، ومتى كان المراد بهم الكفار بعد إرادة الخلافة ، بل لو قيل : لم تصح لم يبعد ، لأن التخوف الذى تزعمه الشيعة منه صلى الله تعالى عليه وسلم — وحاشاه فى تبليغ أمر الخلافة — إنما هو من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، حيث أن فيهم — معاذ الله تعالى — من يطمع فيها لنفسه ، ومتى رأى حرمانه منها لم يبعد منه قصد الإضرار برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والتزام القول — والعياذ بالله عز وجل — بكفر من عرضوا بنسبة الطمع فى الخلافة إليه ، مما يلزمه محاذير كلية أهونها تفسيق الأمير كرّم الله تعالى وجهه وهو هو ، أو نسبة الجبن

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٧ .

إليه – وهو أسد الله تعالى الغالب – أو الحكم عليه بالتقية – وهو الذى لا تأخذه فى الله تعالى لومة لائم . ولا يخشى إلا الله سبحانه – أو نسبة فعل الرسول ﷺ ، بل الأمر الإلهى إلى العبث والكل كما ترى ، لا يقال : إن عندنا أمرين يدلان على أن المراد بالموصول الخلافة ، أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا بأبلغ عبارة تبليغ الأحكام الشرعية التى يؤمر بها حيث قال سبحانه مخاطبًا له عليه الصلاة والسلام : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ فلو لم يكن المراد هنا فرد هو أهم الأفراد وأعظمها شأنًا – وليس ذلك إلا الخلافة إذ بها ينتظم أمر الدين والدنيا – لخلا الكلام عن الفائدة ، وثانيهما أن ابن إسحاق ذكر فى سيرته أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع خطبته التى بين فيها ما بين ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، ثم أوصى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : فاعقلوا قولى فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله تعالى وسُنة نبيه ﷺ – إلى أن قال : بأبى هو وأمى ﷺ – اللّهم هل بلغت ؟ قال ابن إسحاق : فذكر لى أن الناس قالوا : اللّهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : اللّهم أشهد .

فإن هذه الرواية ظاهرة فى أن الخطبة كانت يوم عرفة يوم الحج الأكبر – كما فى رواية يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير – ويوم الغدير كان اليوم الثامن عشر من ذى الحجة بعد أن فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من شأن المناسك وتوجه إلى المدينة المنورة ، وحينئذ يكون المأمور بتبليغه أمرًا آخر غير ما بلغه صلى الله تعالى عليه وسلم » انتهى .

ونستطيع أن نخلص بنتيجة هامة من خلال هذه التفاسير وهى أن دعوى الشيعة أن آية التبليغ نزلت فى علىّ رضى الله عنه دعوى غير صحيحة على الإطلاق لسبب واحد أجمع عليه معظم المفسرين وهى أن آية التبليغ نزلت يوم عرفة ، وليست يوم الغدير كما تدعى الشيعة .

* * *

## الدليل الخامس

من القرآن الكريم ، قول الله تعالى في سورة الرعد : ﴿إنما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ (الرعد : ٧) .

قال ابن مطهر الحلّى الشيعى فى منهاج الكرامة أن الديلمى[1] صاحب كتاب « الفردوس »[2] ذكر حديثًا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أنا المنذر ، وعلىّ الهادى ، بك يا علىّ يهتدى المهتدون » وهذا الحديث عند الشيعة فيه دلالة واضحة على إمامة علىّ وخلافته بعد رسول الله ﷺ .

والحقيقة أن كتاب « فردوس الأخيار » للديلمى الهمزانى ملىء بالموضوعات والأحاديث الضعيفة وهذا الحديث من أكبر الموضوعات على رسول الله ﷺ .

وقد ذكر الإمام الطبرى هذا الحديث في تفسيره[3] فقال : « حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى قال : حدثنا الحسن بن الحسين الأنصارى قال : حدثنا معاذ بن مسلم بيّاع الهروى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ ، وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، فقال : أنا المنذر ﴿ولكل قوم هاد﴾ ، وأومأ بيده إلى منكب علىّ ، فقال : « أنت الهادى يا علىّ ، بك يهتدى المهتدون بعدى » .

وقد ترجم العلامة محمود شاكر رجال هذا الحديث الموضوع وبيّن أن من رجاله من هو ليس بثقة وليس بصدوق فأشار مثلاً إلى « الحسن بن الحسين الأنصاري العرنى » فقال عنه : كان من رؤساء الشيعة ، ليس بصدوق ، ولا تقوم به حجة .

وقال ابن حيّان : « يأتى عن الاثبات بالملزقات ، ويروى المقلوبات والمناكير » .

---

(١) الديلمى : هو أبو شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمى (٤٤٥ – ٥٠٩ هـ) صاحب كتاب « فردوس الأخيار » فى الحديث .

(٢) يقصد « فردوس الأخيار » .

(٣) الطبرى « أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى » (ت عام ٣١٠ هـ) « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » : ٣٥٧/١٦ ، تحقيق العلامة محمود محمد شاكر ، ومراجعة العلامة أحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف القاهرة .

ومعاذ بن مسلم مجهول ، هكذا قال ابن أبي حاتم . وهذا خبر هالك من نواحيه »[1] .

والحقيقة أن تفسير قول الله تعالى : ﴿ولكل قوم هاد﴾[2] .

بأنه عليّ تفسير يحتاج إلى نظر كبير ، وهو غير صحيح على الإطلاق .

فهذا يعني أن عليًا رضى الله عنه هاديًا لكل قوم من السابقين واللاحقين وهذا غير مقبول عقلاً أو نصًا .

---

(١) الطبرى : المرجع السابق هامش ص ٣٥٧ .

(٢) يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : ٢/ ٥٠١ و ٥٠٢ « قول الله تعالى : ﴿إنما أنت منذر﴾ أى إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التى أمرك بها و ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء﴾ ، وقوله : ﴿ولكل قوم هاد﴾ ، قال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس أى لكل قوم داعٍ ، وقال العوفى عن ابن عباس فى الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد منذر وأنا هادى كل قوم ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد ﴿لكل قوم هاد﴾ أى نبى كقوله : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد ، وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ﴿ولكل قوم هاد﴾ قالا هو محمد ﷺ وقال مالك : ﴿ولكل قوم هاد﴾ يدعوهم إلى الله عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى حدثنا الحسن بن الحسين الأنصارى حدثنا معاذ بن سلم حدثنا الهروى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت : ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ قال وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال : « أنا المنذر ولكل قوم هاد » ، وأومأ بيده إلى منكب علىّ فقال : « أنت الهادى يا علىّ ، بك يهتدى المهتدون من بعدى » وهذا الحديث فيه نكارة شديدة . وذكر الألوسى فى تفسيره روح المعانى : ١٣/١٠٨ مدى ضعف حديث « يا علىّ ، بك يهتدى المهتدون من بعدى » فقال : « أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط . والحاكم وصححه . وابن عساكر أيضًا عن علىّ بن أبى طالب أنه قال فى الآية : رسول الله ﷺ المنذر وأنا الهادى ، وفى لفظ ، والهادى رجل من بنى هاشم — يعنى نفسه » .

واستدل بذلك الشيعة على خلافة علىّ كرّم الله تعالى وجهه بعد رسول الله ﷺ بلا فصل . وأجيب — أى الألوسى — بأنا لا نسلم صحة الخبر ، وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبار عند أهل الأثر ، وليس فى الآية دلالة على ما تضمنه بوجه من الوجوه ، على أن قصارى ما فيه كونه كرّم الله تعالى وجهه به يهتدى المهتدون بعمل رسول الله ﷺ ، وذلك لا يستدعى إلا إثبات مرتبة الإرشاد وهو أمر والخلافة التى نقول بها أمر لا تلازم بينهما عندنا . وقال بعضهم : إن صح الخبر يلزم القول بصحة خلافة الثلاثة رضى الله تعالى عنهم حيث دل على أنه كرّم الله تعالى وجهه على الحق فيما يأتى ويذر وأنه الذى يهتدى به ، وهو قد بايع أولئك الخلفاء طوعًا ومدحهم وأثنى عليهم خيرًا ولم يطعن فى خلافتهم فينبغى الاقتداء به والجرى على سننه فى ذلك ودون إثبات خلاف ما أظهر خرط القتاد .

وقال أبو حيان : إنه ﷺ على فرض صحة الرواية إنما جعل عليًا كرّم الله وجهه مثالاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : يا علىّ هذا وصفك فيدخل الخلفاء الثلاث وسائر علماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم بل وسائر علماء الأمة ، وعليه فيكون معنى الآية إنما أنت منذر ولكل قوم فى القديم والحديث إلى ما شاء الله تعالى هداة دعاة إلى الخير » . ا هـ ، قال الألوسى وظاهره أنه لم يحمل تقديم المعمول فى خبر ابن عباس رضى الله عليه تعالى عنهما على الحصر الحقيقى وحينئذٍ لا مانع من القول بكثرة من يهتدى به ، ويؤيد عدم الحصر ما جاء عندنا من قوله ﷺ : « اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر » وأخبار أُخَرَ متضمنة لإثبات من يهتدى به غير علىّ كرّم الله تعالى وجهه » .

فالآية معناها ببساطة شديدة ﴿ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه﴾ أى على رسول الله ﷺ ﴿آية من ربه﴾ أى معجزة حسية كمعجزات الأنبياء السابقين الناقة ، وإحياء الموتى بإذن الله ، وإبراء الأكمه والأبرص ، والعصا واليد ، قال عز من قائل : ﴿إنما أنت منذر﴾ أى : يا محمد ، وليس لك الإتيان بالمعجزات والآيات فهذا شأن الله تعالى وحده ﴿ولكل قوم هاد﴾ أى رسول يدعوهم إلى الإيمان بدعوة الله تعالى بما يهبه من المعجزات النيرات لا بما يطلبون ويسألون .

وعلى فرض المستحيل وهو صحة الحديث الذى ذكره الديلمي ، والثعلبى عند نزول آية الرعد فإنه على تقدير الصحة فلا دلالة لهذه الآية على إمامة على رضى الله عنه ونفيها عن غيره أصلاً ، لأن كون رجل « هاديًا » لا يستلزم أن يكون « إمامًا » ولا نفى الهداية عن الغير ، وإن دل بمجرد الهداية على الإمامة تكون الإمامة المصطلحة لأهل السنة وهى بمعنى القدوة فى الدين مراده ، وهو غير محل النزاع ، قال تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾[1] . وقال : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2] إلى غير ذلك[3] .

* * *

(١) سورة السجدة : ٢٤ .
(٢) آل عمران : ١٠٤ .
(٣) شاه الدهلوى : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ١٧٧ .

## الدليل السادس

آية المباهلة ، قول الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِن بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوْا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نَبْتَهِلْ فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (آل عمرن : ٦١) .

يقول ابن مطهر الحلىّ الشيعى فى منهاج الكرامة : « نَقَلَ الجمهور كافة أن « أبناءنا » إشارة إلى الحسن والحسين ، ونساءنا إشارة إلى فاطمة . وأنفسنا إشارة إلى علىّ . وهذه الآية دليل على ثبوت الإمامة لعلىّ لأنه تعالى قد جعل نفس رسول الله ﷺ ، والاتحاد محال ، فيبقى المراد بالمساواة له الولاية وأيضًا لو كان غير هؤلاء مساويًا لهم وأفضل منهم فى استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لأنه فى موضع الحاجة ، وإذا كانوا هم الأفضل تعينت الإمامة فيهم . وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلا على من استحوذ الشيطان عليه ، وأخذ بمجامع قلبه ، وحبِّبت إليه الدنيا التى لا ينالها إلا بمنع أهل الحق من حقهم » .

والحديث صحيح فى سبب نزول آية المباهلة فى سورة آل عمران ذكره مسلم فى صحيحه فى باب من فضائل علىّ[1] .

لكن المباهلة لا تكون إلا بذوى قربى المباهل ، فالإنسان يباهل بأبنائه ونسائه وأقرب الناس إليه لا بأصحابه ومعارفه .

يقول الإمام ابن تيمية : « وكونه [أى علىّ رضى الله عنه] تعين للمباهلة إذ ليس فى الأقارب من يقوم مقامه ، لا يوجب أن يكون مساويًا للنبى ﷺ فى شىء من الأشياء ، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقًا ، بل له بالمباهلة نوع فضيلة ، وهى مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين ، ليست من خصائص الإمامة ، فإن خصائص الإمامة ، لا تثبت للنساء ، ولا يقتضى أن يكون مَنْ باهل به أفضل من جميع الصحابة ، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة .. وإن قوله :

(١) مسلم : ٤/ ١٨٧١ .

« نساءنا » لا يختص بفاطمة ، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها فى ذلك ، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة ، فإن رقية وأم كلثوم وزينب كن قد توفين قبل ذلك .

فكذلك « أنفسنا » ليس مختصًا بعليّ بل هذه صيغة جمع ، كما أن « نساءنا » صيغة جمع ، وكذلك « أبناءنا » صيغة جمع ، وإنما دعا « حسنًا » و « حسينا » لأنه لم يكن مما ينسب إليه بالنبوة سواهما ، فإن إبراهيم إن كان موجودًا إذ ذاك فهو طفل لا يَدْعى فقد عاش بضعة عشر شهرًا ومات »[١] .

ومن ذلك كله نلاحظ أن استدلالهم بآية المباهلة استدلال عقيم لا يصح ، فوقت المباهلة لم يكن له ﷺ باقيا من البنات حيًا سوى فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وكان ﷺ يقول عن الحسن « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين ولأنهم أقرب الناس إليه أخذ رسول الله ﷺ بيدهم فاطمة وعلىّ وحسن وحسين ليباهل بهم[٢] .

ولا نستطيع أبدًا أن نساوى بين نفس على رضى الله عنه ونفس رسول الله ﷺ فبعض الشيعة يرى أن المراد بـ «أنفسنا» علىّ رضى الله عنه، والصحيح أنها نفس رسول الله ﷺ .

يقول شاه الدهلوى[٣] : « ما قاله علماء الشيعة فى إبطاله « إن الشخص لا يدعو نفسه » .

فكلام مستهجن ، إذ قد شاع وذاع فى العرف القديم والجديد أن يقال دعته نفسه إلى كذا ، ودعوت نفسى إلى كذا، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ وأمرت نفسى، وشاورت نفسي إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة فى كلام البلغاء ، فكان معنى « ندع أنفسنا » نحضر أنفسنا . وأيضًا لو قررنا عليًا رضى الله عنه من قبل النبى لمصداق « أنفسنا » فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق « أنفسكم » في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون فى صيغة « ندعو » ولا معنى لدعوة النبى إياهم وأبناءهم بعد قوله : « تعالوا » .

الأمر الثانى : أنه لو كان المراد مساواته فى جميع الصفات يلزم اشتراكه فى خصائص

---

(١) ابن تيمية : المنهاج : ٧/ ١٢٦ ، ١٢٩ باختصار .

(٢) البخارى : ٣/ ١٨٦ ، باب « قول النبى صلى الله عليه وسلم للحسن بن على رضى الله عنهما إن ابنى هذا سيد .

(٣) شاه الدهلوى : مختصر التحفة الاثنى عشرية ١٧٥ و ١٧٦ باختصار .

النبوة وغيرها من الأحكام الخاصة به ، وهو باطل بالإجماع ، لأن التابع دون المتبوع . وأيضًا لو كانت الآية دليلا لإمامته لزم كون على إمامًا فى زمنه ﷺ وهو باطل بالاتفاق ، وإن قيدوا بوقت دون وقت فالتقييد لا دليل عليه في اللفظ فلا يكون مفيدا للمدعى ، إذ هو غير متنازع فيه لأن أهل السنة يثبتون إمامة على رضى الله عنه فى وقت دون وقت فلم يكن هذا الدليل قائما فى محل النزاع أيضًا ! وبهذا بطل استدلالهم بآية المباهلة .

من هذا يتضح لنا أن استدلالهم بآية المباهلة استدلال غير صحيح فالآية الكريمة أقصى ما تبرزه وتوضحه بيان فضل أصحاب الكساء رضى الله عنهم .

يقول صاحب الكشاف فى تفسيره لهذه الآية : « فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلاّ ليتبيّن الكاذب منه ومن خصمه . وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه ، فما معنى ضم الأبناء والنساء . قلت ذلك أكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له ، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب ، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل . ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الزادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق . وقدمهم فى الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم . وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها . وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام »[1] .

الحقيقة إننا حين نجعل عليا بن أبى طالب رضى الله عنه مساويًا لرسول الله ﷺ نكون قد أضفينا على علىّ بن أبى طالب مقام النبوة وفى ذلك تطاول على هذا المقام العظيم ، وهذا غلو فى الدين لا يرتضيه أهل الصدق والإيمان وأهل الإسلام ذلك الدين السمح الحنيف .

وليس فى الآية — بعد ذلك — دليل أو نص على إمامة علىّ أو خلافته كما يدعى الشيعة أو يزعمون .

* * *

(١) الزمخشرى ، « أبو القاسم جار الله محمود بن عمر » ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : طبع مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٨٥هـ .

## الدليل السابع

آية سورة الشورى:﴿قل لاأسألكم عليه أجرًا إلاالمودة فى القربى﴾[1](الشورى : ٣٢) .

يقول ابن مطهر الحلّى : « روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن ابن عباس قال : لما نزلتْ ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ قالوا : يارسول الله مَنْ قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : « علىّ وفاطمة وإبناهما وكذا فى تفسير الثعلبى ، ونحوه فى الصحيحين . وغير علىّ من أصحابه والثلاثة لا تجب مودته ، فيكون علىّ أفضل ، فيكون هو الإمام ، ولأن مخالفته تنافى المودة ، وبامتثال أوامره تكون مودته ، فيكون واجب الطاعة ، وهو معنى الإمامة » .

والحقيقة أننا حين نناقش هذا الكلام بحكمة وهدوء نجده فى حاجة إلى نظر وتثبت ، ذلك أن سورة الشورى من أولها لآخرها سورة مكية ، ولم يكن علىّ تزوج بعد فاطمة الزهراء ولا أنجب حسنًا أو حسينًا رضى الله عنهما ، فمن المعروف أن عليا تزوجها فى المدينة المنورة بعد غزوة بدر الكبرى .

الأمر الثانى : أننا لو تصفحنا مسند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ما وجدنا هذا الحديث[2] ، ولا فى الصحيحين أيضًا . فهو من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على رسول الله ﷺ .

(١) أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : لو جمعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالاً فأنزل الله : ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ فقال بعضهم : إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم ، فأنزل الله : ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا﴾ إلى قوله : ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ فعرض لهم التوبة إلى قوله : ﴿ويزيدهم من فضله﴾ لباب النقول فى أسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص ٦٨٧ .

(٢) يقول الإمام ابن تيمية فى منهاج السنة : ٩٦/٧ إلى ٩٩ باختصار : « إن هؤلاء (يقصد الشيعة) يروون من الأكاذيب مالا يخفى إلاّ على مَنْ هو من أجهل الناس . ورأيت كثيرًا من ذلك المعزوّ الذى عزاه أولئك إلى المسند والصحيحين وغيرهما باطلاً لا حقيقة له ، يعزون إلى مسند أحمد ما ليس فيه أصلاً . لكن أحمد صنف كتابا فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ (وغيرهم) ، وقد يروى فى هذا الكتاب ما ليس فى المسند . وليس كل ما رواه أحمد فى المسند وغيره يكون حجة عنده ، بل يروى ما رواه أهل العلم ، وشرطه فى المسند أن لا يروى عن المعروفين بالكذب عنده ، وإن كان فى ذلك ما هو ضعيف ، وشرطه فى المسند مثل شرط أبى داود فى سننه .

وأما كتب الفضائل فيروى ماسمعه من شيوخه ، سواء كان صحيحا أو ضعيفًا . فإنه لم يقصد أن لا يروى فى=

أما تفسير ابن عباس لهذه الآية فهو خلاف ما يدّعيه ابن مطهر الحلىّ وشيعته فحين فسرّ أحدهم ﴿إلا المودة فى القربى﴾ بمعنى إلا أن تودوا ذوى قربى محمد ﷺ قال له ابن عباس : عجلتَ ، إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله منهم قرابة . فقال : قل لا أسلكم عليه أجرًا إلا أن تودونى فى القرابة التى بينى وبينكم [١] . فابن عباس رضى الله عنهما لم يقل : إلا المودة لذوى القربى وإنما حبر الأمة قال : إلا المودة فى القربى .

فليس المقصود لذوى القربى . ثم أن قربى رسول الله ﷺ غير قاصرة على علىّ رضى الله عنه وفاطمة الزهراء رضى الله عنها وسبطا رسول الله الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وإنما بنص حديث البخارى — الذى من رواية طاووس عن ابن عباس — أنه « لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة » .

ونحن لا ننكر أبدًا أن محبة آل بيت رسول الله ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وأهل السنة والجماعة هم أكثر الناس حبًا لآل بيت رسول الله ﷺ حبًا حقيقيا صادقًا لا غلو فيه ، بدون تأليه أو عصمة لهم . ويعملون بوصية رسول الله ﷺ « أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى »[٢] ورسول الله ﷺ لا ينتظر من أحد أجرًا على تبليغه رسالة رب العالمين ، فالمجازى هو الله تعالى : ﴿قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾[٣] . ويقول تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾[٤] .

---

=ذلك إلا ما ثبت عنده . ثم زاد عبد الله بن أحمد زيادات وزاد أبو بكر القطيعى زيادات . وفى زيادات القطيعى أحاديث كثيرة كذب موضوعه ، فظن ذلك الجاهل أن تلك من رواية أحمد وأنه رواها فى المسند . وهذا خطأ قبيح ، فإن الشيوخ المذكورين شيوخ القطيعى ، وكلهم متأخر عن أحمد ، وهم ممّن يروى عن أحمد ، لا ممّن يروى أحمد عنه .. فهذا القطيعى يروى عن شيوخه زيادات ، وكثير منها كذب موضوع . وهؤلاء قد وقع لهم هذا الكتاب ، ولم ينظروا ما فيه من فضائل سائر الصحابة ، بل اقتصروا على ما فيه من فضائل علىّ ، وكلما زاد حديثا ظنوا أن القائل ذلك هو أحمد بن حنبل ، فإنهم لا يعرفون الرجال وطبقاتهم ، وأن شيوخ القطيعى يمتنع أن يروى أحمد عنهم شيئًا ، ثم إنهم لفرط جهلهم ماسمعوا كتابًا إلا المسند ، فلما ظنوا أن أحمد رواه ، وأنه إنما يروى فى المسند ، صاروا يقولون لما رواه القطيعى : رواه أحمد فى المسند . هذا إن لم يزيدوا على القطيعى ما لم يروه ، فإن الكذب عندهم غير مأمون ، وما رواه القطيعى فيه من الموضوعات القبيحة الوضع مالا يخفى على عالم » .

(١) نص الحديث فى البخارى : ١٧٨/٤ — ١٧٩ .

(٢) أحمد بن حنبل : المسند : ٣٦٦/٤ — ٣٦٧ طبعة الحلى .

(٣) سبأ : ٤٧ .

(٤) سورة ص : ٨٦ .

وقول الله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلاّ من شاء أن يتخذ إلى ربِّه سبيلاً﴾(١) .

فالاستثناء هنا منقطع والمعنى إلا من أراد أن يتخذ إلى ربه طريقًا بإنفاق ماله فى سبيل الله وابتغاء رضوانه فلا أمنعه من ذلك .

وإن محبة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من ألزم الواجبات علينا نحن المسلمين ، لكن ليس فى إيجاب محبته ومودته ما يلزم باختصاصه بالإمامة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقد حثنا رسول الله ﷺ على حب المؤمنين وتوادهم وتراحمهم فيما بينهم فقال ﷺ : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهرِ والحمى »(٢) .

وحب الصديق وعمر وعثمان والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين واجب كحب علىّ فقد رضى الله عنهم ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين﴾(٣) ، وإن القدح فى الثلاثة الأجلاء والطعن فيهم من أكبر الحرمات عند الله تعالى . فمحبتهم واجبه كمحبة علىّ رضى الله عنه .

لقد بالغ الشيعة فى حب علىّ وغالوا فيه غلوًا كبيرًا حتى وضعوا حديث « حب علىّ حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة » كما غالوا فى حب آل رسول الله ﷺ فوضعوا فيهم حديث « حب آل محمد ﷺ يومًا خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة » ، وهذا من أعظم الكذب على رسول ﷺ .

* * *

(١) الفرقان : ٥٧ .
(٢) البخارى : ١٠/٨ ، كتاب الآداب ، باب « رحمة الناس والبهائم » .
(٣) سورة الفتح : ١٨ .

## الدليل الثامن

هو قول الله تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجْسَ أهل البيت ، ويطهِّركم تطهيرًا﴾ (الأحزاب : ٣٣) .

يقول الشيعة إن أهل بيت رسول الله ﷺ هم علىّ وفاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم وأن فى الآية دلالة على العصمة فتكون الإمامة واجبة فى المعصوم على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وهذا الكلام يحتاج إلى نظر دقيق وفهم صحيح فإنّ لىّ النص لصالح فكرة مسبقة عند الشيعة جعلهم يفسرون النصوص على هواهم ، بينما الأمر يحتاج إلى نزاهة وموضوعية فى البحث .

ففى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم قالت عائشة رضى الله عنها : « خرج النبى ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعرٍ أسود ، فجاء الحسن بن علىّ فأدخلهُ ، ثم جاء الحسين فأدخلهُ معه ، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها ، ثم جاء علىّ فأدخله ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويطهره كم تطهيرًا﴾[1] .

وفى رواية أم سلمة رضى الله عنها قالت فى بيتى أنزلتْ : ﴿إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت﴾ قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلىّ والحسن والحسين ، فقال : « هؤلاء أهلى » قالت : فقلت : يا رسول الله ، أما أنا من أهل البيت ؟ قال : « بلى إن شاء الله »[2] .

وهذا الحديث يبرهن ويؤكد دخول زوجات الرسول ﷺ فى أهل بيته .

ويعمق هذا الرأى ويؤكده تأكيدًا حديث مسلم عن أبى حيان التميمى ، عن يزيد بن حيان قال : سمعت زيد بن أرقم قال : قام فينا ذات يوم رسول الله ﷺ خطيبًا . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيبه . وإنى تارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله . فيه الهدى والنور ، فاستمسكوا

(١) مسلم : ١٨٨٣/٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم » .
(٢) الترمذى سنن : ٣٠/٥ ، كتاب التفسير سورة الأحزاب .

بكتاب الله وخذوا به » فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : « وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى – ثلاث مرات » .

فقال له حصين : يا زيد ، مَنْ أهل بيته ، أليس نساؤه مِن أهل بيته ؟ قال : بلى ، إن نساءه مِن أهل بيته ، ولكن أهل بيته ، مَنْ حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : آل علىّ وآل جعفر وآل العباس وآل عقيل . فقال : كل هؤلاء يحرم الصدقة ؟ قال : نعم »[١] .

وهذا الحديث يؤكد – أيضًا – أن كل من يحرم الصدقة وهم آل علىّ وآل جعفر وآل العباس وآل عقيل داخل فى اسم آل رسول الله ﷺ ، فقد أخرج أحمد ومسلم عن عبد المطلب بن ربيعة يرفعه : « إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد ، وإنما هى أوساخ الناس »[٢] .

فآل البيت ليس قصرًا على علىّ وفاطمة وحسن والحسين رضى الله عنهم ، وإنما زوجات الرسول ﷺ وكل من يحرم الصدقة فهو من آل محمد ﷺ . وفى البخارى أنهم قالوا : يا رسول الله ، كيف نُصَلِّى عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللّهم صل على محمد وأزواجه وذريته . كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[٣] .

وإن سياق الآية جاء فى مخاطبة نساء النبى ضمن الأمر والنهى الإلهى لهن يقول الله تعالى فى مطلع الآيات : ﴿يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يضاعفْ لها العذابُ ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعملْ صالحًا نُؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رِزقًا كريمًا * يا نساء النبىِّ لستن كأحدٍ من النساء إن اتّقيْتُنَّ فلا تخضعن بالقول فيطمَعَ الذى فى قلبه مَرَضٌ وَقُلْنَ قولاً معروفًا * وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ، ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى وأقِمْنَ الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطعنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ، إنما يريدُ الله

(١) مسلم : فضائل الصحابة ، باب « فضائل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه » .
(٢) الألبانى « محمد ناصر الدين » : (صحيح الجامع الصغير وزياداته : ١٦٦٠) المسمى « الفتح الكبير » – ط . بيروت المكتب الإسلامى : ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .
(٣) البخارى : ١٤٦/٤ (كتاب الأنبياء) .

ليذهبَ عنكَم الرّجسَ أهل البيت ويطهركم تطهيرًا * واذْكُرْنَ ما يُتْلَى فى بيوتِكُنَّ مِن آيات الله والحكمةِ إنّ الله كان لطيفًا خبيرًا﴾ (الأحزاب : ٣٠ - ٣٤) .

يقول الإمام البيهقى[1] « ابتدأ الآية فى نساء النبى ﷺ ، وتخييرهنَّ ، فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، كان لهن ما أعدّ الله لهن الأجر العظيم . ثم ميزهن عن نساء العالمين فى العذاب والأجر ، ثم ابانهن منهن فقال : ﴿يا نساء النبىِّ لستن كأحدٍ من النساء إن اتّقَيْتنَّ فلا تخضعن بالقول فيطمَعَ الذى فى قلبه مَرَضٌ﴾ (الأحزاب : ٣٢) .

فساق الكلام إلى قوله : ﴿إنما يريد اللّهُ لِيُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ (الأحزاب : ٣٣) ، وإنما ورد بلفظ الذكور ، لإدخال غيرهن معهن فى ذلك ، ثم أضاف البيوت إليهن بقوله : ﴿واذكرُن ما يُتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب : ٣٤) وجعلهن أمهات المؤمنين فقال : ﴿النبى أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (الأحزاب : ٦) .

وأما معنى الرّجس فى آية الأحزاب فهو كل قذر وخبيث . وأيضًا معناه الشرْك مثل قول الله تعالى فى سورة الحج : ﴿فاجتنبوا الرّجس من الأوثان﴾ (الحج : ٣٠) .

لكن دعاء رسول الله ﷺ لأهل بيته بأن يُذْهب عنهم الرجس وأن يطهرهم منه تطهيرًا ليس معنى ذلك أن يعطيهم هذا حق العصمة وأن لا يقع منهم ذنب فالتطهير لا يعنى العصمة على الإطلاق فلا معصوم إلا النبى ﷺ ، لكن الشيعة تصر بلا دليل صحيح على عصمة أئمتهم أيضًا . وهذا وهم غير صحيح .

* * *

(١) البيهقى (أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى الشافعى ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، على مذهب السلف وأصحاب الحديث ص ٣٢٤ ، قدّم له وخرّج أحاديثه أحمد عصام الكاتب ، مشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

## الدليل التاسع

سورة « هل أتى » أى سورة « الإنسان » .

قال الشيعة وشيخهم ابن المطهر الحلىّ أن السورة نزلت فى شأن علىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فذكر ابن المطهر أنه فى تفسير الثعلبى من طرق مختلفة قال : مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله ﷺ وعامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنذر صوم ثلاثة أيام ، وكذا نذرت أمهما فاطمة وجاريتهم « فضة » فبرآ ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، واستقرض علىّ ثلاثة آصع[1] من شعير فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرصًا ، وصلى علىّ مع النبى ﷺ المغرب ، ثم أتى فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ ، مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى ، أطعمكم الله من موائد الجنة ، فسمعه علىّ فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح ، فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة فخبزت صاعًا ، وصلى علىّ مع النبى ﷺ ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم ، فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ﷺ ، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة ، أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة ، فسمعه علىّ فأمر بإعطائه ، فأعطوه الطعام ، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلا الماء القراح ، فلما كان اليوم الثالث ، قامت فاطمة إلى الصاع الثالث ، فطحنته وخبزته ، وصلى علىّ مع النبى ﷺ ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتى أسير فقال أتأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا ، أطعمونى فإنى أسير محمد ، أطعمكم الله من موائد الجنة ، فسمعه علىّ فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام فمكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القراح .

فلما كان اليوم الرابع وقد وفّوا نذورهم أخذ علىّ الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل على رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما أبصرهما النبى ﷺ قال : « يا أبا الحسن ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم ، انطلق بنا إلى منزل ابنتى فاطمة فانطلقوا إليها وهى فى حجرتها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع

(١) آصع : جمع صواع ، والصواع حوالى ٢,٤٠ كيلو جرامًا .

وغارت عيناها فلما رآها النبى ﷺ قال واغوثاه بالله أهل بيت محمد يموتون جوعًا فهبط جبريل على محمد ﷺ فقال : يا محمد خذ ما هنأك الله فى أهل بيتك ، فقال : ما آخذ يا جبريل فأقرأه ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ (الإنسان:١) .

وهى تدل على فضائل جمة لم يسبقه إليها أحد ولا يلحقه أحد فيكون أفضل من غيره فيكون هو الإمام » .

وبقدر طول النص الذى ذكره ابن مطهر الحلىّ فإن الرد قصير ، ذلك أن عددا كبيرا من العلماء والمفسرين قالوا إن سورة « هل أتى » مكية ومن المعروف أن عليًا رضى الله عنه تزوج فاطمة بعد الهجرة فكان زواجهما بالمدينة المنورة أى بعد نزول السورة المكية بسنوات ، ولم يكن الحسن والحسين وُلدا بعد .

الأمر الآخر أن من قرأ قصة نزول الآية كما أشارت إليها المصادر الشيعية المتعددة لاحظ بعينه مدى تهافتها . فهل يُعقل أن يأخذ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه النصيحة بالنذر من عامة العرب كما تدعى المصادر الشيعية وهى دون أن تشعر – تجعل بذلك الخليفة – الرابع فى موقف ضعيف حيث يتلقى الرأى والنصيحة من عامة العرب وجهالهم . وهم بذلك يقدحون فى علم علىّ رضى الله عنه .

وكيف يتلقى علىّ رضى الله عنه من هؤلاء العامة والجهال النصيحة ومعهم رسول الله ﷺ حيث تقول المصادر الشيعية « فعادهما جدهما رسول الله ﷺ وعامة العرب » مع أن رسول الله ﷺ نهى عن النذر ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما نهى النبى ﷺ عن النذر قال : « إنه لا يَرُدُّ شيئًا ، وإنما يستخرج به من البخيل »[١] والله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين على الوفاء بالنذر ، وليس على القول به والعقد على النذر .

وأيضًا من المعروف أن عليًا رضى الله عنه لم يكن له جارية بالمدينة ولا غير المدينة اسمها فضة[٢] .. هذا ومن المعروف أنه لم يكن لعلىّ خادمًا على عهد رسول الله ﷺ .

وفى الصحيحين عن علىّ رضى الله عنه أن فاطمة سألت النبى ﷺ خادمًا فعلمها أن تسبح عند المنام ثلاثًا وثلاثين ، وتكبر ثلاثًا وثلاثين ، وتحمّد أربعًا وثلاثين . وقال : « هذا خير لك من خادم »[٣] .

---

(١) البخارى : ١٢٤/٨ – ١٢٥ كتاب القدر ، باب « إلقاء العبد النذر إلى القدر » .

(٢) يقال أن فضة كان معلمًا ، كان يعلم الحسن والحسين ووضع الشيعة الأساطير حوله فادعوا أنه أعطِى تفاحة كان فيها علم الحوادث المستقبلة فكان يتنبأ بما سيقع فى الغيب .

(٣) البخارى : ١٩/٥ ، باب « مناقب علىّ » .

وقولهم عن اليتيم إنه قال : « استشهد والذى يوم العقبة » فذلك من أوضح الكذب فليلة العقبة قبل الهجرة النبوية الشريفة ولم يكن فيها قتال لأن رسول الله ﷺ طوال بعثته الشريفة بمكة لم يؤمر أصلاً بالقتال. فالافتراء واضح، والكذب مكشوف لكل ذى عينين.

ثم قول الأسير : « أتأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا ، أطعمونى فإنى أسير محمد أطعمكم الله من موائد الجنة » .. قول لا يقبله عقل ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون حق الأسير الذى يستأسرونه فيقومون به خير قيام ولا يتركون الأسرى يتجولون فى المدينة يسألون الناس .

من هذا كله يتضح لنا مدى اختراعهم هذه القصة ليفرضوا على المسلمين مسألة أحقية علىّ رضى الله عنه فى الإمامة بعد وفاة رسول الله ﷺ بدعوى أنه صاحب فضائل جمة فيكون أفضل من غيره ، فيكون هو الإمام .

والإمام من اختراعاتهم وكذبهم عليه برىء براءة تامة .

فالقصة التى اخترعوها سببًا لنزولى « هل أتى » موضوعة من أولها ، ومجرد روايتها عن الثعلبى أو غيره لا يدل على أنها صحيحة فقد فندناها من أساسها وتبين لنا كذبها تمامًا ووضعها وضعًا بيّنًا لكل ذى لب سليم .

وكما قلنا إن معظم المفسرين والعلماء يرون أنها مكية قال القرطبى رحمه الله « مكية فى قول ابن عباس ومقاتل والكلبى وقال الجمهور مدنية »(١) .
وقال السيوطى « قيل مدنية وقيل مكية .. »(٢) .

وقال الشوكانى « قال الجمهور مدنية ، وقال مقاتل والكلبى هى مكية »(٣) .

وقال الصاوى فى حاشيته على الجلالين « مكية فى قول جماعة ومدنية فى قول الجمهور »(٤) . وقال الشيخ قطب فى بعض الروايات مدنية ، ولكنها مكية وحكمتها ظاهرة جدًا فى موضوعها ، وسياقها ، وفى سماتها »(٥) ونحن نميل بقوة إلى القول بأنها مكية ففيها كل خصائص القرآن المكى ، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

---

(١) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩/٧٧ .
(٢) السيوطى/ جلال الدين ، الإتقان ١/٢٥ .
(٣) الشوكانى ، فتح القدير ٥/٤٨٩ .
(٤) الصاوى ، حاشية الصاوى ٤/٢٧٣ .
(٥) قطب ، سيد ، فى ظلال القرآن ٦/٣٧٧٧ .

# الخاتمة

وبعد .. فلازلت أردد في كل كتاب أكتبه قول العماد الأصفهاني « إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده ، لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يُستحسنْ ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِك هذا لكان أجمل ، وهذا مِن أعظم العِبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

ثم يبقى أن أحمدك ربى كثيرًا كثيرًا ، على سابغ نعمائك وعطاياك علىّ ، وإنى أسألك الهداية والتوفيق . وأسألك الشكر على العافية والغِنى عن الناس وأسألك الجنّة يارب العالمين ، وأسألك قبولَ هذا العمل ، وأن تجعله خالصًا لوجهك الكريم . وأسألك الشهادة في سبيلك ، والموت في المدينة المنورة ، فقد روى البخارى أن عمر رضى الله عنه قال : « اللَّهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى حرم رسولك الأمين » اللَّهم أمين .

وختامًا : فإن كنت وفقت فللّه تعالى المِنّة والشكر ، وإن أكن قصرت فإن الكمال لله وحده . ومنه أستمد العون لدرك ما فاتنى . وهو الموفق والهادى سواء السبيل .

العبد الفقير إلى الله تعالى
عامر النجار

# مراجع الجزء الثالث

## الشيعة .. وإمامة على

١ – أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله : دكتور السالوس ، على ، دار ودهان للطباعة والنشر طبعة ثانية ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

٢ – الأحكام السلطانية . الماوردى ، على بن محمد ، تحقيق محمد حامد الفقى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٨٦ هـ وطبعة ١٣٩٣ هـ .

٣ – أصل الشيعة وأصولها : آل كاشف الغطاء ، محمد الحسين – طبعة المطبعة العربية بالقاهرة .

٤ – الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث : البيهقى ، أبى بكر أحمد بن الحسين . منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م وطبعة أحمد المرسى ١٣٨٠ هـ .

٥ – الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : الطوسى ، محمد بن الحسن . منشورات جمعية منتدى النشر ، النجف الأشرف ط ١٣٩٩ – ١٩٧٩ م .

٦ – الاقتصاد فى الاعتقاد : الغزالى ، أبى حامد ط القاهرة ١٣٩٣ هـ .

٧ – الألفين فى إمامة أمير المؤمنين : الحلىّ ، الحسن بن يوسف بن المطهر . تعليق محمد حسين المظفر ، المطبعة الحيدرية فى النجف ط سنة ١٣٧٢ هـ .

٨ – الإمامة العظمى عند أهل السنّة والجماعة : الدميجى ، عبد الله بن عمر بن سليمان . نشر دار طيبة الرياض ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .

٩ – الإمامة والرد على الرافضة : الأصبهانى ، الحافظ أبى نعيم . تحقيق الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

١٠ – بحار الأنوار : المجلسى ، المولى محمد باقر . نشر دار الكتب الإسلامية طهران سنة ط ١٣٨٥ هـ ، وطبعة ١٣٨٧ هـ .

١١ – البرهان فى تفسير القرآن : البحرانى ، سليمان ، طبعة طهران ١٣٧٥ .

١٢ – تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة : فياض ، عبد الله . مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ١٣٩٥ هـ .

١٣ – تاريخ كربلاء : آل طعمه ، د . عبد الجواد . النجف ١٣٨٧ .

١٤ – تاريخ المذاهب الإسلامية : أبو زهرة ، محمد . ط دار الفكر العربى القاهرة .

١٥ – تبديد الظلام وتنبيه النيام : الجبهان ، إبراهيم سليمان . نشر وتوزيع مكتبة الحرمين بالرياض ١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩ م .

١٦ – تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى : المباركفورى ، عبد الرحمن . مطبعة المدنى بالقاهرة ، نشر المكتبة السلفية – القاهرة .

١٧ – تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، طبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة .

١٨ – تلخيص الشافى : الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسن . تعليق حسين بحر العلوم ، دار الكتب الإسلامية . قم . إيران ١٣٩٤ هـ .

١٩ – جامع البيان عن تأويل القرآن : الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير . ط ثالثة مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

٢٠ – الجامع لأحكام القرآن الكريم : القرطبى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى . ط دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ ، وطبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧ هـ .

٢١ – الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية : الخطيب ، محب الدين ، دار طيبة . الرياض .

٢٢ – ديوان شعراء الحسين : النجفى ، محمد باقر . ط طهران ١٣٧٤ هـ .

٢٣ – الرِّجَال : الكشى ، أبى عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز . تعليق أحمد الحسين . طبعة مؤسسة الأعلمى ، مطبعة الآداب ، النجف .

٢٤ – رسالة فى الرد على الرافضة : المقدسى ، أبو حامد محمد . تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ، طبعة الدار السلفية . بومباى . الهند ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٢٥ – روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : الألوسى ، السيد محمود – طبعة المطبعة الأميرية بولاق القاهرة .

٢٦ – السيرة النبوية : ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين . نشر مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

٢٧ – الشافى فى الإمامة : الموسوى ، الشريف المرتضى على بن الحسين . تحقيق اليد عبد الزهراء الحسينى الخطيب . راجعه السيد فاضل الميلانى . نشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر . طهران – ١٣١٠ هـ .

٢٨ – الشافى فى شرح أصول الكافى : عبد الله ، عبد المحسن . مطبعة النعمان . النجف الأشرف .

٢٩ – الشيعة والقرآن : ظهير ، إحسان إلهى . إدارة ترجمان السنّة . لاهور – باكستان .

٣٠ – الشيعة وأهل البيت : ظهير ، إحسان إلهى . إدارة ترجمان السنة . لاهور – باكستان .

٣١ – صحيح البخارى : البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

٣٢ – صحيح مسلم : مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة .

٣٣ – الطبقات الكبرى : ابن سعد ، أبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى ، نشر دار بيروت للطباعة والنشر . ١٣٩٨ هـ .

٣٤ – عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر . دار الغدير للطباعة ١٣٩٣ هـ وطبعة مطبعة النعمان بالنجف ط ثالثة .

٣٥ – الفِصل فى الملل والنحل : ابن حزم ، أبى محمد على بن أحمد . دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٥ هـ ، وطبعة شركة مكتبات عكاظ ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م . تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، د . محمد إبراهيم نصر .

٣٦ – الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة : الشوكانى ، محمد بن على . تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى وأشرف على تصحيحه فضيلة الشيخ العلامة عبد الوهاب عبد اللطيف .

٣٧ – القاموس المحيط : الفيروز آبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب . تحقيق محمد مصطفى أبو العلا . نشر دار الجيل بيروت .

٣٨ – الكافى : الكلينى ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى . صححه وعلق عليه : « على أكبر الغفارى » – دار الكتب الإسلامية طهران – إيران الطبعة الثالثة .

٣٩ – كتاب كمال الدين وتمام النعمة : القمى ، ابن بابويه . ط ٢ طهران ١٣٩٥ هـ .

٤٠ – اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة : السيوطى ، جلال الدين طبعة المكتبة الحسينية ، بالأزهر – القاهرة ١٣٥٢ هـ .

٤١ – مختصر التحفة الاثنى عشرية : الدهلوى ، شاه عبد العزيز حكيم . الناشر إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس الهند ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٤٢ – المسند : ابن حنبل ، أحمد – تحقيق العلامة أحمد شاكر – دار المعارف بمصر .

٤٣ – مقالات الإسلاميين : الأشعرى ، أبى الحسن . عنى بتصحيحه هلموت ريتر الطبعة الثالثة نشر شتاير فرانز بفيسبادن ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

٤٤ – المقدمة : ابن خلدون ، عبد الرحمن . طبعة دار الباز ، مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ .

٤٥ – الملل والنحل : الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم – تحقيق محمد سيد كيلانى . مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٨٧ هـ .

٤٦ - الموضوعات : ابن الجوزى ، عبد الرحمن . طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦ هـ .
٤٧ - منهاج السنّة النبوية : ابن تيمية ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق العلامة الدكتور محمود رشاد سالم رحمه الله . طبعة مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٤٨ - الميزان فى تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائى - دار الكتب الإسلامية بطهران - الطبعة الثانية .
٤٩ - نهج البلاغة : اختاره الشريف الرضى من كلام الإمام على . شرح الشيخ محمد عبده دار الشعب القاهرة .
٥٠ - الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة : جار الله ، موسى . مطبعة الكيلانى بمصر ١٩٨٢ م .

الفهرست

# الجزء الأول

## الخـوارج



# الجزء الثاني

## الإباضية .. وأهم فرقها

## الجزء الثالث

## الشيعة .. وإمامة علىّ

| رقم الإيداع | ١٩٩٥/١١٢٨١ | |
|---|---|---|
| الترقيم الدولى | 977-02-5169-0 | ISBN |

١٤/ ٩٥/ ٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)




١٢٠٢٨٦

